

POST LIBRARY



3 1142 02823 2786



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

72-962086

مجلد

الإمام شرف الدين
حُفَّة ضَوْءٍ

عَلَى طَرِيقِ الْفِكْرِ الْإِمَامِيِّ





'Alī, 'Abbās.

علي عباس
al-Imām Sharaf al-Dīn huzmat
daw' 'alā ṭarīq al-fikr al-imāmī.

الامام شرف الدين

حزمة ضوء

على طريق الفكر الامامي

دراسة واعية تتناول الجانب الفكري من حياة الامام
السيد عبد الحسين شرف الدين . الرجل الذي جدد أطر
مفاهيم ، ووضع نقاطاً على حروف ، وساهم في إيجاد
مناخ ملائم لنمو فعاليات اسلامية ، منفتحة على مسرح
الكر .



BP

80

M88

A67

كلمة الناشر

سأمت « دار النعمان » في النجف الأشرف مساهمة فعالة في نشر مجموعة كبيرة من مهمات الكتب الإسلامية التي أخذت مكانتها الرفيعة في الأوساط الدينية وعند العلماء ورواد الفكر الإسلامي ، وانهاالت على الدار كثير من كلمات الاطراء والتشجيع مما دفعها الى الاستزادة من نشاطها في احياء هذا التراث الخالد .

وكان من بين هذه المجموعة مؤلفات سماحة الامام آية الله المفقور له السيد عبد الحسين شرف الدين - تغمده الله برحمته ورضوانه - اذ كان للدار شرف تزويد القراء الكرام بنشر كليات هائلة جداً من هذه المؤلفات وتوزيعها بأنهم نكاد ان للحق ياخياليات في الزهادة والرخص ، وكل ذلك لينتشر لأكبر عدد ممكن من القراء ان يقتنئها ويتمتع بقراءتها والاستفادة منها .

واليوم اذ تقوم « دار النعمان » بنشر هذه الدراسة القيمة لحياة سماحة الامام شرف الدين العلمية والفكرية تكون قد اكملت حلقة متصلة الجوانب من المعارف الإسلامية التي نوت السعي في بنائها ونشرها بين المسلمين .

وتود الدار في هذه الكلمة القصيرة ان ترف آيات الشكر والثناء الى كل من آزرها في مهمتها وماعدها فكراً وقلماً ، وتخلص منهم بالذكر مؤلف هذا السفر الثمين الكاتب الكبير الاستاذ عباس علي . . . وترجو منه تعالى ان يمن على الجميع بما فيه الخير والصالح .

حسن محمد ابراهيم الكنتي

الأهداء

صبدى العلامة السيد محمد صادق الصدر

لقد سكب « المقدس » الامام شرف الدين - رضوان الله عليه - من
إيمانه وقلبه وبياته ، في ذهني أحاسيس شتى ، أنحفني هذه الأحاسيس
- وجدك - بالظل الذي ينشده الخارب من الوهج والظي ، وغمرني - وبيتك -
باليقين الذي يبدى الروح ، وينزل السكينة .

وقليل ان أقول : اني نشرت حبه ، أحبته من وعي ، وثقة وعقيدة :
والحق - ياسيدي - انك كنت وصيقي لمعرفة السيد المقدس ، وكنت اليد
الكريمة التي أشارت الى مصدر النور .
أرشدتني الى مقومات إيمانه ، وفدتني الى رحاب بلاغته ، وأرسلتني
الى معين خالقه وعروته .

ثم انت بعد ذلك قبس منه .
أخذت منه ، واغترقت من منهله ، وسلكت دربه ، ولم تنطق بشهادته
وثبتت لك الوصادة تحت سمعه وبصره .
واترك ورأى كل الخصائص الانسانية التي تتراحم في أعماقك : الحلم
والرودة والشهامة ، وكل واحدة منها تكفي ان تجعلك في القمة . . ان ترصد
من بعد . . ان تكوّن العنوان :

فهو كثير مني ان أهدي اليك هذا الكتاب .
فتفضل علي بقبوله .

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم العلامة الشبح محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين الطهارين

هذه فقرة يسيرة لا يمكن أن يتركها كاتب أو قارئ فيها صحيح المناقشة ، خلاصتها أن كتب التاريخ الاسلامي عبارة عن اكد من من الروايات والاقول رتبها حسب موافقها على تسليط القيد أو سلسل الاحكام من دون أن يعوا محصلها ونسبها وتاريخ ترتيبها من عندها وتاريخها من سلفها ، ومن دون أن يعوا أيضاً بدراسة أسباب ما صححوا فيها من ثورات وانتفاضات وانتفاضات وتبدل حكومات

فكانت هذه الكتب على كثرة استدلالاتها وصحاحات محدثيها أشبه ما تكون الخرد البومية التي تروي أخبار الاموات والحروب وتبدل الرؤساء ، من دون اشارة الى ما وراء ذلك من دواعي ومبررات .

وحدثت شرح - في واقعها - مجموعة أسباب ومسببات - ولم تبحث الأسباب من يستطيع أحد أن يفهم المسببات حق الفهم ويدركها ، حتى لأدرك ومؤرخون مسلمون - يعرف الله هم - يمرون من هذا المصحح مراراً من تهمة بدمية فيمرون - إثر الحوادث مرور الكرام ، وذلك ردها في نفس القارئ ، حتى ملأوا وصماً وشكاً وتاماً لكل ما يمرأ وما يعني من مرورات تلك الكتب .

نقلوا - مثلاً - حروب الردة .

من حيث ودرست أساليبها وهو منها ظاهرة وخفية ، وهل كتب
كها ردة - كما روي - أو كتب في صدد ما يعتقدها من عدم حكم جديد
وهل عدم الاعتراف بنظم حكم ما يعتقده ردة عن الإسلام ، وإذا كان هذا
صحيحاً فهل عدم اعتراف معاوية - مثلاً - بنظام الحكم عند مقتل عترة ردة
منه عن الإسلام ؟

ثم هل كتب نوره في حقه عن حادثة الوليد بن عبيد بن ربيعة
على ما ذكره - نورة وأصحابه خفيفة أو مصدقة ؟ من كتب خفيفة فمصدقة
ترجع عنها ؟ وهل كان معنى الاجتهاد والتأول - وقد قبل من حاشداً أول
وأخطأ - هو ذلك دماء المسلمين ؟ وإذا كتب مصدقة فما هي أصناف هذا
نصيح ؟

هذه وأمثالها وفي جميع آلاف منها مبعوثها المؤرخون كما - من أولم
بحاراً ، تعمق في معرفة أساليب ودوافعها ، ولهاهم بعد ذلك مع سبق
بحرار ، في معاوية كما ولا يتجاوزون ضرورته لأحد حكماء المسلمين - الذي
لأخير الدبسة فيه - من بحالات الحد والمناقشة في سلوكهم وعرفاتهم
وأعداهم

ومع دخول هذه من الذي جاء فيه كانت تطبع في دباحي التاريخ
بحرمة وتتوقف شعوع وتمثلاً أهية ودور . ثم بدأ الأسس مدس عمرتهم لمعرفة
وحررهم من سموم الأمية يتساهلون عن السب في كل حادث والتعديلات لكن
ظاهرة ولهمر بكل نصرف ، واليطبق لديهم من الأعلام محققين في شريح
بمحصول حياه ومحتوى من وإياه ويستجوبون مؤراء - بطور - كي يصحوا
إلى الخواتب ينصع على كل مؤل ، والرد صحيح على كل علامة استهزاء

وكان من رواد هذا الميدان - في أهم جوانبه وحلياته - سماحة المعتبر
 له الإمام المجاهد العظيم السيد عبدالحسين شرف الدين رضي الله عنه وأرضاه
 ومن الأمام شرف الدين التاريخ دراسة سمحها المصنف - ومحصن
 كل حواشيه وموصفه بمصنف عالم - حر ، وقارن بين تلك الأكادس من
 روايته مقاربة الدقة للحكمة ، وتخصيص كل الرواة وتعيين ساداته المخرج
 والتعديلات المفق عليها ، من تصنيف . ثم خرج من ذلك الطويلة المطولة لمصلحة
 " نتائج لى لآل الشك ولا يرقى إليها الريب .

و قد كانت كتب الإمام شرف الدين متعجزة مدهرها حر الدهر عن
 عاقد الشبهة الامامية وهدايتها . في واقعها عميقة دراسة مبدئية لدى عميقه
 تصور لما سعى بمصادر - ربح ومرجعته . بل انها في واقعها أيضاً مدرسة
 من مدارس التحقيق المنهجى والبحث الموضوعى في تلك المصادر والمراجع .
 وهذه المنهجية والموضوعية كان لإمام شرف الدين قوة من قلم الفكر
 الاسلامي انه صر ، في ستين دراسة والبحث ، لكي يستلهم الجيل الجديد
 من منهجته منهجاً لدراسة المراجع . ومن موضوعيته مبدئاً لتشدد الحق
 الصائغ من أكوام الروايات المعقدة ، لأساليب المصطنعة ، في حركات حركتها
 أراد وأراد من غدية المصطنعة ، وهو في إجماع الحق لثلاث يظهر ، ويصرر
 على حبس الفكر بين تلك الجداول ثلاث حول المخرج من الكوى على مبحرى
 خارج الجداول

• • •

وكذا كان للإمام شرف الدين دور الريادة للفكر الاسلامي القائم على
 العقل المباحص اليقظ والدقة لمقد المصنف . من تصديق التعرر التفاصيل
 الاستاذ عباس على دور الردة أيضاً ، ذلك لأنه أول من سبق قومه محمداً
 بهوه لمعرفة لأصالة والخبرة الواعية - الى البحث في حامل ذلك العقل المنهجي

وقطع تلك المدونة المتميزة بالعمق والشمولية ، فكان له فضل سبق كما
كان له فضل الاجادة ، وكان اجتهاد هذين مصابين في هذا الكتاب دليلاً على
فضل مثاقفه بسابق المعبد ، وعلى بفاعلة نعمه الرائع مريد .

وعلى الرغم من الاختلاف مع الاستاذ المؤلف ببدء الله - في بعض يسير
جداً من الأفكار الخاطئة التي تعرض لها في هذه المؤلفات القيمة . والتي لا يستطيع
كثير من ذوي كبري وتقدير المصباح و لاسلوب الذين أخرجوا من هذا الموضوع
كثراً سيكون - الاثنت - من كتب الموسوعة التي يشهد عنها المصنفون ، ودراسات
الاسلامية ، وخاصة اثنت الذين عرفوا الامام شرف الله - ويعطون لاستفادة
من ثمن المعرفة

ولا ينبغي في حتم هذه - بطور إلا أن أرحى تهيئة حارة مخصصة للاستاذ
المؤلف الأديب على حده في هذه الخدمة ، اسيرة المشرفة . راحياً من الله
تعالى أن يحفظه ويرعاه ويسدد خطاه ، وبأخيه ببدء حو - يريد من لبحث
ودراسة في مثل هذه المواضيع الاسلامية هادفة ، التي تحمل في طياتها التكريم
والتعظيم ، نكراً لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وعلماً لأجيال عمرتها
مادة قد تعدت في بعضها من شمع نروح .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد حسن آل ياسين

الكاظمة ٢١ / ٦ / ١٣٨٥ هـ

الفصل الاول

حرف ... ونقطة

... وأعترف بصراحة ان الكتابة عن الامام
شرف مهمة شاقة ، وتبلغ مشتقتها الذروة حين أحاول
أن أبني دلوئى مملوءاً الى الحافة ، ومع ذلك فقد
درست : الرجل ، مقدار مهمى لآثاره

من سمات هذا العصر الدارسة - دراسة النساء - ركيزة رئيسة من ركيز
حرية الفكر ، كما باتت حرية العقيدة حد ذلك - أنه لا بطول مداهنتها بهش
وهذا حتمت الحياة العنيفة للناس ، بشئ مضاعف صرع العقيدة . وتمكنت
المدارك المتحررة من امتلاك نواحي التحليل والعرض والتوعية على كافة مستويات
المبادئ والآراء والتحليل

وبالرغم مما واجهته البشرية في هذا العصر من عواصف وتيارات
وحروب طاحنة أشدها - مع سبق إصرار - مستعمرون وأميراليون وعنصريون
منظرون . فإن لأحد السائد كان دائماً إلى جانب الإنسان في حقيقته وهكره
وعقيدته ، وحمى آخر لم يكن في مقدور تلك الظروف الكالحة الملمة في
الصوادع وما على أديانها من رعت ومون مشحونة الحفدة ان تنزع من
القرن العشرين روحه خاص صمته الهالة . أو أن تبرز فيه من جهة أخرى
مما بدأ تحتج تحت آياتها ذبوت الحرية الإنسان أو مطامحه أو آماله في الحياة
وقد رأينا من خلال سبيل مركبها وراء ظهورنا ، كيف سخرح العديد
من المحاولات اللائقة في غرار الذي لم يكن همه من محبهم . وكيف
كانت نهاية التكاثر والحق والخضوع والذبح لمصر الرساميل واسمهم
الناس ومخططات التوبة . وبعثات الفكر المتحرر في الناس .

أقول . منتج هذا العصر آراءه على مصارعها بتكرار الحر بسنة دوره
الباذي وبهش تعاه ومسؤولية عن اشحو اندي يذبح فيه للناس أن يعرفوا
عن آرائهم ومعتقداتهم ومصالحهم ضرورة لا يتحكم فيها كات . ووجه لا يحدد
فيه مقدراتهم أنف داره .

وكشئ طبيعي أصبح في مساوئ الناس - معظمهم - أن يحددوا في
القرامة والتبع ما يعجبهم على تلمس الخواص الموضوعية لكل حركة أو رأي

أو فكر تسارعت مفاهيمه بين الحسبعت أو الأفراد ، سواء كان ذلك قديماً
أم حديثاً

وقد سلطت ثقافة المعاصرة - ما رودت به روادها من مفهيس -
النور على كثير من مسائل الحياة ومنها التاريخ ، فامشككة التاريخية - أبسة
مشككة - لم تعد تتحمل أعباء الأحد والعطاء في التاريخ كما يقال ، بل هل
تعرض ذلك تماماً ، في وضع المؤرخ المصنف ثم يصنع تلك المشككة في إصدارها
المصحح محردة من الترويض والمسايق ، وإذا وجد اليوم بين المؤرخين من
يحاول أن يعود بالمفكر النهري - فيحيل الحسادلة التاريخية إلى طلمس ،
أو يسوقها على حو مصطفى صادق - فذلك استوى بلحاجة علة ، أو ردة
أخلاقية لا عمل لها من الاعراب على حد تعبير النخاعة .

ولقد قدمت دراسة التاريخ قديماً ، خصوصاً ومفيس المستوى الذي اهدمت فيه
العلوم الأخرى ، ولهذا فالماورين سقيقة التي تعارف عليها دارسو علم التاريخ
نها من التاريخ جراحاً يحمل المصع في هذه أنموذ أماله في أعماق البصة التاريخية احشاً
ومستقصياً ومعالج . من أجل أن نقدم دراسته على قواعد من العلم والتكرار
والاصالة .

والمؤرخ المصنف هو سدي يصنع الخلفات في أنصتها دون أن يتعدى إلى
جهة أو يصلح مع الحق مع أخرى ، أما ولذت الدين تتعمد حياجرهم على
الحرف الخبث ، ودسوا في الواقع سوى دمي هريفة تتحرك . اجزاء ، ولاهكار
الحديثة المعرة المساعدة كنبالة بها وسمياتها الصارة . تركها إلى حيث تصد
حياشيمها حفنة من تراب .

والتاريخ الإسلامي وهو الموضوع الذي يتصل به هذه دراسة ، تعرض
و مبرته الطويلة إلى صروب لاحداثها من معونة وأصبحت آثاره مع لأسف

مصدر قلق وقلق لمن تكون اذنه وعينه تفر من حقائق ركن اليها .

ونظرة عميقة الى الموضوع تدين بيسر من السب .

السياسة بالذات ، المشيئة قد حدثت على الدرع الاسلامي صهيونية وطوحت
بقوماته .

وما لا ريب فيه ان تحكم المعايير المصاحفية العديدة في اي عرض من أعرض
الحياة يشكّل حرور ان من أعراضاً ممنوعاً في عموم العرض نفسه .

وهذا هو ما حصل بالذات

كان انصراف المؤرخين الى تأييد لسياسة السياسة ، وانكماشهم عما يؤول
الى سياسة الأضمة المتوبة التي بدأت وح لدن ، ونصائد مسؤولياته الصغيرة
صلاً في تبييد أكثر من فرصة واحدة ، كان من الممكن ان يكون عرضاً مرمرة
بالسبة للدعوة الاسلامة ، وانطلاقها في ديا الحبر ولاستراح ولاسانة

ومن الطبيعي عد ذلك ان يصدم انفراد المسلم في حاضره المأرم هذا ، شون
من الموضوعات . - سمومه تحديراً - تاريخاً ، وماذا فيه ؟

ركوع واستجداء تحت أقدام طاعة ، إضفاء صفات الملائكة على مصاصي
دماء ، شويه مدح ما ألق بنية معطاة ، تعيير جهة الأمانة التاريخية في تراث
عرض حقير .

يستدل من هذه الأوصاف ان تلك الموضوعات كشت تحت وصلة سياسة
معينة ، وكل مورد لها - وهذا شيء - ديني - من صميم ما تصافقوا عليه
مرزقة وحكاما .

ومن المعجزة حقاً ان تصح هذه الادوات لدى بعض المذاهب في مستوى
الموارد التي يستقى منها دليل ، وهي وحدها تأسس أفكارهم ، ومنها وحدها
يأخذون متطلبات دينهم في دياهم وآخرهم

ومن القصص التي شنها الحظ في هذا الميدان - مسألة التفريق بين الدين والدولة
يد بلاشك فيه ان شيئاً من العبد أو ما سبه يفتور. بعض جوانب القضية ،
فالدولة أموية كانت أم عباسية أم عثمانية أم أمة أجهزة أخرى حاكمة . تنطلق في
تصرفاتها عن نظرة سياسية مجردة بعيدة عن محتوى الشريعة المعناه . كان ينبغي أن
يرجع أولئك المؤرخون والكهات حرصاً على كرامة الدين وأسمه ودوامه الصمة
الدنية عن شعائرها وأوتباطائها ومهمل حكماها

كانت سياسة الدولة الأموية مثلاً حدود ما حدث الفارح تسطاً وقهراً
وانكساراً على الدنيا إلى حد النخبة ، واضراً عن الآخرة إلى حد الاملاق .
الكنى من ولي الأمر ان يخرج في موكب سلطاني مزركن لؤدي
صلاة الجمعة أو صلاة العيد عليه إغناء وروراً ، اسم ليس لأحد ما أن
يطلقها على كل من هب ودب :

إن سر رقمتنا على هذا السلوك المجامي لا يسط قواعد العدل والبرودة
بأنهم من مدرك أصيل من مداول تجارب مع صميم حقيقتنا
عن نفهم الدين على اسم شريعة سخاوية ، بتحكم دفنها دستور لا يبره
أن ظل من بين يديه ولا من حقه ، وأن مواد هذا الدستور واضحة . واحكامه
مهمة ، وحدوده صريحة ، وكل شذوذ في الأحكام معنى من معانيه لا يعنى
شيئاً بقدر ما يعنى الخروج عن الحداثة . والنور في إحياء رعات جاهلية
صاره ، وإصاح لمحل لظهور امراض اجتماعية مرعبة . وتمهيد السبل لسمو
قوى غوغائية مراقة .

ان بعضاً من حكم المسلمين في أيامهم الأولى لم يتورعوا من الأمانة
إلى حدود الاسلام كل بمستوى ما كان يحتلته من مركز ، وإلى الأوقات
على أقداره وأعراصه ، وإلى تحميد طوائفه وحضره في محل صدق ، وإلى

تعطيل مواريه الصارمة الدقيقة

كانوا ولعل أيضا اليوم من يرى ديهـ ' ' ' يحمون فلاناً لدي كد
بشر الخمر ، الكبر ، والصبور امير المؤمنين وعلناً الذي أمر بهدم الكعبة
امير المؤمنين ، وعلناً اندي 'وقف العمل بأحكام قصي ها رسول الله اميراً
وفلاناً الذي أمر بقتل النفس التي حرم الله قتلها ، لا بالحق اميراً وهكذا .
اننا لا ننكر ان بعضاً ممن سمي اميراً المؤمنين ، أو صعد الى منصة الحكم
على غير اساس رشيد ، كان على جانب كبير من فهم السياسة وادراك لهايتها
ومن ادواخ الى ادواخ القيمة كذلك عرص السطان . موعود الهدى . لقد حادوا
امتهم خدمات بعيدة الأثر في حقول الفتح والبناء والتطوير . غير انهم غروا
- وهنا الطامة - ان يكونوا القدوة في حكم إسلامي محض ، ينسحب بحره واحلاص
أحكامه ونظماته .

كأن مواريه على سبيل المثال سياسياً من انظار الأول ، مارس مود
السياسة والعب ورايتها عن كدهه - ريب ، الغفل في حبان كثيرة - ،
واستطاع وماله اميكاهية في شد الداس الى حكمه شدا بالمال محدود
من العمل بالارهاب الخداع المكر الخجوف والفرص
بالقدرة من اصطفاء الرحاب . المهرة في سحرنا هؤلاء الرجال ، بنجاحه في
ايقاظ روح العصية الجاهلية في نفوس نفوه ، وتحديد دماها ، ومصاعمة فاعيتها ،
ان معاونة هذا لاستعراض التبريد ان تضعه بين احكام
حكماء اليوم أو حكماء الأمس ، سيكون محله ولا ريب في الهدمة . ولكن
حين تأتي ان معاوية كحقيقة أو كأمير المؤمنين أو كشم - وكثيراً ما نكذب
الاسماء - تنصب المرأة الى عاصمة . الى مهرة الى ضحكت عن ارقون .
من الرجل لاسلام طمعات علاه لاصيل الى انكاره . مزق في المجتمع

محتجدين في تصديهم للقذلة . وكان حبه وجه من الحق في عملهم هذا .
كان معاوية وهو (هبته) من تشكيلة عريضة ، يستخدم الدين كوجهة
كروسيبة كسر

الرجل الذي يهقر النفس المؤمنة في لوجل شتري اسس وريهمهم
لغة عرص ردى . بسكت الدم ظهور . بتفري على الله الكذب ، براوح
في سبيل أن يرمى كرمي لحسكم . ولدواربه . لا يمكن ان تحدد في عمق
أعماقه درة من نور الاسلام

عرف لداس وحبوا أيام الرسالة أيام اسند اسند ر لايمان
وصدقه ، صفاء العقيدة ومعطياتها .

عشوا أيام للعربى غدوة دون حلاوه للعدن ، ويستمرؤن صمم الكرامة
قطعوا عهد لامام في الحسن ولموا حوايت الأحصالة في ديه ونقيه . ثم جاء
معاوية . تعانوا على لاسلام سكي وبلغهم ' ' وضع روح الدس تعاليم
الاسلام . مدارك الشريعة بحجة انشاء عطاء لعمده جهاد الرسالة
نصبت اصحاحه على الرف وشتر من مساهبه شعبد بالمشكلات
التفشير . محذرات . موهبات . تم بكرة لاسلام بما شجبه
نوعى تعدلى الصادق

ومن ذلك اليوم بدأت السحب تتجمع . سحابة في إثرها سحابة ،
وسياتيك خبرها في هذا الحديث . . خطوة فخطوة

كان هذا نظم محدثه ان كودر علامي بصرف كلياً الى تنظيم
دعاوة له . يمهده له الطريق ، ويرقع الاتوات اللامطقية ، والعبدة عن
مناهج الرشد . ستر من الظلاء ، ويضع في حبه قارورة . . ماء ورد أوابة

رائحة ذكية أخرى - سجنى من حو - وبو لفرة قصيرة رائحة الصبيح
وقد كان .

اصطغروا هم شه من الموح ، رست عليهم شروط المناقصة ، وتوهرت
مبهم كل لوارم المندقة ، وهو ، بر، حون آراه الحزب الحاكم - ان صبح هذا
مدير ، وبما يكون بصره - ام معارضة ، فانشرت أفكار وصوبت أخرى
في واقع طفت فيه المناهج السياسية على المناهج العلمية ، وذهب بعض أفراد
هذه الفئة في مدار هذه المعركة السياسية مذنباً غيباً - كان أحدهم (١) من
حل لقمة أو كفة معبه يسبح حديثاً ، وبقيم شأنا .

وبل من مقصبات طعة هذا الحث وموصوعيته لا يعمل النص
على جبهة من الأحداث سبقت هذه اسرة ، وكانت في الواقع مصدر كل
المصاعبات التي رعت رأسها في العهد الأموي وما تلى ذلك من جهود . ذلك
المطلق الذي عناء الكميث بن زيد في بيت من قصوده اللامية :
بصبيب به الرامون عن قوس غيرهم - فبا احراً أسدى به انعي أول

والاشباح مشوهة التي تعصب على صريح (المدينة) في أواخر أيام
محرمانفج - مصدر تمحطت في يومه المصعب عن مأساة رما ثم شهد لتاريخ
ه مثلاً

وهالك حراً مصعوباً من أمرها .

(١) أو ربه . شبح محمود . شبح قصيرة .

حت حري ، وعلى أفريه لمم أبعاد شخصية في هريرة ، ويكشف للناس
بهم وعده ، ومدى تأثيره السيئ على مقدمات الفكر الاصلاحي .
مأودة قد ارهق من أن يصحح أمكراً حمله المصعب على قمار من حري
من ادعان كثره من السمس

لو كتب لك أن نمرًا يربح بك بوصفه من لزم بعق وتحدد سجد
 ان صراعاً حاداً كان يحور يومئذ في رسالة ومن جهة كانت تصطبغ
 حلماً . . . راء مرة يظنوا على المنهج ، وفي مرات تضيق تكلماته بين الأمواج
 وان إحراجات (١) معيه كانت تجعل أكثر من مدفول قد تحدث في حبه . كان
 يراد منها إيجاد مخرج أو حل ولو مؤقت للأمة .
 ولا أطبل عليك . . .

في ساعة يرحش فيها الذراع . . . وفي أقصى حظه من خطرات امته اسره
 رسول العظيم بودع الحقة . روحه الزكية في صرورها الى ارتها . ارلت
 الخهفة ورسائها الى ايديهم ، وسكنيك صياحي حطاف ودون ورائع بها
 ارتفعت السندرة عن المشهد الذي هو مرة مستور الأموه
 . . . بساهل كثر حتى سعى هذه الحركة الانمالية بانها توجبها غير
 طبيعي لمركبة ذات شئ صرمي ، كذا لو دنا ان يسمى الاشياء ، سمائها
 لوجب عينا في دفع ورقة (الموت) . ولاحد من مصلحة الاسلام بأي حال
 من الاحوال ان تشير سائر حول مشكته . تفسير صرورها أو عدمه
 بيد الله سبحانه .

ولحق ان استعرص هذه النصية وهي الحوائدي تقدم ، بيس من
 أحل ان نصيب في النصية عقلاً درماتيكاً حديد ، أولتفي بضع قطرات
 من ذرات على الشعلة الدائمة الوهج ، ان هذه ، شخص في نعمة هذا الموقف
 قعرة لا محال للتشكيك في هويته كأنه شرعي الاشتاق المنصع الذي حق
 (١) راجع معادل لبر والأخبار فيما ينهل سره نعمة من زبد لاصيما .

الطاري في تاريخ لامة والملوك

ان الأثر في التكامل في التاريخ

والسبع من ساعة (اثنتى) وى يوماً هذا ، ورجع الى داء الساعة

قلب صححات الروح

مدنى بدت اتهام تذل عن الامام عي . وما هي الحريجات نني
كن يحاً انها الدهشة في تدر ذلك ٥

حبوا عليه . وعلى من نحت حله . حملات لا أحد في دهي كلمة
تلمظ في العريف . لأصعها حيث يحب ان توضع

من قدر على فهمه ، البف كن انه ما اراد . ومن صمغ في تشويه
مواهم بانهم حب في ليدن ك شاء

ورب مثل بل م مسكون اى يوم بالفتيق عن حدث طواه
الرمس وتحتون موراً بكذ ان يمسى رسومها تدون الليالى والأيام . في
الوقت الذي يتحد فيه على الوعين من الداس أن يطبوا المكث الى جوب
محمهم وقد عمت ربه به شكاف عن حله ، وأن يهجو كل بمقدار
حواله في توطد ثبات الاستدراك في للمواطنين وانه هم من رائى فوصى
الاحلاق . وأرملة الصبر . وانكاسة الأهراف . عن طريق إشعة ، تاهيم
الهم . ونسر واقع لاسلام وتهدقته الحمة

ثم . في الفارج حين يدرس معنى أن تقوم دراسته على أمر يسميد
مسه لاس في حصره ومقتضيه . كما تصح الشعوب الحبة في دراستها
تتاربعها . ومن من السحب أن يحاول في أمر مضي على حدوده ثلاثة
عشر قرناً . ومن ما رجح في أماكنا م ستمد من هذا الحد اليرهي شيئاً
ال بالهكس نصدا في مـ وأسة حدوده بحيث شطرها شقة أو وصفاً
وهوان . ودهيت عددا عن مكاسب الاستعمار الخفية ومدرجه من تقابل
الأحوة وكيف استطاع عن طريقه ان يمرر كادوة محظوظة الجهمية التي

استأثرت بحيرات مد ومكادنة :

هذا أمر ورر . . ولكن مسألة . ككل . تحت موضوع هي وجهة
متأولة . ولما داره نصيب ومقصدة . يعني ليس في الأمر جانب شخصي
طاريء ، لكي يتصور ب القصة لا يعدون تكون غير مسألة بشر عسيل قدر
وان المصلحة تعني ب هوى هذا العسل ، أو ب بشر بين حدران أربعة
هل الأقرب

لا . . ب القصة تخفق من هذا واحد سير . لانها مسألة مدلية
تتاول مقومات دين يحمل في كفيه وفي مستوى علمي أساس آخر وانظمة
والسلام للناس أجمعين .

هذا الدين قواعد السليمة ، وأساسه المظفرة النورية . وتشرعاته الحكيمه
أراد بعض الناس ب انه قد ان بعة . أو ان كره تعلقها بالأدي . أما
غير ذلك . فوفاة لاحدة ولا ر .

ولو أذا ان صبح مسألة زامدة وهي ب . . . من شره تراثا بحكري
وانه بلدي حرة . وأن حوص في تحت خلافة روح موضوعية . حدة ب كل
التعديرات التي استخدمت في سائر أسسها صامع الشرعية على يدعة اجتماع
(السبقية) لا تسرف عة الإماميين رأي وجه من توجهه

ومما ذلك لا يعود ب السبقية ذاتها كما متفقاً ذلك في الحقائق القديمة
وما أصل مشكلة يبحر في لاسيوت الداعت الذي حسمت به القضية أولا
وفي الانصياع كلياً الى المفاهيم التي يده الاسلام . وحارها بلا هوادة رسول
الكريم عليه السلام .

ودور الفكر الأممي عند هذه النقطة يدور في حركته وجهة بصره
التي تعتبر الحركة الاجتماعية عاملاً رئيساً في وحدة النص الاسلامي . وشجع

رمر به افقن الدس دجالوا الاسلام إما ، همة وإما رعة على القريص والتهاث
وهذان المرحص .

ونحن موقن من الامام علي (ع) اذا بنشر حبه ، ولأي أمر نقان
في الأحكام رآه . . . المنحرد قرنه لني الانسانية ، وهناك من هو أحكم
وشيجة بالرسول العظيم منه . ندوه صهر . أم لادا . شحاته وهذا
رحله لايجر عفلا ان يكون احصين ان هذا الحد

ن الاحاطة بمكانة الامام علي في الاسلام أصبحت مشرة حتى لدى
ان مستويات التذمة سواء كانوا من مسلمين او من غيرهم . ون هـ
المكانة هي التي قومت في حصة ثبات متصارعة المدع الأساس للمدرسة
الامامية ، وربطت بين روادها هذا الرائد الوحيد العميق الذي يجر حدة
امتداد طريل من السنين اخلاصاً وحباً وتميق

وعندي ان ذكر خصيصة كان يحدها الامام عليه السلام هي بهمة
العميق رسالة الاسلام . ولذلك كانت تحمله هذه الخصيصة الى الفناء في ذات
الله . . . كان قد مكس طاعة الله من قلبه وجوارحه . ولو أمل القاري في
الخير (عندي أصمى تكن مثلي . نقول للشيء كن فيكون) ، لو جدد الذين
قالو بأهه لم يصادوا ان هذه نتيجة عن طريق مشوه . وعن مفهوم طوباني
ان عظمة الامام على تتلاشى بلا انى رب أمام وحدانية الخالق ، بل
ن عظمه مستمدة من بهمة . المرد الصمد .

يهود ان أصل الموصوح .

ن التمكن من الحديث ينجه استمرار ان تعير نظره اعدمة في بحث
وذلك درس اعصمة - ذمة قصبة كانت - على صوره متاهية واصحة تسم
مما جنتها ، حدة ، وكلمة اخرى . الساجين بخصوص في مثل هذه الشؤون

الحقاسة يجب ان لا تكون سليبي في عرض وجهات النظر . وان لا تشعب
أية ظاهرة بمجرد انها لا تتفق مع آرائنا .

وسر التقى في مجتمع الاسلامي بما يهرب من الله هم حين تقطع عددا
من طرق معصاة من مصللات

تخذ هذه المسألة

ن الفكر الامامي لا تشعب الخلافة . هذا هو الذي عرفناه ، لأن ولائاً
وولائاً قد أمسكا الدولة وقد حدثنا التاريخ ان العرس كانا في مستوى
القيادة رجاحة وبعد نظر وصرامة .

يبد ان الخلافة كانت لا تؤدي هذه الحفظة احداً . في
دوافع دفين ومخرج تعصب إيمانية لها . رجل لا تقرب هذه المرة ان الرسالة
هي التي احارته توجهه فسمى ، وان الفائدة الاعظم وجد مصلحة في ترشيحه .
فسمعت يدن هذين الاحتمالين عن طاولة البحث .

لقد كنت منتهى ما ارفع على مسرح الحياة الاسلامية من احداث
وعرات ونشأت في امشاكل ان مصدر يجيء الامام الى الخلافة كان عملاً
اجاراً وحكيمياً . وهذا ذلك ربما يحصر في أمرين هي .

١ - ان لمركز كان يدعى ان يشغل من قبل وفيه له قدرة التكرار على
الأمر اني انهمس بها الاسلام . نتوهم كدائمه على أساسين متين من مبادئ
الشريعة الامامية واحكامها . وعندهم دستور الاسلام منصوص ونشرهات
تمنحه امكانية ضم الصغريات الى كبرياتها ، وضيق بكبريات عليها ، واستخراج
الاحكام منها .

لقد كان الامام علي بعيد مباح النظر في تعمقه لدراسه فقرأ ان الذي
هو حبل الله المتين وأحد الثقلين . والأصل الأول للشريعة

يقول الامام علي (١)

وسمعت رسول الله يقول : " من تكون مني ، فست في المحرج منه
رسول الله " . فان كتاب منه فيه حبر ما قبلكم ، وما ما بعدكم . وحكم
ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهonor . وهو الذي لا تربع به الأهواء ، ولا تتبع
منه أهواء . ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا ينقضي غايته . وهو الذي من ركه
من حذر قصته الله . ومن نعى الهدى من غيره أضله الله . وهو حبل الله
متين ، وهو الصراط المستقيم . وهو الذي من عمل به أحر . ومن حكم به
عدل ، ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم .

كان الفاروق وهو أحد الصحابة الكبار ، ومن عمل على من يحيى
لامام عن دوره ، اسماً فقهه في أفكاره . ديمقراط في رتبته ، عادلاً
في أحكامه . هذه أعماله وسداد حكمه في مصاف الحكام السبعين الذين
أصاؤا حقه الناس في مراتب عدة من الزمن

هذا الوجه الاسلامي البار . . . هذا المدرك للمعنى العدل والاعتدال ،
كانت نوعه ملكه لاسم من الشرعي وهذه وإن كانت لا تفرق مكانه
ودوره ، إلا انها كانت من الائمة مسكان

حكم مثلاً في مورد ميراث الجد مع الأخوة سبعين حكماً فيما قبل
قال عبد الله السلياني (٢) :

لقد جمعت لأمر من الخلفاء من الجد مائة قصبة مختلفة

() الطبرسي : رضى الدين او نصر الحسن بن الفضل - مجمع البيان

لعلوم القرآن ،

(٣) شرف الدين السيد عبد الحسين . ليل والاحتجاج ص ٢١٧

كثير أعمال الترائف ص ٦ ص ١٥ .

ومن عمر نفسه قال اني قضيت في الجدل قضايا لم ال فيها عن الحق .
وكان الرجل صادقاً في دعواه ، مخلصاً فيما أُورده .

٢ - فقد توسع الحكم ايام الخلفاء الثلاثة - وهذه حقيقة صادرة لا محال
أدباً تكرارها - في الاحتياط من طريق اقتصاص لأحاديث من الأوراد والاكسال
على الظن والحدس في حسم قضايا حساسة - هذا أدى الى تشجيع بعض
الصحابة أو غيرهم والاسلام في محرمه الى . حاد الرواية عن النبي (ص)
وسببه من وسائل التمرد الى سلطة أو انكسار أو بمعنى آخر من المعاني ، كما
ان حروب الاحتياط سمعها العنصر الذي كان سائداً يومئذ عن النص في
بعض الاماميات ولد في النهاية ارتباكاً جاور حد الأوراد في شتى مصابيح
تقواعد بني أرسها الاسلام والتي هو عنها خلال محمد خلال الى يوم القيامة
وحرامه حرام الى يوم القيامة ، ومن ثم باعد بين هذه التقواعد ، وبين
لاعتبارات الادبية مختلف اتجاهاتها الاجتماعية والسياسية والنقدية .

لا يريد هذا ان يعيد مداخل من تلك الاحتهادات ، فهي بالاصافة الى
انها معروفة ومشهورة بشكل هذه ، لا تقع في غريب وجهات نظر عند
عرضها من جديد . لاشهادها على شبيء من التطرف والمبالاة
ان تلك الاحكام والاحتهادات صدرت الاكيد عن ربة حكمة ، وان
اصلاً مقبولة لمحاكم دلتهم ومرت ، حسب الرضا ، فأنه الحكم والإصرار
عليه بل وربما معاقبة من يعمل بعبده .

ولو تأملنا مدة حصة أبعاً في مدلول هذه الضرر من العدل الشرعي
المخصص ، لوجدنا ان طريقه عن غير تنقذ بدستوره كان مثابة اللعب بالدار .
ونكتفي صحة قول الله وقول للدلالة على صحة هذا الرأي ، ويكتفي
كذلك بحجج في أمة الى ليست بدلالة على ان خلافة لم تتأصل من الأعماق

روح المحمدة ولم تدور ان يدرك ذلك الاخر من شي سبب محكم
في تصرف الناس ، وحديثهم ومن بعد حصارى من حمده لاسلامه
اليهم :

• • •

كان للامام على موقف حاصر ، اشارة لجمع هذه الاعمال ، وهذا
على صوره ان اى صلاة رقيقة ، حصتها في مكانها ، وكانت
تتسع لاهله وتضعف ، كذا دعى برأيه من نصيب قدوة عمال بها
الملك آراء اس وادومهم ذات النعمى وحدث الشرح واما كنهت
(هشتم) عن هذا جانب رقيقة ووضوح وركب ، مما لك منه خلاصة
منها من الناس عدده اثنان الذين كرهوا ان يرجع اليهم تحكيمهم الشرعية
وهي ورفه محبة حسنة .

وحدث الذين بعد احسانهم الى حذور من هشتم وثمة الى محمد
الى صخر الى علي ومعاونة باوهم اعداء العدل والاحكامي . حدث
من بعض احلامهم الرردية مفاهيم الثروة والتمتع وسور

جمع هؤلاء ووراءهم سادس خلاصه وحدهم - الاصل - وحارفي المحور
في لاثواء لثمنة ، ادعاه وفعوا في وجهه بانه . وهو في بته
علمه ودينه راسخه وحكمته .

مهام من كل حسب ومكان . عت مع شرفه كل شمس .
عده سادس ومدون سادس . وفي صف هذا الامام العظيم ، القدوة ابو عبيد
من الناس وانما بعدله ، ودركه مكانه في لاسلامه . لاسلامه ليس
لا لاسلام الروحانية ، فأرخصوا من ارادها من ارادها حياً عرباً ، النفس
واولد والمات . بدونه رحيمة . رحيماً في سبيل عقيدة قوية كدهق

الشلال ، سمحة ، يضاء ، كتب طبع روى .

وعلى كل .

حاصل أصحاب الامام على وشيعته لما ملك النى اكرهوا على الاشتراك فيها ، والتي وجدوا ان لامتدوحة لهم من حوصها ، رطة حاش ، وابعان راسع عمين .

وى روى ان املك فونم لاجدب . أسماء شهداء برده
حاطوا على شرف الكفة . وكرهوا ان تنقص ابد هم ، حتى انهم امكن
على وصلات الموائد . وصلات لامكار
استخرج من هؤلاء . الامد . (١)

حرمة من ثارت دا لشهين ، حذمة من الزمان ، عمار بن ياسر ،
عبدالله وعبد الرحمن بنى لدلى ، ومالك بن الحارث الاشتر ، وحجاب بن
الآثر . ومحمد بن ابي بكر ، وأبا الهيثم بن اتيهون ، وهاشم بن عتبة
بن ابي يعقوب (ابرق) . وسهبن بن حبيب . وثابت بن قيس الانصاري
وعترة بن عمرو . وسعد بن الحارث بن الصمة . وأبا فضالة الانصاري ،
وكعب بن عمر الانصاري . ورصد بن كعب الانصاري ، وعوف بن الحارث
ابن عوف . وكلاب بن الاسكر الكلابي ، وأبي بن نيل . هؤلاء الصداقة
صدا . في امة النسي كوا بردون الاسلام سلماً يرتقون . في امة
العصرين . وجدوا من الله دعلا ، وعاد الله حولاً . ومال الله دولاً .
كاهنوا التحريف ، ومضوا في الكتماع الى آخر اشوص ، وعدوا رجاء
صدر من شدة . شرسة ، منتظها الخلافة في مبل السكيل . بهم ، ومن
أجل تشيب شملهم

كان هدفهم أن يبقى دين محمد نقياً من الشوائب ، بعيداً عن شريعة
الغاب ، متزهاً من أحاديث الكهانة .

لم ترحبهم أبهة الملك وتشجعاته ، ولم تشهم شرفه الخلاوة ، ولم
تقعد بهم في منتصف الطريق قرعة السياف
وستظل مدرسة الامام علي يادن لله تحف الدنيا بين فترة واخرى ،
يسامعهم نعت الامام الوهاب الخمر والدوا . وما شهد يصح بعده حذاء الخور
الفاصق . وهنت الحمار

وكما رأيت ، أدت اشكلك سورج شخصية لميت فيها الأطماع والعوامل
النفسية الأخرى دوراً إيجابياً هيد المدى ، وكان مرور هذه الفصية في سلسلة
من الاختلاصات القلبية سبأ في عمل المأساة من حميد الى حميد ، فأصبحت
نتائج مباشرة من حمه من الانتهاز من تشكن بأرياء جديدة ذات محتوى عقيدى
وموجبات لا تدخل تحت حصر . وحت وعلة ارهاضات . يعتمدت اشقت
الأرض عن هوة تفصل بين جناس الملين .
هكذا سماحه أصبح للمطلح حدود

وحاء المستعمر الكافر من حاء الى ديار الاسلام ، يفزوها جيشه وأعدائه
وإستارته ورهطه . فراح على ضوء تحطيط مدروس يقذف الاطراف الحساسة
للمشكلة ، ويث في شرا بها المتقلصة لمريضة السام الحياة والصحة ، فكان
من الأمور الاعتيادية ان يسرق الهدوء من الصلة والقرينة صوت شار ، ينبس
في أذنين صادقين كوا من الألم .

وهناك في مزابل التاريخ ، اكدها من الأوراق الصفراء التي حطوا فوق سطورها كلمات قسمة . . مشوشة ، نعم طائفة كبيرة من المدحمين

مأروق والكفر وهرصته - في الوقت الذي تتمسك فيه هذه الطائفة بكل
مفاهيم لا سلام وهدوء - ورسى أفكارهم واختلافتها وأحاسيسها من مصدر
ثوري - من صادة العرب وهداة محمدية لا إسلامية - آتت مدد هذه
الطائفة إذا كانت مادية وهي مدونة لإسلام صحيحة ، تنطق عن وعي
مصدق شاعر ، ويرى عن صيرة مصالح لأكثرية من الناس ، وتعلم
بأصوار في دمج حزب المصطلحات في كل عصر ومصر

إذا كانت تصدق حجة شريفة في وجه كل طائفة مسند تحاول
أن يجهل من - من منار - مدعاه لأحد - يمدد وتعرف حقوق
المواطنين على النحو الذي يحجب فيه حوائجهم شهوات والمذلت والاحتياج والحرام
- مدح الله في في الفكر الإمامة لا يشرح أن ربه وشرح ودرجتها
مدونه حتى - في كبر الشهادة والنور والهدى -

وشئ معروف - في هذه النور - نهت صاحبها لخرأه في مقارعة
العصاة للاستاسه التي تصف مقومات الشعوب الآمنة المسألة .

كل أو دور - في الفكر الشار - من التمسك للصدق في نفس تعديل الأيمان
في كل حجة من دوائهم - مدح إذ كره احب للعقافة الإسلامية
الصلابة في موكة المور في مدبرهم صدقات موارس والانبيا وشعائهم .
كل مسأله متبسط نحو من - وجدنا جغت في أحماقه مهالي الكفاح
صد كل الأجزاء في - فيهم دأمية - وجه حصص - كشمير للمناك
المجديديت معتمد على هذا - من يكون خلافة ربك على الصير .

كل أو دور - وجه سببته متواضعة رحمة رتبة الامم على - تسميد
يأمر عن تلاميذ المدرسة لامية - رحمه الله - من حديفة معقفة الامم -
تت مسأله مهمة - معصية ثوريت - في صهره على شرح احبابة الإسلامية

الخدمة . ودين كرو مشهور وجه الاسلام المصم . ومخطوبون بمحاولتهم
(بدعوة طرية) المتحرقين . . كانوا من الشيعة

هذه حقيقة لاصلة لها بمقولة الفالين . . كل فتاة بأشياء معينة .
تصبح تاريخ الاسلام تاريخ الشهداء صمداته اشرفه . متلاقك
مواكبهم على طوب الطريق . . مرفوعة اللواء . صلبة العود . حديدية
اليقين

. . .

قلنا في حقه سامة ان الحكام حاولوا اسرف وصرورة نشوة مواقف
اصحاب الامام على . وادهم حادوا ليس فيهم . وحق احواء غير طريفة
ومكتمرة . احرص نهضة مبررات وو سطحية
المحاور الرهبة . تلك محار نبي ارتكوها واستعدوا بها قلة السوء
بدهوها ملانة من الاصطباغات لشرعية الموهومة

وثمة حقيقة كبرى في التاريخ الاسلامي انوسيط . هي ان الدين م
يعتزل عن السياسة ، ان قلا يعمرو حاداً او حاداً ، وكون الخدمة بجميع
في يداه اسلطين الروحة ونزمية . وعلى عكس ما يحدث في الغرب ، ان
المصور الوسطى ، حيث كانت السلطة الروحة بدالاً او زمنة بد الامراطور

ومن هنا لا يستطيع الدحث في ارجح المجتمع الاسلامي ان يفصل
ماهو ديني عم هو دنيوي . وهذا هو السر في قده لحايته يتمتع حكايته
لدى بعض المسلمين الرعة من بحرامه عن حادة الدين . وعن الاخلاق
القائمة . لأنه يحاول هذه التكررة النظرية بامر مسد اشريعة الاسلامية
ومثلاً للرسول ومتمسراً للقرآن والسنة

ان هذه الحقيقة أدت الى تنحس .

الأولى ان كل حركة قامت في خارج الاسلامي بهذا كان مصداقاً
من الحق والصواب . وصمت بأنها زرع وحروح على الدين والدولة وبلدقة
وشبهة . ان اية حركة ثورية لم يندبر لها المحتاج منهم . تشدد ان حجة ديرة
شرعة تسعف قوامها ضد النظام القائم (١) .

على هذا الاساس أقام الحاكمون ساء سياساتهم السسة الاممة
أحراق من المصارعة والصعابك ومدعى العلم بروجون للسلطان مداهمهم
المصلحية . الرسة . ويبنون المجتمع الاسلامي تحت المبرصين شقي
العموت التي تدبى رقاهم بكرمة ان المفصلة . . ويعدرون بالصل اولئك
الأحرار المتزمين شرف الحرف . والناشرين في صل الكفاح . بالرغم من كل
لاعام . وكل التهم . أنها نعم العدل لاجتماعي الدائدين هن رسالة
محمد بن عبدالله (ص) دود الطير من وكه . .

• • •

وقد كان من الطبيعي ان ينهض مسؤوليه نددت المزايم . ونهبت
متراكباتها ، أعلاء دور حمية . ومرونة . ودن .
وقد كان

بحر الحركة لاسلامية اليوم ممثت الميوسومات التي وضعها الفئات
والتي ثمت في مدار فهمها الاسلام وصوصه أحداث الودوسراحم ، ونشرون
بالمأ روح الاحره والتفاهم ، دعية المسلمين الى لأحد معصيت الشريعة
أحداً لاغوائية فيه ولا تراشق . وذلك ضد عادته السياسة من مداهم ،
وترك محشرته المدهشة الضيقة من أحدات . لبعه الناس بما رجه اليهم هذه
الرسالة السمحاء من نعمة دحة وشرف عظيم ، سيما ونحن اليوم لقاء

ويزرت أسبوعي المصعيط شورية ، عطف راحة انشاية ، دوحه اي
أعرق موصيه ، وهما أولا عليهما ان تظهر وان سحره من رموز الهندية
بهدية الأولى . من وسنها ، دوحه الطفرة ، ومن مصمومها الهوى
لدي بحثن الخطأ والصواب أمام أصعب المسائل الخرجية .

وأنه . بيت اسفل واما كنب الكاتوب ، فمأخذ كفت بخرصة في حيزه ملاقات هروف من أحكم . وهذا كنب في المهندس لامري وانما هي غير مؤثرات التي ظهرت في أيام أخرى نسب درست المهندسين ، من حيث السجح ولا ما هو في كنب حيث صيغة الحديث ومناه .

ودورها معروفة في أدب لغزئة . . . حتى لاجد ثوربون المحققون
من حبه لأعلام ورواد الفكر معاً من الحرية للتعبير ، كانوا يلجأون إلى
وسائل حري كالمرويات والمسرحيات وانغمس . يضعون بين أيديها أفكاراً
متحررة ذوي دورها في التوعية وسعت ولاهص .

كذلك ، حين تلقى نظرة سريعة وعابرة على ثروت الفكر لامرأى نجد ان معظم المصنفات التي وصلت إلينا كانت معر عن مبادئها العقائدية بطريقة غير مباشرة ، ملتزمة مثلاً في عموم السير وسواجح الاسلام والرجاء وأحوال الرواة والعرق ، وفي بعض موسوعات الفقه ولأصول سبيلها يعكس ولو بنزارة آراءها الروشحة وافكارها المستقيمة

كان هذا دواء كثير من أولئك المحرير (الاعلام) (١) . حامداً
من أجل أن يتحو صرح ثقافة إسلامية حلقة تنمير في مسعى من
البراء والطيش والهدوى

(١) كاشف الى محمد الحسن بن محمد بن جعفر السجزي ، ستاد الشرح
المستد اي عبدالله محمد بن محمد بن المولى المكبري، والمعهودي في الحسن صاحب -

أما نحن رؤوساً كثيراً لأمدد حفصوا لنا رثاً فكثيراً بحمد في ظروف
 كان يفصل أن يسمى فيها، الأساس رديناً ولا يجل له من شيعه علي ،
 ومن نعمة حكا أن برور الأستاذ أحمد أمين رحمه الله المحف
 الأشرف عام ١٣٤٩ هـ في ثمة من لأسادة وإطلاات المصريين . ومن يقوم
 بريادة للأمام المرحوم الشيخ محمد حسن آل كاشف العطاء (نور الله صرحه)
 في مدرسته (٩) . وكان ذلك عقب انتشار كتابه فجر الإسلام ، وحين
 — كتاب مروح الذهب ، وأرعدون صاحب التريخ المعروف تاريخ ابن
 عبدون ، والي يعلى العلوي صاحبه تاريخ من روى عن حمير بن محمد من
 رجال ، والشيخ في حديثه رقى . ونعمة الإسلام المكتبي صاحب الكافي
 في الحديث عن طريق أهل البيت وكتاب الرجال وكذب مقبل في الأئمة
 من الشعر المتنوع سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، ولأستاذي محمد بن أبي بكر
 من مؤهل الكتاب الأسكافي صاحب كذب الأنوار في تاريخ الأئمة الأظهر
 المتنوع سنة ست وثلاث وثلاثمائة ، والشيخ صدوق ابن موسى الدي
 كتب أكثر من ثلاثمائة كتاب . والشيخ الطائفة في حتمير الطوسي محمد بن
 الحسن بن علي الطوسي المعدي المعروف وكذا المعروف . رجال الشيخ وإله
 كتاب فهرست مصنفات الشيعة ، والشيخ الدجاشي وهو أحد تلامذة السيد
 المرقضي علم الهدى الموسوي . والشيخ أبي الحسين أحمد بن الحسين بن عبد
 الله المعاصري ، والعلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن أبي طاهر الحلي ،
 والشيخ ابن شهر آشوب صاحب معالم العلماء في الرجال ، والشيخ . تاج
 الدين بن بابويه صاحب الفهرست وغيرهم مما لا يحال لي أنخص عليهم في
 مورد عابر .

(٩) كاشف الأسماء . الشيخ محمد الحسين . أصل الشيعة وأصولها

عوت في ذلك المحمل الحاشد عن لأمك - لا أدري به اسمه - ٥ الذي ورد في كتابه . . . أتدري بماذا اعتلر ؟ .

قل الأستاذ أحمد أمين معللاً ومعتدراً . . . ان عدم الاطلاع وقلة المصادر هما السببان اللذان دفعاه الى تسجيل تلك الملاحظات .

ثم أ. كذا يفعل طالب مدعوة انتدائه حين يمسك المدرس أخطاه . . .
استاد كبر ، واديب عربص الاسم ، وناقد وفيلسوف وعالم ومؤرخ ولا بد ان هناك القاباً اخرى قد فندته ايها صحبادة الأدب في القاهرة .
سببها . . . ينشأ بحثاً واسعاً ثم لا تصفه مروءته أن يبحث عن كتاب يعطيه رؤوس أفلام في مسألة خطيرة كهذه المسألة .

ابن كانت موسوعات الأمامية عن عبيد احمدامين . . . هذه الموسوعات التي انتعمت الفكر الاسلامي . انضح الحوث وأسمائها ، والتي تمنح المتابع احريص كل مقومات الموضوعية في قضايا الاسلام اكبرى .

والواقع ان الرجوع الى مؤلفات قادة الفكر الامامي ، ومن ثم الوقوف عندها ، اكبر من ان نسمع لها هذه التزيينات . لانها من العزرة والوفرة ما يجعل مسألة المرور بها لسنا بالأمر الهين . ولكن حين يراد انقيام عملية تقييم في مطلق ايجاد بحث واف عن الحركة الفكرية يصطلح عندئذ ان يرجع للاختبار نحتار من أمهات المراجع الأكاديمية أدراً نعطي فعاليتها العلمية بمستواها الرفيع مانصو اليه من رأى حاسم .

كان في وسع الأستاذ احمد امين رحمه الله . . . وغير أحمد امين . . . ان يرجع الى أمهات المراجع ، وهي معروفة ومقيمة . . . تتمركز في دقاتهم النظرة الاسلامية المجردة . . . الصادقة . . . الجادة .

ان طروداً سياسية فاعرة وهذا شديد الوطأة مارسته الاجهزة الحزبية
صد القوى الثورية المنحصة للاسلام . طعنا ساح علامتا طابع فهمي هادف .
ينحو الى المعارضة عن طريق ابراز معالم الشخصية الاسلامية المتكاملة متمثلة
بالامام علي ومن سار على دربه . واهي بذلك مدرسة الامام الفكرية التي
تتحرى موارد الصحة في دين الانسان وضميره وبقية وفكره .

ومنذ مطلع الثلاثينات طرأ على مناهج البحث العقيدى طاريء جديد
لا يجرح عن كونه أحد مصاص هذا القرن الذي استوعب في رحمه معاني
الليظة والتحرر والاطلاق ، وه يتبع ذلك الطمع من ظهور معايير علمية لمالة
تستوعب الطرائق القديمة في كتابة التاريخ وفي مصلحه التصديا الفكرية .
وكان حصاد هذا الشأن الخطير ظهور دراسات عقيدية متفتحة ، مبطي
بحرية شبه تامة أهدت النفسية وطروفاها وانزمامها .

ولورجما الى هذه الدراسات لوحدها نتج مبطي في لغرض ، فالقسم
الأول نسب عليه المسحة الاكاديمية وامتصف به عن شؤون قلترم بها المجامع
لعممة ، والقسم الثاني يحوت عقيدية صريحة لانس وسيد بسام وجمع
شملهم بعد طرح أفكار الامامية على بساط المناقشة الهادفة الهادئة .

ولحقيقة ان الاحاث العقيدية كانت بحاجة الى تفرغ كامل يقض في
مرحلة من رحبه الى مايش السخص . وهذا ماثره جدياً لدى جمهوره من روادها
أصب الى ذلك ان المهمة التي أخذوا على عواتقهم ابحارها كانت من
الصعوبة والخطورة بمكان ، وصيب ذلك ماأصاب الخط العمدى للامامية
من تصاعط مرحزة بسبب اعماس احكام في غرقا معامها انشجالية بوابل
من التهم والاضايل . الأمر الذي أدى الى عزل افكار الاسلام بالوضوحية عن
معترك الحياة العامة .

وكان العناية الربانية أدركت هذا المعنى ، فظهر على مسرح الفكر الاسلامي قلب الامام السيد عبد الحسين شرف الدين . . هذا القلب الذي كشف بصراحته وعمقه وتجرده وثباته وإخلاصه أشياء كثيرة وموارد متعددة ، كان مصها وراء الكواليس ، وبعضها الآخر نحتفى وراء واجهات ، وقسم ثالث بين بين . . وهكذا ، ولاتحسب ان في مطاوي هذه الكاتبة شيئاً من المبالغة أو التهويل .

إسمع مايقوله العلامة الشيخ اغا ررك الطهراني (١) :

(. وقد أدى رسالة عظيمة قد يعجز عن تأديتها جيل كامله وأمة مجموعها ، وقد يرى العلماء من القراء مبالغة في هذا القول أو اغراقاً في الاطراء ، ولكن الذين عرّفوا المترجم له وقرؤ كنهه يعلمون مايقول حيداً ويعترفون به بادعاء . ولا يكون مدافماً اذا فأت أن المذهب الحنفى حل ما هو عليه من حق وظهور ووضوح مدبى للمترجم له . وقد اشره من جديد أسلوب العصر ، وخدمه بكل ماوتى من راحة وعذوبة ، فأظهر الحق . وأرهق الباطل . .)

نعم . ارتفع قسم الامام شرف الدين إلى قمة المداعة حين اعطى لافكار الامة تحفظاً عاجلاً واعياً أكدها في ثورة تيارات ملاحمة صمة : بته في مقدورها ان تنازل نزعات الجيل وتحطته وأفكاره المبيته بقوالب جدانة ومعرفة . في مقدورها أيضاً أن تثل اد جدد طاقاته وفعالياته .
والواقع ان دراسات الرجل تشكل جداً فاصلا بين نمط البحث العقيدى الذى كان سائداً من قبل . ومن النمط المعاصر في الصراع الفكر الذى يؤمن بالدليل والحجة متى كانتا صادرتين عن عقل مفتوح .

(١) الطهراني . الشيخ اعاررك . فداء الشر لحرء الأول

وقوم دعوة الامام او معالجته على سنن علمي مشحانين . ترتبط مقاييسه بمقدرات فاعلة عن تجربة . وحتى كانت التجربة الحية مصدراً لتعيين أعداد مسألة من المسائل ، فهذا يعني ان النتيجة ستكون بعيدة كل البعد عن مفاهيم الطوعية او التعتق او المفارقة .

انت حين تقرأ آثاره لانجذاباً صموية في ملاحظة هذا الرأي ، وى اكشاهه ، وتجد فوق ذلك ان سيطرته على عواطفه في المواقف الحساسة لا يرقى اليها اشك . . وانه يعطيك من حضوره لمطلق العلم صوراً مادية . يقول الشيخ سليم الشري رحمه الله معافاً الامام شرف الدين (١) :
(. . . اما وعينك مارأت هيناي اشرح منك هؤادا . ولا أسرع نياولا ولا سمعت ادناي نأهف منك ذها . ولا أعد صبرة . ولا فرج صبع السامعين ألبن منك لهجة . ولا أنحن ملك بحجة ، ندهفت في كل مراجعاتك تدفق اليموب ، ومكنت في كل محاوره الاواء والأسماع والابصار والنفوس ، لله كتابك الأخير (ذلك الكتاب الذي لا رب فيه) يلوى أعناق الرجال ويقرع بالحق رأس الضلال . .)
وي حديث شح الجامع الازهر فصل الخطاب .

وليس ثمة من شئت ان المعالجات العلمية تنزع الى تحليل المعصليات التاريخية بروح تختلف عن الروح التي كانت تسود في عصور التاريخ المعظمة ولهذا من الهين أن نجد اليوم اناساً نحتاف ودياهم في العقيدة ، والكسك مقتدر على اقناعهم بوجهة نظرك وسلامتها فيما لو حاولت ان يجادلهم بمسطق العصر ومفاهيمه ، وكنت على جادة الحق .

(١) شرف الدين . السيد عبدالحسين . المراجعات . المراجعة رقم ١٧

واندي لامراء فيه ان القضية الاسلامية على طول التاريخ حمرت طرقات
عديدة . واجتهادات عظيمة هي تسمير الحركة العممية ودور الانسان الطلبي
في تنظيمها ، ولكن سيطرة الاعتبارات المصلحية بالذات أهانت النقائات
الاسلامية ، ومزقت تماسكها ، حتى وقد انقضت ايمانهم أو حتى رغبتهم
من التعرف على مصادر ثقافتهم الروحية .

ان الليل الطويل الذي هاجم مسيرة الاسلام ، عمل على تبييد مظاهر
الحضارة المكمية وإضاعتها وسط رحام من الدعوات الحمقاء التي تجمع بين
التمصب وقصر النظر .

ان نظرة الامام شرف الدين الى المسائل الخلافية تنطق من هذا الميهموم
وهي موق كونيها نظرة حادقة ، وانها تعبر عميق عن الامارة التي يعاينها
الانسان في نضاله ضد التحريف والجور والاستعداد . . في نضاله من أجل
صيانة الكلمة الحرة من عتث الذين يعيشون على ضفاف ماء راكد آمن .
والامام شرف الدين يعبر عن هذا بالحدث المباشر الدال ، ثمراً ينص
دائماً بالانفعال الفاجع الناجم من الحدث نفسه ، ومن عشرته التفاصيل
الصغيرة الذكية التي تسهم في تعبئة الحدث الرئيس .

وتواجهها هي دراستنا للرجل مسألة انه يتدخل في القضية المحتف
عنها نفعلاً يصل الى أعماقها الى ابعاد نقطة فيها . . لديه موهبة كبرى
في التعبير بالصور اللاحية . في استنطاق الصورة بأعمق الدلالات . لهذا
يمضي في تحايل حواش القضية على نحو محترى دقيق . وربما يتبادر
الى الذهن لأول وهلة ان الامام شرف الدين يحاول ان يرفع القضية من
السفح الى القمة ليعود مصدر فاصح بين المسلمين ، ولكن الحقيقة انه ينهج
في رسالته . كما اوردنا ذلك من قبل . على نحو هامي يتبدى عن طويقه

مدعى واضحاً مدركاً يهر به رواقى احدى هراً صيفاً ، ويكشف به نعيماً
كاذبة ودعابات باطلة :

يقول العلامة السيد محمد تقي الحكيم (١) :

(وسأجده من دعاة الوحدة ، ولكن لاشكلها السدى الذي يدعو الى
تأسي الماضى والتخالف عنه من أمسه ، وإبدال الستار عن مادته من مهاراة
على نحو مايتبناها بعضهم تأسين اوتأسيين ان السكوت عنها وإبدال الستار
لا يذهب برؤسها المتأصلة في العوس ، وإنما تنسئ عملها في داخلها من ان
أظهر بصورة انحراف يلتمس المصلحة في مناسبة غارة من الامارات ، فهو
يرى ان عمله كدرة من صخور الخلاف من المربيع لا يستند على اساس ،
واما هي وليدة سب كاذبة ودعابات خلقها بعض الظروف وغذتها قسم
من السلطات في عهد هاربه ، واو قدرتها ان تحت بحثاً موضوعياً لا من
المرئيات حتى يهدى بعدها عن الواقع ، والخلافات الأخر لا تعدو ان تكون من
قبل الخلافات بين اى مذهب ومذهب أو معتقد ومعتقد ، وهي لا تستحق
نقد وانتقاد ، وحتى هذه لو أمكن ان تعرض للجدل والنقد على نحو
ماصحه العلماء في المراحعات لقاربت بين وجهات النظر)

ان المجازر البربرية التي تعرضت لها الامامية كانت بسبب موقفها انساب
وحارة الحكم لهذا الموقف السامع من عقيدة أصعب . العقيدة التي كانت
تهدد أحوجهم السطوة والراهية .

الامامية لم تدع في الدين يدعاً ، ولاخرجت الى الناس دين جديد ،
ولاقتات بشئ يماهى تدلسم الاسلام أويسس طرناً من أحكامه .

(١) شرف الدين . السيد عبد الحسين . النص والاجتهاد ، راجع

المقدمة بقلم العلامة السيد محمد تقي الحكيم .

ودور الامام شرف الدين ، السنة لمجدوع هذه التصايد ، أن ينصح
العوامل التي اصطفتوها للاحتياز على كل صوت يرتفع في ديار الاسلام
يشجب الممرات الظلامية ، وفسد السياسات انتهالكفة التي تدعّم الانحراف
وتبعد المسلمين شيئاً فشيئاً عن محجهم الواضحة .

ايمن من المسلمين بكافة مذاهبهم مائدعو الى الخصومة الحادة . واداء
ماطروا على وجه الخلاف السببية من مصاعمت . فلا بد ان هالك أبدأ تعمل
في الخفاء تظلماً لمصلحة من المصالح . الأمويون قديماً . والسلاطين ولاستعمار
فما تلا ذلك

قل الأمويون الاسلام عشرين سنة ثم حكموه بعد عشرين سنة ،
وهذه كما يقول الدكتور على الوردى مهرة اعطون يحدث لها مثل في تواريخ
الأمم (٩)

الأموية . لاء الاسلام . قولها ولست مشدوداً في أمرها الى حاطمة
أوعقيدة مباوثة . لادافه .

الأموية هي التي قننت الخدمة عشرون بعد ان انتهكت فيه لأحد القصة
كدرهم للخصومة والعداء .

الأموية هي التي حلفت من على وعمر عدوين للدينين في سطوة
عجيبة . فأنت على كثر من الدس قديماً وحديثاً .

الأموية هي التي أركت عائشة في هودجها تدفع بصيت الى معركة
محرقة . وقعة الخمل .

اول معركة في ربح الاسلام قاتل المسلمون بمصهم بعضا .

الأموية هي التي حلفت مهرة اس ساء ، وروحت لخدمة من الأفكار

(٩) الوردى الدكتور على حسين . مهرة العقل البشري ص ٣١٨ .

الاسلامية ، وانا من المؤمين ان السأية حركة منقعة لارحود لها في دنيا
الواقع ، وكل مايت حولها كان من تحركات المؤرخين . وقد أصاب
الدكتور علي الوردي (١) حين سطر الأصواء على عمار بن ياسر في
مدر دراسته للمسألة وتميذه مدقة لكل مرتكراتها الوهمية

اسألكم الله هل كانت الصلابة التي تحلفت حول معاوية تحمل بن جوحها
شعوراً إسلامياً ؟ هل كان في صفاتك أثباتك بصبص من ابدان . .

استعرض أسماءهم في حباله :

«سلمان بن بشر ، بريد بن شجرة ، عبد الرحمن بن قباث ، زهير
ابن مكحول . مسلم بن عقبة ، سفيان بن عوف . سر بن ارطاة وماأدراك
ماهمر بن ارجاة . الصهاك بن قيس . رباد بن صمية (٢) ، الذي
تبع لمسلمين الأبرار . . أصحاب الامام على تحت كل حجر ومدر :
قطع أرجلهم وأيديهم . سمل عيونهم ، صلبهم على جذوع النخل .

وعبيد الله بن رباد . والسماح الشرير المحض . . قتل هذا الفاضل
لمروء الضمير مائة وعشرين الف مسلم أيام حكمه (٣) . توفي في
اصحونه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة منهن ستة عشر الف امرأة
عارية مجردة من الثياب .

ولله در عمر بن عبد العزيز رحمه الله حيث قال (لوحات كل أمة
حبيبتها وجنتها بالحججاج انقلبناهم) .

(١) الوردي . الدكتور علي حسين وعاصم السلاطين .

(٢) استعمله معاوية على العراق .

(٣) المسعودي علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٥ طبعة ١٩٤٨

يقول حص كتاب الدعوة ان ما وقع تشيعة في العهدين لأموي والعباسي كان حسب طلبهم الحكم . فهم يثرون لالمقصد البشري ومع يشدون به وجه المصلحة العامة ومصلحة الدين الاسلامي قبل ذلك ، بل لراحة الخلق من المصدة ليرقى صامها عري . وربما تحراًهمهم حسب الى الامامة نشاطاً شعورياً في هذا المصدا . يحتمون اليه حين راد الوقوف في وجه السلطات

وكامنة لشعبية لمرط مستعلمات في جهود كثيرة لاسيما حين يراد توجيه ضربة الى من يهاهم أساليبهم واتحاداتهم ومعاديتهم المنطوية على اعتبارات معادية لخواهر الدين ومصلحته . نستحق أن نلث أمامها دليلاً . صحيح ان العصر العربي واجه في عنوان هذه أعداء أشداء من القوميات التي خضعت لسيطرته انان المنح الاسلامي وبعدة . وان هؤلاء الأعداء حاولوا بمختلف الوسائل والأصناف أن يضعفوا الجبهة العربية البهله عليهم أمر تفكيكها ومن ثم القضاء عليها

وصحيح ان هذه (المقدمة) في القوميات غير العربية بقيت مبرأاً يتقل فيما بين الصلب والقرائب ، وانها نساخ إذا وانها الفرصة لتسقى أمة حركة تعتقد انها مصفة للمحارب الثاني .

لكن ماحصة هذه البرعة الخافدة تساق للاوعي الى أمة وثمة ربما تتعجب لا للافق في منحدر يأسى الاسلام والوجدان .

هذه لاسلام بقاعدة أساسية مسمحة هي : لا فصل لعربي على أعجمي لا بالقوى .

نحن إن أردنا الخير لاسلام ، وكذا حقيقة نسمى من أجل أن تسود كلمته وتعالو يجب علينا أن نرفع فوق رؤوسنا هذا الشعار :

إن العروة هي الأمانة على هذا النديس ، لاساني ، المسمع ، العظيم
فلا يبغي لها أن تدد أريجيتها وتصحياتها . وخدمتها وترثها الاخلاقي
الرفع ، مكلمات وتصرفات ليست في مستوى مسؤوليتها ودورها .

مصححة ، ولاشبه أحسن منها في يوم الناس هذا .

اد كذا للشعرية معها القاموسي دور في مراحل ، اريج العربي ،
وكانت هناك نرة حصنة لسو حصومات . وتعاقب ربيع ، فيسعي لآن
ان نبحث عن اصطلاح آخر جديد لا يصرف في قأول مثير والى ايجاد
مضاعفات نحن الآن في غنى عنها .

لقد آل الأوان أن يمد أعراها لنبية ومعتقدنا بروحية . أن نحمل
إسلامنا من سرطان المكائد السياسية وحش . أن يره عواطف في هذه
الامعالات الدماكوكية . ن دمع بها حيث ندعم مسيرتنا وسهول لنا
طريق الحياة .

ن كن الاورام لنى اعتبرت الفكر الاسلامي منذ مطلع القرن الثالث
الهجري والتي ساعدت قوى شريرة هائلة كن مصدرها في تعاليم تعيق
المعاهيم العرفية في المجتمع الاسلامي وعزله عن نكت القيمة المشرقة التي
شها القرآن الكريم كدقنا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ولاستمرار على
تريب روابط المجتمع بتفتيت الحياة الاقتصادية القائمة على العدل
الاجتماعي ، وقتلها الى ما يماهى التشريع الاسلامي وبصادده في
الكثير من تطدته الاجتماعية وتسه لاقصادية ، وروابطها لأخلاقية .
ان الشعوبية دهمت مع الموالى والربح وعبرهم ، وكل استثمار جديد للصناعة من صحتها
يجرى لحساب سردين إن لم يسم الاشياء بأسمائها ، دون محبة اولئواء .
إن اطلاق لفظ الشعوبية على كل فئة فيه الشيء الكثير من التعميم

والبعد عن تعبير اعلامي الصدق . ولهذا يرم أن تعبير إلى المعنى المعنى
لكلمة الشعبية كمدح سياسي ثوري تمحصر عنه القرن الثاني الهجري ،
وبين المعنى المعوي العام الكلمة الشعبية إلى ندى نمرود الأعجم على السند
لعمري وتوسلهم شتى الاصابات للانتقام من العرب المرحون الذين مرقوا
أجسادهم . وقضوا على نبيهم ، وحطموا تراثهم .
وبعد . .

فقد حررا الحديث عن الشعبية أي أشواط مبدة في الكلام . ولكنها
لا تخرج عن مقتضيات المقام ، فليس أطيب من الخوص في مثل هذه
الأمور مناسبة لأراحة السائر عن ريف آراء ، وشطط الأفكار . . .
محاولة لتفويهم الموارين . وتمحيص الحقائق . وتبوير الخبيث من الصحيح
ولقد كان الامام شرف الدين وهو صاحب هذه الرسالة ، محباً في حياته
كثيراً للحبرة والصرامة في الدين والصدق في العمل . كثيراً في تصحيح
المقاييس ، وإحباط على التقييم . وإشاعة المأهيم الصحيحة . . مفرماً بالكشف
عن اصل الآراء . جازها في فصيح لريف والخطل وهي تزيق الأقنعة
أفئدة الملق والربيع والصدق والصدق من الوجوه ، والنعول . . . واكبأ
أصحابها بسخرية الرائعة ، لاهماً صهورهم اسودت عقيدته لساعة ، مظهراً
للناس حقيقتهم وحقيقة دعواهم . ليضحكوا بهم ، وتعرفوا عليهم ،
وليتقوا شرهم . ونعود إلى اصل المسألة . .

كان يردد كتاب الوفاء دائماً أن انتماضات الامامية كانت تنوحى نفل
الملك إلى العلويين . . وليس لديهم من مطمح سواء

هذه الالهامات رددت أكثر من فم . وقرأناها في أكثر من كتاب
فألوها دعاءاً عن جسارة مترين . وتحديماً للوزير الذي مارسوه في حق

الدين والناس والاحلاق .

بعد ذلك ماذا تقولون في العهد العثماني . . عهد اثنائه والمواجهين والحواري
وقصور السجون والاستعمار الروحاني ؟

هل تمت الامامية تصطاد معاً عاجلاً ؟ أم هل سعى سعيها من أجل راحة
قواعد الدار العالي . . وتكبير مراح امير المؤمنين

ارحموا هذه المرة الى التاريخ القريب . . ماذا صنع السلطان سليم ؟
وكيف استحصل على فتوى من شيوخ اهل بيت علي كحل كل من كان معروفاً
بشيعة (١) .

يرى صاحب اهدى الشيعة (٢) ان السلطان سليم قتل في الاصول
وحملها أربعين الف مسلم .

ويقول الامام شرف الدين (٣) ان التشيع وحال الحسبي افنى كثر
الشيعة ووحوب قتلهم ، فقل من جراء ذلك هزات الاوف من شيعة
حلب وغيرهم . وتورد من سلم من شيعة حلب . حتى لم يبق بها شيعة
واحد . وكان التشيع فيها راسخاً ومتشعراً (٤)

وقتل المشايخ الذين اشهدوا الثاني المعروف بمضاه وورعه ودينامه في حقلي
العلم والشرعية .

أعلنت إدا لماذا شهد الامام شرف الدين ، وهو المصالح بمكر المتحررون
(١) الحصري ساطع . البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٤٠ طبعة

١٩٦٠م .

(٢) الامين السيد محسن اعين اشيعة الجزء الاول

(٣) شرف الدين . السيد عبد الحسين الفصول المهمة .

(٤) معية . محمد جود الشيعة وسحاكون ص ١٨٧

تلك الإيجابية ، أو اعية التي تعطي الطريق على المستفيدين فلا بدعهم يستفيدون
تشارك الحوادث التاريخية . وعموم ، بعض حلقاتها ليرتكبوا أخطاء السلطات
الزمنية . العارفة في حمأة المجنون . أشع الحرائم وأحطها ، باسم الدين
والإسلام والسنة :

نقد مرق الرجل كل الاستار التي تحمي ورامها العملاء ، ورفع الأصبع
الانهم في وجه الكبير والصغير على السواء ، مبدأ بكل المعايير التي صنعتها
السلطات ، وملاحقاً ، لا ، فلايين الأوتل الى آخر رواية من رواياتهم -
(الزجاجية) .

كل ذلك . . من أجل ان يبرر للمسلمين من خلال صواب كثير ، حقيقة
نصب لامامي في سبيل الإسلام ومبادئه ، وحقيقة الأرواح الذي فرضه
العصاة الحاكمة في محنت اليهود . وحقيقة التروير الذي دسوه بين السطور
ان الدعوة الى الوحدة الإسلامية لا يرجع لواؤها في دنيا الواقع عالمهم -
الحاجة ، ونزع من تربتها الاشواك . وعمية التمهيد هذه ليست مسألة طيبة ،
ترجع مسؤولياتها عن كوهن الرواد في عمالة أو ماشاء ، فهي كعمالة مركبة
تحتاج الى خصائص موضوعية ، وقالمات لا حرج إلا في القبة القليلة من
الأعلام .

ولامام شرف الدين بن دعونه الى الوحدة الإسلامية على اسامى اثنين
من المهجبة الموجهة التي تملأ رثة البحث سيما معشاً .
مارس - قدس الله سره - ربيعة عبيدة مع التاريخ . وأبقى أدام
صباه وكهواته وشيوخه في البحث والشق والتعقيب .
روى صاحب الذريعة ما نصه (١) .

(١) الطهران الشرح اعارلك نقاء البشر .

(.) وعزل تاريخ الاسلام عرلة دقيقة مير فيها عنه من صحبته
وبعض حوادثه ووقته صعبة وكبيرة ، وعرف الصحيح من المريب ،
والحقيقة الناجية من الوهم والخيال . وقرأ الأحاديث المروية عن النبي واصحابه
وأهل بيته بأجمعها مما رواه الفريقان قروءة صلبة وثبات حتى كاد ان يستظهرها
كدها . ولقد آمن اموراً وكشف حقائق لم يكن يعلمها الكثير من علماء
لؤلؤ يبعثها قلمه الحار الزهري . (.)

وتعنى كلمة الشيخ شري رحمه الله عن كثير من القول . .
إقرأها ففيها شهادة بعيدة المغزى (٢) :
يقول :

(قطعت عن المعتزتين وجهتهم ، وملكيت عليهم مذاهبهم ، وحلت
بيدهم وبين ما يروون . ولا موصوح لاشبهة فيما ذكرت ، ولا موصح للريب
في شئ مما به صدعت) .

ولعل من المأذون ان نجد أنراً للامام شرف الدين يحدو من صراحة
الى الوحدة الاسلامية لايماء العميق أهمة الآف من جهة ، والعدم وجود
ما يبرر الاخلاق المعاد من جهة اخرى .

ونظراته الى الوحدة - وهذا أمرهم سبق ان مررنا به اكثر من مرة -
تعتمد على معاني العدل والتواضع والاسدية - فهي ليست دعوة سلطانية
تألى من فوق ثم تنساب الى القاعدة ،

المصدحون يفهمون الوحدة والكفاف والثأف على نحو ما كان يفهمه
معاوية أو من شرب من مائه . اى انها حصوع وخدوع واستسلام لمشينة

الجماعة .

ان لاختلاف ونضارح الأمكنة ، والاش . مطهر من أحمل مصدر
التدمع الاجتماعي والبقعة . وهذا بالطبع إن أصبح مستاعاً اليوم فانه أحد
وجوه البوعة الحديثة ، الباعة من مذهب هذه العصر ، أما حتى يصبح الاختلاف
مصدر خطر على الأمة . . يكون ذلك متى أمست بقبح عثمان جلوا ومن
الحلاوة . وحتى استعلت الفجوة من قبل الاستعمار ، وعنده ستقل المشكلة
الى الزناد .

ان رسالة الامام المترحم له ، أو جره من رسالته . ان شئنا الدقة .
نصور في هذه النقطة ، في سبيل ان تنقل المشكلة الى مكر بدل الزود .
اصل مكرم وعهد من أجل ان يولي فميص عثمان الى الأبد ، ولا يخرج
بعدها صماوك ببيع دماء لمساكين ثناء أجر . أولقاء تمجير دمامل أو
لغاه سكب ماء بارد على حقد متأحج . لا أسمع أن ينلجرح من وعاء
ولعت فيه كلاب . . في يوم من الأيام . حجاج آخر أو سلطان سليم
أو حرار . . وما ليما حمان . . ولكن الماموق ايضاً ان المكر الحرسيكه
هي عنه . . وأراً يبحث له عن حجر يلوذ به . .

نحن الآن على أعتاب شبحوحة القرن العشرين . . في وسع أية مشكلة
في أقاصي الدنيا . . في الكونكو . . أو كونا أو قيتام ، أن نهربي أو لفاع
١١٥ في هذا الركن القصي هذا .

في ستموان حرب الحرار ' ' الجمهورية الفرنسية بكل قواها وامكاناتها قائمة
وقاعدة ' ' عشرات من الباريسيين يتهاوون صرعى رصاص المجاهدين :
شرف انرجي ترغبه أقدام جيش التحرير في التراب .
في هذه الثورة . وقف مكر فرسي معروف ، على رأس الماصلين

صد الحرب القدرة التي كانت شها جمهوريتهم على الشعب الجزائري الطل :
اسمعه بقول : (١)

نحن فرنسي المتروبول ليس لنا إدارس واحد يتعلمه من هذه لأحدث
ان الاستعمار يعمل الآن على تهديمه . ولكنه ما يزال يئن الجو .
انه عازنا . وهو يهراً بقوايسيا ، ويظهرها مظهر كاتكانتوري . انه بشر
يسا وباء المصرية ، كما أنفت ذلك حوادث (موبلية) حبراً . : وهو
يحرص على شأننا . ان يموتوا رغماً عنهم ، من أجل مبادئ نارية مبررها
مد عشر سنوات ، وهو يحاول ان يدافع عن نفسه بخق فاشية في صميم
بلادنا . فرنسا ، وان مهمتها هي ان تساعد على الموت . لاهي الجزائر
وحدها بل حبشاً وجد .

معنى هذا ان القضايا العامة سواء كانت بلام او لشعوب و للذات
أصحت بتأثير عوامل التحرر وادعى والتطورات الشاملة التي دأرت ، مبادئ
ونظم حديثة ذات طبيعة معية تنصل صميم مدارك البشرية هذه اندارك
التي تؤمن الزارع لاسمي كسطلق لاحوة وتلاحم وارتباط ، عزيز على
لاسلام . . . اي والله . . . أن يملك الحققة أمة أمكار في هذا القرن
وهذا الحبل . . . بعض المسلمين ، دواع لم تعد حفية يريدونها ، أوما تلثهم .
احواؤاً لهم في الدين . . . وكذاوا يحسون ان العصر سيسعف أطماعهم كما
كان ويده أيام كن الحارة يعمسون الدين بعقبة - جحكر حدن - . . .
ولكنهم أختاروا هذه المرة فلم يدموا الهدف كما لمع آباء لهم من قبل .
اطلوا الرحمة معي لمن مات والعافية من هو على قيد الحياة . لهؤلاء
الأخوة الذين طاش يدهم البهم . . . لمحمد السباعي الحفواوي والردعي
(١) سارتر ، عازنا في الجزائر . تعريب عائدة وسهيل ادريس .

وأنحمد امين . والدكتور مصطفى السباعي ، والشيخ نوح الحلمي ، والشيخ
 وراعيه المحمدي ، وعبد الله الخطيب ، ومحمد كرد علي . وأصول
 وغيرهم . (١)

ربما يلحظ القارئ في الخلفيات مقدمة التي حين استنظر دقي انصر
 اسرف في شدة عصر الحيلك المعروف نوره في مثل هذا الحدث التاريخي .
 وقادني . التي لست مؤرخاً كلاسيكياً ألهم حوادث التاريخ
 وأكثرت منها معرفة كعب وفقت هذه الحوادث ، بل اريد ان اعرف ماذا
 حدثت الأمور على نحو معين وليس على نحو آخر .

انا وراء المفهوم العلمي للتاريخ ، ولهذا تحدي لأقرب عند الحدث
 التاريخية لإيجادها ، ما أنزع عنها الغلاف . . . وهذا أخرى باحثاً في
 مضانها ، عن رأي . : عن أفكار استطاع بها أن نقل الى القراء أحاسيس
 حارة من معارف الآلية .

أدت قد تجد تصدقاً . . . حمة عبد الشافي . ولكك لانجدها
 نحتصن قوه شبيهة واحدة . ومن أراد التأني عليه ان يعارق الشافي
 الى بعيد : : الى الأعماق . .

بما عر ملاحظت وردت في هذا الفصل ما كنت تعني دعوة لأمم شرف
 للناس الى الوحدة الإسلامية . وإذا رفع شعار سحق كل عوامل التفرقة
 بين الأمة وانداهب الأخرى عن صديق عرل أفكار اصحاب المصالح من
 (١) راجع ما قدمت عنه فلامهم التمسك بوضوح شح الأمور بين محترمة القرآن
 وجمهر الاسلام السنة العتوى الحامدية لاسلام الصحيح بخلافه ، لاسلام التي تصبر في نجد

الحكم والوعاد والمترقة عن حص قاريح العام .

وهذه في الواقع مبهجة رائعة . لان إقتصار أوجه الخلاف بين طوائف المسلمين على المسائل التي تلى حث عدوان الاحتجاج والبحث والمناقشة . وفي الأمور التي تحمل صبح بحرية المفكرة مما يشق الجزء العنيفة في دنا الاسلام . ولم يبعث في محيطها الثغاني روح انصوح وانحس ولا داع .

فقرأ كيف يصح لآمام شرف ندين يده عن الداء (١)

(. أما اذا كنت الامة اوزعاً مديانة . وشيخاً متاعصة . لاهية بعثها . هائمة عن رفها ، بكوير حيث مات الشيخ ، ومها في تاريخ ، أدل الأمم درا ، وأحدها قرار ، حافة الشارب . وبهرة انطباع . وهدف السهم . وقصة العجلان ، في راحة د . رحمة صديق ، وعرضة موت . وحومة بلا . لاؤى الى جراح دهرة ، ولاعصية . نطل منعه . محذر حمار من هفء العرفة . وثشت لامة ، وخلاف لكسة . وة مر الأفتدة . ولا يكونوا كمدين تعرفوا واحتذوا من بعد ما جافهم البيت . ولثك لهم عذب عظم . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا ينفقوا . وان يدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ ، لسا أمرهم انى قد ثم يدينهم ما كانوا يفعلون : (.)

ثم يقول في نهاية هذا الدال السحر محضاً مديان

(. فهلا شرعوا خطي أقتلامهم ، وجردوا صورها . ووزنوقي أفكارهم شوقها ، فارعفوا من العصية . وصحقوق آثرها . وصادعوا بوظائف لاساية . ورفعوا مارها ، وعتوا بدعوة السدى . واعتوا بدعوة التشيع والتسن بحصة بملا سمع النذر . ومكرمة تفان حلايد الصحر .) :

(١) شرف ادين . السيد عبد الحسين . التصول بهمة .

هذه الصرخة هي التي صعدك قريباً كل القرب من أفكار الإمامية ، ومن
بصرتها المدركة الى الاحوة الاسلامية معاً الواعي . ومن حرصها الشديد
على شرف الكلمة .

والحقيقة انه معظم قادة الفكر لامي درجوا على قامة هذه الدعوة
الحالصة وبشرها ، نظريةً لهدفهم الأكبر . وهو حماية الشريعة الاسلامية
وصداقتها . وتحميهم لهدفه ماءً مع المسلمين ، والمآلة رمتها بعكاس
لواقع عمل . ولأمامية ، وتفكر الاممي دعوة اكثر شمولاً ، يستمد طاقته
من تاييد الرسالة المحمدية ، ثم تحول هذه التمسك ، وعلى صعيد التطبيق
و تصرفات اخلاقية نصفى على شموع العلم هذه السكة اللبلة من وضع
النسب ، ودمثة الحق ، وترن اليان (١)

و المكمر والثلب والامر لا يتحقق بها عرص منى . ولاني مقدورها
أن نظمى حقائق تنصير كند الحقيقة كاشمى ، كما انها من جهة اخرى
لاحق لأصحابها وجوداً مكرراً بعدد الامام . بل ، لعكس سمو أسباب
التمرق واستطبل في الدنة التي يخصص صرورها الحيد ، وهذا ما حدث ، وتعمل
في دنيا الاسلام ، شكوك ورصيد ضخم من علامات الاستفهام .

سمع ما سوله الامام شرف الدين ش مقدمة المرحمت بهذا الصدد :
(. : زاء فكرة ، كسب فقد سقت مراحمة سناً بعداً ، إذ كادت
تلتع في صدى منذ شرح الشباب ، التماح الترق في طيات السحاب ، وتظلي
في دنى عذات العيرة . تطوع و سبل سوى روقف المسلمين على حد يقطع
(١) على سبل المثال راجع كاشف العظام محمد الحسين أصل الشيعة
و حصولها ، و راجع المختصر الفع للمحقق الخلي وتأمل مقدمة العلامة القمي
لحد وها حاريت وكثرة كذبة ونحصة ومطوعة فورة محر الخليل المحمدي الصادق

دار الشعب بينهم . ويكشف هذه اعشاة من أبصارهم ، لينظروا الى الحياة من ناحيتها الخدية . رحبي الى الأصل الديني المخصوص عليهم ، ثم يبروا معتصمين بحبل الله جميعا تمتع لواء الحق الى العلم والعمل . احوة بررة يشد بعضهم ازر بعض ، ولكن مشهد هؤلاء الاحرة المتصلين مبدأ واحد وعقيدة واحدة كان (والسماء) مشهد حصوة هيفة ، تعاوي الخدال عور الجهول ، حتى كان انجاد في مانع البحث انما من آداب لمصرة أوانه من قواطع الأدلة . ذلك ماشر الحتمية وبدعو الى التفكير ، وذلك صيحت العلم والأسف في التحيلة " ، وكيف العمل ؟ (نعم ما الخنة " ، وكيف العمل " .

فقد واع كبر يتطاع الى وحدة المسحين ، ونزع معه الكيرة الى افق مشرق مسيح . ثم بأي بعض المسحين مدفوعين بأدب م بعد مجهولة كتابا ، يعرفون في الحدود لآس كمت ودعاوي وتحين لانت ررحا ولاعطي حيرا . ليدوروا لا استجابة على كوجل احوهم في انفس لم يكن الامام شرف اندس أسير فكرة ممدمة . ولم ينسب في حياته الى أية فئة تحمل هذا اللون من التفكير ، ودد كرت آثاره مطبوعة . صاع عتيدي فلا يعني ذلك انه متأثر بمقدورات هذا الشأن

كان المترجم له يؤمن ان كل كسة تمت من قلب حقد مريض في مقدورها ان توهي مسيرة الاسلام . ون غعد المسحين في منتصف الطريق ولذلك أدرك منذ الملاحظة الاولى لديه كمادحة ن مسوؤايه نصب على مقارعة هذه الكلمة الممدرة . لكن الرصائل والأصااب .

كان يسعى بقوة وجهد الى نقل المسائل الخلافية في صعيد حقد وكثير ودمس ان صعيد احرة وعم زعمي وداح . تكون تلك السبعة راحة

في أيام الجهل والفرقع والفسور . أيام زمان . . ولا يسمى ذلك ان
الناس سيقلون عليها دائماً لان عد محاسن وصانع الاشياء
من أية صناعة معشوقة ، لا يلقى في السوق رشا باستمرار فيكتشفها
الناس لاحالة عاجلا كان ذلك أم آجلا :

وفي قضيتنا هذه اكتشف المسلمون العملة الزائفة . عرفوا لماذا بها حم
الامامية . ولماذا ترمى في وجوههم سلسلة من اتهم الكراء . . المداوة
لمطلق الدين . . بلاتحفظ ولاذمة .

يقول الشيخ احمد حسن الباقوري (١)

(: وعندما تدخل مجال الفقه المقارن . وتقيس الثقة التي يحسنها
الخلاف انعمي من رأي . وفي اوس تصحيح حديث وتضعفه . لحد ان
تدعي بين الشيعة ونسبة كاندسي بين المذهب الفقهي لاسي حبيبة والمذهب
الشيخي لما لك أو الشاهي . أو لدى من يعملون هادر انص . ومن
بأخذون بموضوعه وتجاهوا . ونحن نرى الجمع سواء في شداد الحقيقة
وان انعطفت الأساليب) .

نعم عليك مرة الاسلام . فاراد بين هذا الرأي الحر الناص بالحياة
المسوء النقول الداعي رسالة التوحيد ، لمشع مدمرة ، وفي قول الاستاد
احمد امين رحمه الله :

(. . وحق ان التشيع كان مأوى ملجأ اليه كل من أراد هدم لاسلام
لعداوة او حقد ، ومن كان يريد ادخال نعيم آرائه من يهودية ونصرانية
وررد شنة ، وهذه . ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته

(١) راجع المختصر السابق للمحقق الحل . مقدمة العلامة الاستاد

الشيخ احمد حسن الباقوري .

في دل تدفين . وشكسته في . كليل بالمتصين . ووحدة في تكبير
أوحسين

. . .

وخلصه منقذ ان المانة من الوجهة التاريخية قديمة ، حرص فيها
كتاب . وبحثها رجال دين . بحثها اولئك وهؤلاء من راوترن القيمة
والاربع . بحثاً واسعاً ودقيقاً ، أدى في كثير من مراحنها الى معارك وصطفاءات
عندها حقة،ها المصيدة .

وحيد في الموضوع هو أسلوب الامة شرف الدين في دراسته الفقهية
وفي غيره الأعوجاج لدى لارمها عدة عشرات من السنين . وذلك بوصف
البصه في بحر من اوسوعيه الرشيدة التي تؤمن بالدعوة الى نيل كل ما يشبه
كرمة لامة الله غير راسر إلا الى حدود الفكر وحده الرأي ،
مطلق الرأي

وقد أعطيتك فكرة مسطرة عن توجهات هذا العهد منه وصول الله
عنه في اعتق دراسة مسطرة أيضاً من حسن حواسم الاختلاف
وقد دخل لرحل تاريخ الفكر كمعكر جري . أحده حماسة البحث
بكلمة من كلمات الانتصار العظمي فتركها تدور له أو صيه بدون قيد
أو معارضة .

وبعد ذلك . . .

أعرف بصرحة ب الكسبة من الامام شرف الدين مهمة شاقة ،
وشلغ مشغها التدروة ، حين تحول الى رأي دولي ملوثة الى الخدمة ، ومع
ذلك تمتد كست عن لرحل مقدار مهمي لآثاره .

الفصل الثاني

عميدة . . . ومدرسة

ومؤرخو الفكر اليوم يجمعون على ان آثار
الامام شرف الدين يمتد تعريفها الى مفهوم
المدرسة . . . وهي بتخصصها في معالجة قضايا
الفكر الامامي . استطاعت عن طريق تسليط
الاحواء انكاشفة على المشاكل التي عدها
أنداء السياسة ، ان تلمح ، لئلا عن كثير
من شؤون التاريخ والفكر والاخلاق .

ان الكسح في سبيل العقيدة - بصرف النظر عن تعيين صفتها - مسألة عاشت مع الانسان الوعى ، ومارستها الانسانية على امداس انها مرحلة منه من مراحل النضوج والشرف . وقد جعلت هذه المظاهرة الايدولوجية يمكن معاني التمجيد والاكدار في كافة مراحل التاريخ ، وتساوت لظهرة الزمان من قبل صائر متكررة موروثة ، وبنفسها من انصار المادية العلمية .

ومنه في ذات العقيدة ، ليس من معطيات المعاصرة المحصلة ، بل هو حصيلة محاولات وحددة أصينة يعظم مداها عقل راجح ، ولذلك كان مساجدهم العقائدية ، وبصيص ، مكانة مرموقة في سيرة الانسانية ، هم وبأصراهم ابطت آمال شعوب ، وتصحيبتهم اربعت حياه ، وحققنت الوبية .

ولجهاز العقائدي لا يبنى ميداناً معيناً بصرف اليه الدهن ، وإنما تمنع رات اصلا - تأثيرات عوامل الدولوجية ، وعوامل الأثرة وما يتفرع منها من شؤون بدنية في حقول الاقتصاد والثروة والاحتناع ، ولهذا فجهد الفكر وجهاد العلم ، لا يتلان شتوا عن جهاد الدم ، وتكل ميدانه وصلاحه وصولته .

وتفكر حين يحضر بمرحلة علمية مركزية ، وفي مشواره أن يشعل القليل وأن يؤجج أوار الثورة ، وفي وسعه ان يقلب ثائرة المحتمات الكلاسيكية ساً على عتب .

والفكر الاسلامي على هذا الصعيد - حفظ للشخصية العقائدية شكلها الهندسي ووجه لها صاها ، وعطيت شهادة الحسين (ع) روع مثابا بصراع العقيدة في الاسلام ، حيث فتحه في ذواتها وكنار مبرحة كما قسا ، وتنتهي عندها

شئى أديب يقين والحنس الاساي . وروعة التصميم ، وقيل ذلك حانت
هذه العقيدة منها من فرد وهو الرسول الكريم (ص) قوة حجارة هشت
كبرياء الجاهلية ، ورفعت على انقاضها حجارة الاسلام النوارقة .
وحقيقة كبرى .

اد حائط العقيدة دماً . تحوات (كرامة) ساعة المصاحف الى
متحجرات ، تصارع الحديد . وتحيل الصخر الى رواب

. . .

ونقدر ما للصكر من دور في هذا المجال . فان لنذكر كذلك دوره ورحمه
وبتصاراته ، في مقدوره . للقلم المترك - أن يحرك السرخ . وان يرزق
الأرض تحت أقدام الظالمين ، ودونك حجارة وصحفاته . شهدت سجالات
عنيفاً بين القلم وبين أعدائه المترتبين .

هذا يملا التربة بدوراً تنتج بقصة ، ونهض نورة . واولئك بشرور
على الناس . على أخبارهم . صمات الرندقة والكهر والبروق .
وفي منقطعات التاريخ - تاريخ الاساية - تلؤل من الرؤوس المهشمة
رؤوس طعنة ونيروبيين وجلالرة . والى جانبها تنصب أفلام حية . .
متسرمة بالصلال ، عبة بالثجارب . مفعمة العمد . بنصوع منها غير
الاحلاص .

وقفة بسيطة عند ربور آل محمد . . . لوحة قم تاريخ .
يستمع الناس ويقرأون أدهة الصحبة ، ويتصور معظمهم انها مجرد
دعاء . . حاجدة . صورة قلمية لصلة روحية بين العبد وبارئه .
والواقع ان من يتأمل الصحبة وكلماتها ، وتهنئ ارادته على دراستها
دراسة استيعاب وتمحيص . يجدها مذكرة سياسية عميقة ، تعكس آراء

ومبادئ وأحاسيس ، هي في مقدماتها . وتوليها صادرة عن بعض الفرض
الذى استشهد من أجله سيد الشهداء ، أما نادى جاءت هذه الاسلوب ، ولم
نأت شكل آخر ، هذه هي الحكمة بعينها ، وتلك معالجة لطرف لا يقيده
غير هذا العلاج : (١)

المهمان هذه الصحيفة أدت دورها الاخلاقى في إلحاق الهزيمة الأدبية بكل
أدوات الحكم الأموى في حبه وعمرت اولئك الوحوش ، المتفترين الأورار
أقطاب المعارر . - سعدى مأساة نصف

هؤلاء جدياً نهشت رؤوسهم على صفحات التاريخ وفي اذهان
الناس الطيبين . .

أما صحيفة (شاعر الله) (٢) ، فهي باقية ، وغالدة . . مرفوعة
للهامة . . واصحة المرة . أقرأها أنا ، ونقرأها أنت ، ونقرأها الأجيال
جيلاً بعد جيل ، بكل تواضع وحب وتقدير .

وصدق الدكتور الوردى حين قال (٣) :

(وقد أصبح أن يعتبر القرآن ، والصحيفة السجادية ، ونهج البلاغة
كثاً ذات منهج واحد . هو منهج الثورة على الظالمين) .

وعلى كل . .

(١) وكذلك موقف الامام الحسن (ع) في سادس مظاهر آخر من
مظاهر هذه الظرة الحادة . لاستيعاب دقائق هذا الموقف . راجع صلح الحسن
للشيخ العلامة راضى آل ياسين رحمه الله .

(٢) عنوان كتاب للاستاذ السيد صدر الدين شرف الدين بدرس
فيه الامام علي بن الحسن على صرة الصحيفة السجادية .

(٣) الوردى . الدكتور علي مهرة انغل البشرى ص ٢٣٨ .

. في كل زمن ومكان . لابد وان نجد نفسك بين وجهين أو عتيين ،
أو تقبضين على حد سواء . بين علي ومعاوية . بين الأمويين والعلويين
بين محارر رهينة بنشر من حولها الالام . وبين صحيفة أنماها قلم إمام
تقرأها فتعمرى في أعصاها موجة من الراحة والاستمتاع .
في جيلنا هذا . .

نمتنع عيبك في كتاب للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله . « ففرحك
رهة الخقد » . بقمة . ورد وصغير . وحرارات . اسم الدين نصاً
كما كان يفعل معاوية ويزيد والوليد . ثم انقلها الى كتاب مراحمات . مستحد
فعلك حتماً في دي حديدة . رياض مشحونة بالورد . رقيقة وبرجة
وأفاحة . . وعالم مغمم بالحماة سحره وعذيقه ورشحه .

وايس كتاب المراحمات وحده ، وهو من أروع أدبيات الفكر الأممي
بضم كل هذه الصمات الباحة ، من برعة اسمية متأقة ، دل ب صائر
الآثار التي وضعها قم الامام شرف الدين تقسم فداً منها هذا الرصيد
القصيم من إعجاب المصنفين وتقديرهم ، وصمد ذلك يعود الى ان الرجل
حينما كان يكتب ومؤرج ، كانت لانهم على قمه وروحه ، اعتقادات
خارجة عن إطار الاسلام ، فتعرفه هذه الاعتبارات عن منهجية الرائدة
التي لانعرف ابدأ بالتكوص أو الظنون او المعاداة .

ومؤرجو الفكر اليوم يجمعون على ان آثار الامام شرف الدين يمتد
تعريرها الى مفهوم المدرسة ، وهي شخصها في معالجة قضايا الفكر الأممي
استطاعت عن طريق تلمذ الأصوة على المشاكل التي عدتها أندية السياسة
أن تميز اللثام عن كثير من شؤون المايح والفكر والاحلاق . صورة
تكاد ان تكون فريدة من نوعها في تاريخ المدارس سواء كانت يدية أم

أدبة أم صياصية

وقيام المدارس بمختلف أجهزاتها ظاهرة حضارية مألوفة ، تقود روادها ، وأنصارها على أساس منهجي معلوم الى حيث نبتع بهم مستوى الاتساع المعرف عن أفكارها ، وأهدافها - وحطوطها العامة - وقيامها قبل ذلك يستند الى دفع معين يتحكم في عبرى سيرها ومسيرها :

مثلاً . المدرسة الرومانسية : . هذه المدرسة التي كانت تهدف الى احداث تجديد جدى في الأدب والفن ، وللتى ظهرت في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي أوائل القرن التاسع عشر ، والتي احدثت بالفعل انقلاباً خطيراً في الشعر والروايات والمسرحيات . قامت هذه المدرسة نتيجة رد الفعل القوي من المعارضة في احضار كل شيء للموازين العقلية (١) وهي شرقنا العربي قامت مدارس متعددة ، أدبية ورسنية - كتب لبعضها ان نسو وأن نردها ، وأن تؤدي خدمات جليلة في مجالات متعددة من حياتنا العقلية ، كما ساعدت على تطوير بعض جوانب الحياة في هذا الركن من العالم . (٢)

فالمدرسة بدأت باست مظهر عميقاً من مظهر الانطلاق الثقافي ، كما انها كانت واحدة ليار فكن يرتفع اسواً من الأساليب ، بل ان المدرسة مفهومها بمعنى أوسع مانعنى عمية صهر ثقافية ، تنتهى الى منهج واضح المسالك ، ويكون هذا المنهج حاسماً للمدارك واعية تقوم الطبع على مقاييس سليم ، ورأى مشمول بمسحة عتيق :

على ضوء هذا الاستهلال البسيط . نستطيع أن نهمهم بسهولة ، طبيعة

(١) غلاب . الدكتور محمد أدب الثورة

(٢) مدرسة ابولو . ومدرسة الامام في مصر .

تلك الظروف التي ساعدت على قيام مدرسة الامام شرف الدين ، وأن
نهم ايضاً ولم يهاجمها ورسالتها ، وماورثه للفكر الامامي من راد
متطور دسم .

ومن القضايا المعروفة في تاريخنا ان مفاهيمنا لاسلامية خضعت ودحاً
طويلاً من الرمن لمقدرات سياسة وآرها . ومؤثرت عوامل حمة . نحتل
الرأى العام الى مستوى تصديق وتنش شهادت عمل على ترويضها ونشها رتل
من المرتقة والمضارطة ، فرحت الأمة الواحدة في معارك دموية وكلامية
بلا أية دوع يقنع بها عند مورون ، وذهب ضحية هذه العوالية المصطنعة
جانب كبير من المسلمين .

هذه الأمور بمجموعها خلقت في الجانب الذي ذهب ضحية المطامع
السياسية مسؤولية كبرى ، ولابد ان نصب هذه المسؤولية الداعة في أعناق
الممررين في حقول الدين والعلم والمنة

وكان السحاوب مع هذه المسؤولية من قل المتكررين لا تطرد في مستوى
واحد ، وإنما أخذ اشكالا متباينة ، وقد أهرت من هذا لأمر . وضوح
الدرامات العقيدية المتوفرة بين أيدينا في الوقت الحاضر .

كان بعض أعلامنا يرى في الوقوف بوجه تلك امتزبات صراً من
الأمر المعروف والنهى عن المنكر ، وكان بمصهم يحصره العامل لاجلاني
الى كشف اوكار التلصص في التاريخ . وقسم ثالث كان يرى في دعم
الجانب الموضوعي لمحتوى المنكر لاسلامى احلاصاً لروح الثورة الاحتمالية
التي محررها الاسلام ، والتي اتجه الى تحقيقها بمداهها الواسع المؤمنون الابرار
ومقدار متصل الشخصية بمدرسة لامام شرف الدين من كل الشؤون
المنقدمة . فان قيامها كان بمثابة ظاهرة فيريائية (رد فعل) .

جهات سياسية ميكوبيلة شرسة - مسعرت موبدها انشربة والمادية والمعموية ، من أجل دحر حجاج معارض ، اكبر مايتهم به الانصافه الشديد المصيف بروح الاسلام .

كان لابد ان تتمحص الاسم من عمل حاسم عدد ، يمد دعوى الخصومة ، وحطم محطتها على صمد المكر .

مكانت طرسة الامام شرف الدين .

ومن اجل الشروع في استطلاع دورها في حياة الفكر لامامي مستعرض فيما بي افكار رحا لاخو من عائلة في هذا الداب .

عنى المسلمون في نهاية القرن الماضي ارتكاً اجتماعياً قصبياً ، كان صبه العراق التمكري وتحط الناس في مقاهات محطه شديده الجفاف . ولو حاولوا دراسة مسأله «مهرج» وتخصيصا «خوامس» التي «وردت له مكاناً خاصاً» لقيامه ، لوجدوا انها لا تخرج عن المصامين الذرية

١ - الحلاوات المذهبية . لقد اورثت هذه الاحتلالات للفكر الاسلامي الكثير من مقاهب ، وتحت في صمود العديد من نطعناته الانسانية الحكمة وقد اطلعناك على شيء من ذلك في فصل سابق

٢ - المواقف السلبية حيال الانجازات لتكرية الحديثة . لقد اشرفت الطيقة القائدة يومئذ . وهم اقتصاب الحورات الدينية . وبعض اسورين الكلاسيكيين - بمقاييس تلك الفترة - صرباً من الانطوائية كحل - هكذا كانوا يعتقدون - يقسم للمجتمع الاسلامي تصمود بوجه العرو «تمكري العربي» .

وقد ثبت الدليل والبرهان عقم هذا المنهج ومطحيته . بل وفشله في تحقيق ولواسة ضئيلة من النجاح . إن السلبية رحا تكون دواء لحالة مشخصة ، يرى اهميتها لذلك الحالة لطاسي الحادق . اما استعمالها لكن

الحالات ، فهذا حرف لكل اصطلاح معقول . بل وجهل بكل معايير
للتحسين والتميز (١)

٣ - الاستعمار وهو الآفة الكبرى . جند طاقاته كلها في سبيل
تعميق مسألة العن والعن في مجتمعا ، بما اوحده صناعه من الاوطيين
والمصلحيين ولاحتكاريين وأصروهم من مفاهيم تعبير مصالح الجبوع ،
ونشيطهم بكل الحركات العمالية التي تعمل على حصر الأكر الإسلامية
الشابة ، في قوقعة مظقة لايفذ إليها النور .

لقد دأب الاستعمار بمقتضى بشاطئه التحريضية في اخفيل الاجتماعي
- وهو الذي يهتما لأن بصورة رئيسة - على الاستعانة بكل النوازل والاسباب
من أجل تمكيك عرى الوحدة والتدفع إلى أصرف المجتمع لاسلاي ،
ومن أجل اريك لاجوء التفكير بعلامات اشكيك ، وما إلى ذلك من
وسائل للتحدى والقلق .

٤ - الاستشراق . كان المستشرقون في الواقع سبقوا إلى عروا
تراثنا ولاهتمام به والده سمره ، ان شعر من أعراقنا بالاحترام والاكبار
لغير جيل مهم ، ان وسعند الاماني الذي بدأ بشر نصوصا قبل مائة
عام وكثر ودحويه ودورى دموا خدمات كبيرة لثقافتنا القيمة وتراثنا .
هؤلاء انديس درسوا لغة ليست لغتهم وأدأ ليس ادبهم وبشروا مؤلفات
لا تتصل بهم شئ ، قاموا بذلك كنه خدمة للقيم الحضارية التي نصبتهم
تلك المؤلفات .

(١) لقد دأبت الإمامة الذات مرره اقحام السبية في موقف
سياسي نهض في اعقاب ثورة العشرين ، ومازلنا نتخرج إلى اليوم ورما إلى
ايام قادمة طوية معية ذلك التعدير .

غير أن البعض من هؤلاء حملوا فحوات واسعة وهي مستوى مدنى
 من حيث الفتحوة وحقوقه (١)، كأت هذه الفحوات مع الأسف مصدر للبلية
 في تكبير حسن مثقفينا أدت بهم إلى التشكيك في صحة التطبيقات الشرعية
 التي حملها الإسلام إلى الناس
 أصبح بين يديك الآن مثلاً واحداً ، لعله تكشف لك طبيعة هذه
 الادعاء شيئاً مما أريد التأكيد عليه

يقول الدكتور علي الوردي في كتابه وعاد السلاطين ما نصه بالحرف (٢)
 ولقد عثر في هذا الكتاب بعض الصفحات المرقرة بين تلويح بعلام المسوك وغير
 المسوك ، فاللواط بعلام غير مسوك يستوجب في نظرهم "عزل والرحم" أما
 من يوط بعلام مسوك له فلا يستحق عقوبة غير الحرمان من النقاص . ومعنى
 ذلك أنهم يقتلون الفغير الذي يوط . أما الذي يشتري العمدان ليوط
 بهم فمقاه إلى يقول له الذي
 فف . ففحت الله . . .

هذه كما نرى تهمة خطيرة ، بدون احتوى الاسمى لخص بارز من
 خطوط عقيدة كسليم ، هذه القضية لو وقف عندها أى مثقف تنصت
 بين صدوره برعه تقديمية . وبأكد من وجدها في صلب مداركها الفقهية
 فإنه معلور لو قلت من القاطلة ، وناء في الدروب ولا رفة ، لأن المسألة
 حدد دنها لا محتمل أى وجه من وجوه التأويل أو السرير أو أى معنى آخر
 من المعامى التي تندحل في تقرب المعامى الفقهية الدقيقة من أهمها وحوطها
 (١) السمرى . الكور . راهيم . مقدمة في تاريخ القرآن . مجلة
 الفلاح العدد السابع السنة الأولى .

(٢) راجع الصفحة الثالثة عشرة من المرجع المذكور أعلاه .

افندي من ابن حمص الدكتور انوردي هذه التهمة .
 اكبر الظن انه أحدها من «مشرق آدم» ، الذي وثقها يدعه
 ونقصها في كتاب ابن السككي ، ودونها في كتابه عن نصوص الوثائق من وجوده
 في صلب مقوماتنا الشرعية

٥ - التبشير . وكان للتبشير في هذه المنطقة دور كبير راد في بعثة ط. و
 وأسهم في جعل المرح المكري في محيطنا الاسلامي حديثة واقعة ، وقد نجح
 التبشير في إحداث مسؤولياته بصورة تسترعى الانتباه .

ويجب ان نعرف ان سياسة التبشير في المرحلة الاولى لا تعني أن يصبح
 الفرد المسلم مسيحياً ، هكذا بسهولة . الخطوة المطلوبة ان يكون الانسان انساناً
 في واد ، ودينه في واد آخر . ما بينهما حجاب . مرة . انقص
 شمس اليوم ، ماذا يرمطهم . بينهم ؟ تصرفات ، ومعالجات ، ومساوك
 بعيد عن مقننى ما ينطلقه لاسلام ومن يفضي تحت لوائه .

ان اسنح التي رنت على النشاط لتبشيري في اوساطنا الاجتماعية
 وانفاق هذا النشاط الى نشر هدايت ونقايد ومبول تدفع عواطف المراقعين
 والصدق . وصف التزرة ، معروفة وملموسة . ولا حاجة الى المرور بها ،
 والاهم في التحدث عنها .

هذه الأمور ممتعة ، ومتعارة . نقلت الى محيطنا حادثة مرعبة حسيمة
 من أبرز أعراضها . موجة (الصياح) ليلية الى تحتصر بين طياتها
 أحوالنا العامة

والدليل على ذلك : : .

نكاً كالأهل . واضحوه الدين على المجتمع الاسلامي ، وغرقه

في بلجة من المصطلحات المكمومة . . وفي هذا المنحدر من التفتك واللامدابة والميوعة ، كتب للدين الاسلامي أن يخوضها حراً شعواء صدحهموع هذه الارماث ، وماروحته من أساطير ومفريات وندع وحرائر وشجون . ان مواريث العنرات الكالحة التي مورت على العالم الاسلامي منذ زكية بغداد وفي نهاية المثرة المظمة كانت نكبي لاحماء معالم الاسلام الحية عن هوائر المسلمين تحت طغة كريمة من الاطيل .

وهي وسعك أن نعدر مدى الخطورة لواجتمع الى هذا المراث السبيء تلك العوامل التي حددناها قبل اسطر :

فتح الفرد المسلم عيبه على الدنيا في طبع هذا القرن . وهي تمور ماضر اليقظة واتقدم والتطور . شعوب كانت مشاولة . هزيمة . . تدق . ما بين عمضة عين وانتاهتها . في هروقتها دم جديد . فاذا بها تسابق الريح .

وشعوب اخرى . كانت تتحدى العريف . فبنت دوار أرضها الى جنة وادوة . . لم تقرا عنها دعاء أطويلا . . ولم تدرس بين طياتها تعويذة ، أو . . بل مسحت عن دهرها رسوبات متكاثرة قديمة ، ومجرت بل ذلك في أحاديده ، نشاطاً ووراً واحساساً ، ثم استحدثت ذلك كله في سبيل خير الانسانية ، ومصلحة الانسان ، ومكانة العلم .

الفرد المسلم ، يرى ذلك ، ويسمع أصعاف ما يرى ، ولكن لإرهاصات الكهان ، كانت تمنع هذا الفرد من أن يصع قدمه في العرة المنطقية الى الامام أبداً .

ومن صعد إليها في خلة منهم : فهو زنديق .

كان المرحل المفكري إذ معصلة شائكة ولا ريب . عصفت بكل المفومات
التي كن من المؤمل أن تسد الساء ، وأن تحصن المفاهيم الإسلامية ضد
كافة المخاطر والألتواءات .

وهكذا ضاع أمل كمال في رحمة تحطّات لا واهية ، وكما تعاقت
الأيام . كلما كانت تنجم على السطح علامات جديدة للتفكك والانحدار .
وكأن من مظاهر ذلك . أن كل دعوة كانت تقاتل اليأس من الخارج
بأنف حوالها أنصار بعدد النجم والحصى والتراب .

ولوقامت شيء من النقص كما قدما خلال نصف قرن ، من الصحابة
صحابا الصالح والعراة المفكري ، لأحد منك العجب مأخذه :

ولقد قمت مراراً . العالم فله موجة حصارية لم يسبق لها مثيل .
تقدم مادي في كل ناحية وصوب : : سباق في دنيا الاحتراع ، والاكتشاف
معادلات رياضية (١) دقيقة . يضع رمورها على جدار . تتحول على احدى
جمهرة من رواد مدينة القرن العشرين ، إلى معاصر . انطلاق الدرة . وعصر العصور .
وقدما الروحانيون . رحم الله من مات منهم ، وحفظ الباقي ،
كانوا ومارالوا إلى اليوم ، يصرفون طاقاتهم من أجل أن لا يهضم حوص الكبر
مستمترا واحداً .

ومسألة حوض الكبر واحدة من مئات .

لا يريد من العالم الروحاني أن يصرف إلى المختبر . ويشترك وراءه
مسؤوليته الكبرى . أن التخصيص في دوران انشعري جزء خطير من

(١) نظرية الزمكان لأينشتاين ، وهي النظرية التي نعتت قوانين نيوتن
في الحادية . وعالجتها موضوع زمان على أساس أن الكون يحتوي على أعداد
ازمنة لاأزمنة ، والكون يحوي نحو ابعث الرابع وهو الزمان .

أفردنا العامة ، ويجب أن يدعم بكل الطاقات المتبصرة التي تضي وتوسع فيه بكون جهازاً روحانياً ، يقود ويصاح ويشيد .

ولكن . يريد من لقاء ذلك أن لا يقف عند حوص الفكر وإعادة . والمسألة كشال لاخير . وقمة تستند طاقاته ، وتأكل وقته ، تريد من أن يدرس شؤون العصر ومشاكله . وكل جديد فيه . أن يعهم معنى المبادرة الحارة (عدموا اولادكم ، فقد خلقوا لزمان غير زمانكم) .

. . .

في مثل هذا الجو ، برزت مدرسة الامام شرف الدين . فكانت هاملا دهماً من عوامل تسويق الفكر العفدي . واطهار حصائنه على الحو الذي يصل بين ماضي هذه الأمة وحاضرها .

قامت هذه المدرسة في فترة دقيقة وحرجة قديمة . فترة كانت تضطرب فيها آراء . وتشكك في صحتها ميول . والناس يومئذ في أزمة فكرية تكاد أن تكون حادة . والمراع كما قل يستحوذ على مشاعر الناس وأحاسيسهم .

وثمة حقيقة هنا . كان جيل الامام شرف الدين . هو جيل العنق قيم تشده أي الورا ، وأهكار جديدة تحاول أن تنزع من واقعها ، ولكن أمة مرت بهذا الدور اعتراها القلق وساورتها الظنون .

وكان المفروض في قادة الفكر ، وقرسان للثقافة ، يومئذ أن ينشروا الى اهراس هذا الواقع المسمي الخطير ، فيجسدوا الأمة مصاعماته وآثاره : كان عليهم أن يقيموا (ترسانة فكرية) من مبادئ وقرائنا وإحلاقنا . . . تنتشل المجتمع الاسلامي من شرور النيصان . ولوائهم يادروا الى ذلك في حينه لتعبر بحرى تاريخ الفكر لهذه الفترة على الأقل ، ولكان الناس اليوم يتمتعون بدفئ افكارهم الى جانب المظاهر المترفة التي أفاضت بها عليهم

مدينة هذا القرن :

ومن الضروري ان لا يتبادر الى الذهن ، اني اميل الى حجر الفكر
واربائه سلسلة من التماثل والتعاويد ، او اني ادعو الى شل المتهم الديمقراطي
بمعناه الذي يسمح فيه للامساك ان يقرأ وأن يفكر - وان يناقش في الأمور
التي تروق له وتستدر اهتمامه .

الذي أريده ، ان كثير من اعلامه في اواخر القرن التاسع عشر ، وفي
مطلع هذا القرن عرلوا - وهذه حقيقة ارحو ان لاثير مشاعر احد - انهم
عن واقع الفكر يومذاك ووقعوا في وجهه لآراء الجديدة التي تعجز عنها
العقل البشري ، وقعة ليس فيها من عناصر التكافؤ اى شئ . كس يحارب
عملاقاً مسلحاً بسيف من خشب .

ان الرسالة الاسلامية لم تكن رسالة مسجدية فحسب - بل كانت رسالة
مسجدية واجتماعية وثقافية ، وفي وصفها يمكن تأكيد ان تماشي النهضة العالمية
الى آخر مدى .

وشيء واضح ، ليس من الممكن ان تحصص مدينة هذا القرن مساهماتها
ومظاهرها الى شئ اسمه لإحتيثار نحن محتار أمراً معيماً ، ونترك أمراً آخر
هكذا بارادائنا ، مظاهر المدينة التي عرتمنا ونعزوفنا في كل يوم مسألة واقع
ودورنا - أعنى دور القادة - قادة الدن والفكر . ان لا يتركوا الطوفان
يلتهم الجبل بأقله . عليهم ان يتحاوروا ولو قليلاً مع الاجتهاد الذي شرع
بقينا ليوم الناس هذا .

أما السكوت المطبق . . والميلية على طون . الخ

فصوت نصل وإياهم . بل الخافة . ان لم تكن قد وصلناها بالفعل .

ناس في كل بلاد الدنيا التي اردت شمس الحصار المصرة .
متساقون الى الامام فتمت هرونة .

أما نحن فمنا في نهاية الصف . دح حلك هذه سر كشة . امرأة
ربية صالحة تستعمل لأول مرة مساحق . كس فاكثور . تقليد بلاهي .
نعم . في نهاية الصف . وإذا كتب لنا أن نخطوها الى الامام خطوة
ورحفت المصعدة . خطوة . ثم لوقوع في حوة . أزمت . خصومات .
حمامات دم . رجعية مشوية . تقديمية مصطرة .
أندري ما هو حسب .

أما نصرا فبعض الناس في من أحقاد متفجرة . والسعي الى تريف
مناهير . صلبة . ثمرات امكارت . ايجاد كفة متراصة تقف بوجه نزعات الفكر
المرسى . وماجره وراه من أدور ودمعت وتحريجات .
اهتمامهم . مسائل بعيدة عن روح الدين . وامشالهم . بقضايا ثبوتية .
ركزت في ادخال المسلمين مدلول الحق .

الفعل الخلاف بمسح البشرية المكافحة . الصامدة في معركة الحياة
في كل ثانية وسيلة جديدة من وسائل السيطرة على الطبيعة وفي كبح جماحها
وهي اكتشاف اسرارها . وصرخ المسلمين . عفا الله عنهم . انشغلوا وشغلونا
مهمهم في شؤون ترجع بالتركيب الى عصور الفرج المظلمة .

فندش طويل . ومؤامرات بعدد الحجوم السيار . من ماذا ؟
من ابي هريرة راية الاسلام الذي لولاه . لولا مطاعم كذب للوحى ا
ولذا ندعوه . تصاع في معاته حديث مؤنوق . اصحابي كالجموم بأبهم
اقتديتم اهتديتم .

وهكذا أصاع هذا الرجل جوهر الدين ولب الاسلام . وحلاصة نواحيه

من أجل ان يكون معاوية في القائمة . بجماً يقتدى به . وعطيت القية .

• • •

شئت مدرسة الامام شرف الدين طريقها وسط هذا الحشد المتلاطم من التيارات ، بحريمة الشباب وحكمة الشيوخ

ولاشك ان افضل ما يرحى من أية «طلاقة» قديمة ، ان نبورها، قيادة ماضلة واعية ، ترتبط تماماً بالمكر المتطور . تعرف أدق مشاكله ، وتقاوم مع مشاعر الناس . ونصمى دائماً الى رفع مستوى الوعي ، ونميل على حق اصح ثقافي

ولكني نصل الى مهم الجميع هذه التيم . المحسوسة ، بسفي أن ندرس طبيعة العاصر التي اعتملت عليها قيادة هذه «مدرسة» هي موضوعها ، مسؤولياتها ، الخطيرة فما هي هذه العاصر بانرى ؟

لقد ظهر لي نتيجة البحث الموصوفى الدائب ان هناك ثلاثة عاصر . عتمد عليها الامام شرف الدين في تحرير مدرسته وفي حاحها كأداة فاعلة . وكرت المعاهيم الامامية ، واعادت الهارواها الاسلامي الاصيل وهي .

١ - ثقافة موسوعة حبيقة .

٢ - تخصص عال في الدراسات الاسلامية .

٣ - اسلوب صمد

ان المتبع لحياة مترجم به العقلية يرى انه كان شديد التعلق بالاطلاع على مصادر المعرفة وتطلعاتها ، ولهذا افرزت دراساته مادة واسعة الاثق في محتواها الرصين ، وقد دأب على ارجاء دقائقها الى سد شئت معاموم ، مكتسباً عناصر ذلك من مطاوي التاريخ الحبيقة .

والثمة في الواقع لاندرك بكمية المعلومات المحشوة في ذهن الانسان ،

ورب موسوعى يشبه الى حد جيد ذلك الأسمى الثرى - الذي يعجبه ان تردان
نواؤه بمحاميع من الكتب الأبية المسقة - او كمثل ذلك (المعجم) لذي
عنه الشاعر

وعند الشيخ كتب من ابيه مصدقة ولكن عاقرها
ان المعنوت التي تعكس على شاشة الحياة جموداً و (روبايك) ،
ويكرار لا روح ، ليست نقدة ، ولا شيء يقرب من هذا المعنى .
الثقف هو الذي يحمل في رأسه مصدر نور . . . يتفتح للناس الطريق
ويشع في سائرهم مصدر الطمأنينة والسلام ، وينقل أحاسيس المتحضر الى
كل نفس .

ولام شرف الدين حين زودته جامعة الجوف بثقافته المطعمة ، لم
يعد هذا التحصيل العلمي معاملة مراه - - حمية تحيط لطافات ومائة ،
والانصراف عنها الى خدمة من المصطلحات الرقيقة التي تتراقص لها الطيائع
محنة للراحة ، بل جاهد من أجل ان لا تصيب من يومه - بلا ادنى معالجة -
ساعة واحدة لا انتاح .

وين يدرث مؤلفاته انشابة المطوعة ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفاته التي
مرجو لها ان تعد طريقاً الى المطعة ، وهذا بحلاف الانتاح العلمي الضخم
الذي ذهب طعمة البيران ، يوم هوجم بيته من قبل المستعربين الفرنسيين ،
كما ستعرف ذلك في فصل قادم .

أصاف الى ذلك مقالاته وحوثه المشورة في الصحف ، ورسائله الطويلة
الى آرائه المعتنق في المعاصر ، وأصدقائه الكثير في ديار الاسلام (١) .

(١) الطهراني - الشيخ اعلم برك - نقيض النشر - الجزء الاول .

حيث يقول (ونكاد مراسلاتنا خلال السنين الاخيرة ان تؤلف مجلداً) .

ولشدة إخلاصه لعينته . وعنايه في سبل مصلته ، تذر نفسه لقضايا
الاسلام الكبرى . على نحو انقص فيه الى احتراف التخصص التريخي ، ليصل
منه الى مواجهة التحديات المهرورة التي تكشف وجودها التروات السياسية ،
الاقتصادية ، وموارث الحقد .

ولقد خدم هذا التخصص والانتظام معهما العفوية خدمة لا يمكن
ايجاد وصف لها ، وهي عن كل حال خدمة حتى لواقع المصائب لاسلامية
لهيئة عن روح الفحارز ولافتراء والطمس . وموضوع التخصص أو مدأ
الاحتراف . مدأه أدت تصبح شافلا كثيرا من مشاعر حالها الحدث .
فحين بدأ انفسا نظرة على تطور الحرف والهن والعلوم . وجدوا نموها استمرارا
باحية التخصص حتى انكاد تصل في هذا الى درجات من التخصص لم تكن
تخطر على الـ

فقد صلب قرب من . . . ان كان العالم يرى ان تخصص طبيب واحد
في فرع واحد من فروع الطب كالجراحة مثلا يعد تطوراً وتقدماً كبيرين ،
وهم ان الوصف على ما كان عليه . دارت الجراحة كلها مبدأاً للتخصص
إلا ان تطور التخصص قسم الجراحة الى جراحة عامة وجراحة خاصة ، والجراحة العامة
بعضها انقسمت الى جراحة أجهزة ، فأصبح هناك جراح قلب ، وجراح جهاز
هضمي . وجراح مسالك بولية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل استمر
التطور بشي . وأصبح الطبيب الجراح المتخصص في جراحة الجهاز الهضمي
لا يتخصص في جراحة الجهاز كله ، وإنما يتخصص في جراحة جزء من
الجهاز فقط ، واليوم نسمع عن جراحي معدة . . . اكبر من هذا تطور
التخصص الى تخصص في عملية جراحية واحدة من عمليات المعدة .
ومن بشري . ربما يؤدي التطور غداً الى تخصص خطوة واحدة فقط

من خطوات العملية .

والأمر كذلك بيطبق على الصور والآداب . تلك التي وإن كان الشخص لم يصل . كما حدث في العلوم إلى حد المعالجة ، ووقف عند حد أن يتخصص الأديب الكاتب في كتابة المسرح مثلاً ، أو القصة القصيرة ، ولكننا بالتعمق في دراسة كل كتب محددة قد حظي بمكانته . لا لأنه يجيد كتابة الرواية بشكل عام ، وكل لأن عقريته تكمن في قدرته على رسم الشخصيات مثلاً ، وكتابة الرواية هي قدرة على السيطرة على مواد كثيرة داخل العمل الروائي نفسه ، مثل القدرة على القص . والقدرة على إثارة الشغف ، ورسم الشخصيات وإجراء الحوار والحبكة القصصية . . الخ . .

والكتاب لا يتساوون جميعاً في قدرتهم على السيطرة على هذه الأدوات خمس الدرجة ، ولكن ما يلاحظه هو أن بعضهم يتفرد بقدرة خارقة على هذه الأداة ، وقدرته التي يستطيع أن يكتب رواية رائقة .

حميد . الاسم . توفيق الحكيم الكاتب المسرحي الكبير . كتب عدداً كبيراً من المسرحيات ، ذات إعجاب الناس وتقديرهم . وأكثر مسرحياته شيوعاً هي التي نسجها عن أساطير . . في حوار الاسم صبر توفيق الحكيم في الثقة .

وعلى الصعيد العالمي .

دستوفسكي مثلاً . . ذلك الذي طغى شهرته الآفاق ككاتب رواية . لم يحط بمكانته تلك لأنه كان نابغاً في كل فنون العمل الروائي . إنما كانت كل عقريته دستوفسكي تكمن في قدرته عبر محدودته على كشف الغطاء من أنفس أبطال . وأدق حلجات ارواحهم

أنه كاتب عادي جداً وهو يسرد ، وهو يحكي . وهو يصف المكان

او الشخص ، او الحادث ، وحين يصل الى النقطة التي يبدأ فيها البطل يتحدث من نفسه او يعترف ، فلهطتها يرمع دستوركمي من مرتبة اي كتب عدي الى اهل مرتبة . . الى مرتبة لم يصل اليها كانت قبله او بعده .

شكبير كحاور لا يهرد مقربة مدة خاصة . . . ما يهرد : تلك الصفة حين لا يحدث (الطل) غيره او يحاوره ، وانما حين يحدث نفسه ويحاورها حين يهدس لها . . ويعف . . ويهدأ . . ويعصب . . ويرضى . . ويأحبها . .
العرض كما مر ذكره ان كل كاتب يتميز عن غيره ، وبإل مكانته ،
والثاني ، قدرته على تناول ناحية معينة من فواحي المرح الخمي راوله .

فالإمام شرف الدين على صوره ما تقدم يحتص كما قد امدت دراسات لاسلامية وعلوم الشريعة ، واصبح في حيزه في الصف الأول من مجتهدى الامامية ، غير انه امتاز بقدرة حارقة على معالجة قوعد الفكر الامامي ، وتقرير مصامحها الى الدهن .

ولا اعتقد ان هناك من اعلامنا وكنا من وصل الى هذا المستوى و قرب منه .

اما اسلوب الامام في جملة مؤلفاته فهو اسلوب المنظم بالاشرق والاصالة والبسر ، واسع دليل على اصالته . وان اتاحه نبي محامداً على مستواه المربع . . ان صدر له اول كتاب . وهو له اصول مهمة في تأليف الأمة عام ١٣٢٧ هـ . حتى آخر كتاب نشر له ، وهو النص والاجتهاد ١٣٧٥ هـ . وكل مؤلفاته - وهذه طائفة وقف عندها كثير ممن نعرض لها البحث - تتمتع بمواصفات محكمة . . . تتعين ملامح هذا الاحكام ، في قوة العارضة في الأدب . وبعد النظر في البحث . وسلامة الذوق في الفن ، وحسن التعبير في ابضاح المشاكل ، وتحليل المسائل .

والرغم من وفرة ما نشر من بحوث عنفة النزعة العلمية ، فإنه لم يمسر على السائد أن يجد فيها ما يشبه الثمرة ، أو نسباً في الأسلوب أو النهج ، أو القدرة العلمية ، أو في عمق النظرة ، أو حوراً في أدب الرسالة

إقرأ هذه الالتماسة الدقيقة بوقودها آية الله الإمام آل ياسين (١)

(. . .) وليس ادل على هذا من إمامه . هذا الانتاج العرمر الثرى السمل . وان مؤلفاته لتشهد بأنه من الحياة العلمية ، كمن يصرف أها ولا يشغل بغيرها ، وادل ما يدل منها على ذلك . كمية مؤلفاته ، لا كبرتها ، وهي وان كانت كثيرة حتى « يقاس الى رجل يتمتع بها ، فانها من الأصالة والعمق والاستيعاب ، حيث لا يدل على ان مؤلفها رجل يتمتع بالاسم بذلك المشغل . ويندونه بما عندهم من مشاكل ، فهي بما فيها من قوة ، ومثابة وعور ونعت وتمكيز ، ادل على اتصاله الدائم بحياته العلمية من جهة ، وادل على فضله ، وخصوبة سلبته من جهة اخرى .

بهذا المبرر يرجع عم الرجل واصله ثم يرجع به امتياز ما كتب ، هو امدار قبيل الطير . فان المؤلفين المكثرين كثيراً ما تظهر عاهم سطحية ، ويمر كتبهم الخشو ، اما المؤلف فليس فيما قرأنا من مؤلفاته مبدل سطحي ، ولا رجس سوقى ، بل كل ما كتب « بين رفيق ، رصع عمق ، يجمع بين سمو الفكر ، وقرف اللفظ .

نأتى الآن الى مسألة مهمة ربما تكون اهم مود هذا الفصل . . . ماد قدمت ؟ او ما هي مسجرات هذه المدرسة في عالم الفكر الاسلامي وما هو تأثيرها المباشر « دراسة لتقيم الفكر الاممي صورة خاصة » . . .

(١) شرف الدين . السيد عبد الحسين . المراجعات . المقدمة لآية

الله الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين ،

الذي لا شك فيه ان زعامة الامام شرف الدين الفكرية قبل كل شيء .
 قد تحطت منذ امد بعيد حدود الواقع الامامي لتعجز الآه في الاسلامبة نسمة
 دفنة ، تشع الاطمان وزرع حتى في معقل الشك لايمان بالاسلام وبقدرة
 الانسان على ان يتغلب من اقراءت الشر بتحقيق وحدة اسلامية صماؤها السلام
 وقدرتها الاحوة في جو من الحب الذي الباع من صميم القلب وقراءه
 انفس

فهذه هي مهمة الادرس المسم في هذه العصر . لا محال للاختبار الا
 من سبيلين سبل الوحدة الاسلامية التي تحدد امكانات الدرس اوراقه الانسان
 والقضاء على مصادر التناق في حبه او سبل الفرقة والتخصم بما يستحقص به
 وقعه من معاني لتفكك ولا نهيار .

وليس ما اوردها سلما من باب التمهيد لمرص ان يؤكد على نفوذ الامام
 لخدمة للتفكير الامامي على وجه التخصيص ، بما كان من قبل سعة لفظ
 جوهرية يجب ان تصح في الأذهان قبل المضي في عرس ريدة افكاره في
 لقضايا والمعضلات الملزمة للانجذات الحسنة التي دفنت القضية الاسلامية
 الى مسرح التاريخ ، والى دور عظمى فصل ما انتقطع من اعتماد الحضارية .
 اما كون الامام - رحل الفكر - مصدر مذهباً في هذه الوصية من الزمن
 فهذا ما قام عليه اجماع اسلامي .

ولما نحن الامامية كثر الدرس ايماناً زعامته الفكرية واكثرهم قابلية
 على فهم معانيه ، والاستحسان معها . لما فيها من تدعيم بتمامها التقليدية
 الصادقة .

وبعد هذا . . . فسحخص مع مدرسة الاسم شرف الدين في فعاليتها
 الجريئة والتي شذبت روضة غناء كن يحيى رهها البائع تحت رحمة

طحت كذيف .

اولاً ماأث فرعاً كان يستوص رفعة شمسة من ادهن الدس . كما
سطنه من تسميات عمية ، لمطقت عمية كانت مطبوعة ، جعل نوات
هتيرية ، كانت تتاب حكماً افلسوا من الحاجة الدينية ، اشد انصافهم
نموى ، اكمل مقدرات دته . تحس الشهوة العابرة ولمصالحهم الشخصية
وقط . وسكر لكل وارء دوى يحرض على تطبيق بصوص الشريعة ، والتمسك
بمذمب النصبة . وما مشتمل عليه من متطلبات العدل والرحمة والمروءة .

وما يبدو ان في هذا القدير شيئاً من لمة . فب في محتمل ما
شمر بحرارة ان الفراغ المكري قلده او منشاء

هذا قد يكون صحيحاً لاول وهلة ، ولكن لدى لاستعراق في التأمل
بروة الداحث الاحماعي للشود و . بكرة عامة جامعة ، نجد ان نهرات
بسمية التي عاهاها محتمل في السبب لأخيرة حسب بعض في تنوعية السامسية ،
وسبب ايضاً الاحتمالات النصبة التي حصلت بناء ذلك . هذه الأمور
مجموعها تمت دورها في ايقاظ الناس - بعض الدس - من العولة او الساب ،
او المراهقة ، صحتها ماأشت

ومن خلال هذه الأزمات سرى في اعوار البعض ، دعى العودة الى
خطيرة (التراث) . ما نجح حل للنحس من رحمة تلك الارنكسرات
العامة ، ولأنه بالتجربة الحية اسلم الوسائل سلوح الحياة الطبيعية المسالمة .
وهكذا سافت انه دبر مدرسة لامااء شرف الدس - وكأها كانت عنى
مواعد - لتفرد الوعي الاسلامى في احطر فترة مرت بها و مر بها .

ولهذا كان لاقبال على اتاحه في السبب الاخيرة ، طارىء يعصى الى
مسؤولية جديدة ، اناسة للمقيليين الامارين ، تحفزهم الى مضاعفة الجهود

من أجل أن يكون وراء الرعيل لأول . وعيل ثانياً . وثالثاً . صراحة .
في إدمان الخيل صورة للدين الإسلامي هي غير صورته الحقيقية .
صورة مهروورة ، مملوءة الرنوش والألوان ، والملاحيق : . والصنعة .
نضال شاق . وكفاح مرير . . عمية حذرة .

نعود لصورة التي كانت عليه يوم ربح سورة . واصبح القسبات .
طوى الأهاب ، يتدفق انماية وسماحا
وشيء آخر لا مبدوحة لنا عن نفسه .

ان التاريخ يقيه تدليل على ان الجماعة التي تمتلك من القوة المعوية
ممكنها من تحمل صدمة تمرد بعض عناصرها عن إيمانها ، تحسر قليلا
من العاصر . ونكبتها تعرض عنها ، مصدر أكثر هدداً وأقوى
نادياً تحت المدرسة من حلال دعوتها ، الى اصفاط اعناء الخصومة التي
قرضتها السياسة بين المسلمين ، مسألة الإمامة حلاً برهانياً سهلاً مقيماً .
وطمأنات سورة عصب كان يثبثها ، انتطرب المدهى ، الذي ادرك اغراضه
في صاية نزاعه الى الدم والتشكيل والضغط .

ولو تصفحت كتاب مرحلات لوقفت على هذا الشأن بصورة احيى
واكمل

ثالثاً . عرت المدرسة - لمصلحة اسلامية عابداً - اقطاناً كانوا يحاطون
دائماً بهالة من التلاميذ وأرغمتهم على امضاء حشة المشرح عرفة . . على
حقيقته .

وكانت هذه الخطوة هي الخطر عمية (تقييم) يتساهى اليها قم متحرد
وفي كتاب النص والاجتهاد لقاءات صارمة مع اوثاك اعطت كل واحد
منهم كتابه بيده . . إقرأ هذا كتابك . . .

كل ذلك اعبراً بخدمة الناس في موضوعه الجديدة ، وإدراكاً لقيمة عمله
حملوه اليه من اعتبارات كثر في حسن الفروض لأهمهم بعد النظر .
رابعاً - أكدت المدرسة أن الكفاح في سبيل العقيدة حركة دائمة دائمة ،
تتدخل مع الأحداث دون أن تستطع موانع الناس . والشجاعة أن تحول
بينها وبين الهدف .

سقط قلم عميدها الزائد . وهو في مشرف الحامية والناس . يحفظ
مهمته مدرسته سكر نقد متور ، و آخر أعداء فكرته أب صاحب . وعزيمة
من العشرين .

خامساً - رسيت مدرسة طريق العمل للعقيدة ، متمرس ، ومحدث
هم البديل من أجل تصور أهداف الناس مداني ، ونقصه الي المستوى
الإنساني الذي يؤمن الصراع الثقافي كمصدر من مصادر الرحمة . لا مورد
من موارد القيمة .

الفصل الثالث .

غرس ٠٠٠ وشمر

والثالث لدى المعس نصايبا بثقة ، ان
الانشاح الفكرى لا يورب بأسماء اصحابه الزمادة
ولا يبراكزهم المرموقة ، وانما تقدر وتوزن
بقدر ما فيها من طاقه على الرصد بين طواهر
الفكر ، وقدر ما فيها من مدرة على الاستنتاج
الحكم ، وقدر ما فيها من مكايه على التحليل
والتركيب ، وشعبه آخر تقدر ما فيها من قوة
على اقناع الادهاال المنتهجة بحقائق ممدمة .

لا ينسى الامام حياة الامام شرف الدين العفندي عالم يصار الى دراسة
بثته . دراسة موضوعية شاملة ، تعطي هذا الحديث وجهه انثا ، ونكسه
طابعه العلمى المبر .

واذا كان علماء الاجتماع فيما مضى قد اختلفوا في مسألة انهما عند
تأثيراً في حياة الانسان ، الورثاء المحيط . او مارة اخرى ، العوامل البيولوجية
مع العوامل الاجتماعية . قام اليوم حل واضح لدى اكثر المصين لهذه
الفضايا الى التاكيد على تأثير العوامل الاجتماعية بالنسبة لتكوين الشخصية
الشرية ، ويعتبرون الشخصية نتيجة لتفاعل مستمر بين الدافع الطبيعية المارة
في الانسان من ناحية ، والتواءات التي يعرضها المجتمع عليه من ناحية اخرى (١)
وعن هدى هذه الحقيقة فمحاوّل اعطاء سمات دقيقة لطروف المجتمع الاسلامي
الادى عاش فيه الامام شرف الدين وهى كدفة مستوياته الاجتماعية والثقافية والسياسية
ومن أجل اعطاء فكرة شاملة عن المسألة فمحاوّل ان يدرسها على اسعو الثاني .

١ - ايامه الاولى .

٢ - حياته في النجف الاشرف .

٣ - استقراره في عاملة

ايامه الاولى : ما قبل اليك فيما بي حديث هذه المرحلة بقلمه رضوان
الله عليه فاستمع اليه :

ولدت مسنهل جمادى الثانية سنة تسعين ومائتين والى في المشهد المقدس
(الكاظمي) اثناء رحلة والدي لطلب العلم .

وحن رجع اهل الله مقامه الى جبل عامل واستوطن قربته (شعور)
من اعمال (صور) كنت في الثامنة من عمري . نعم بحضارة والدي المرورين ،

(١) . الوردي علي . شخصيه الفرد العراقي مطبعة الرابطة ١٩٥١ .

فأرسل من حنايهما إلى جناب مريع ، وألود من حبوهما إلى كهف مريع ، وقد
أحبنا على بالتربية كما تحدثنا على التعدية : فطعننا وطمدت على عرار
الدين القويم في منهجه المستقيم

لأعذب الله مني أيها شربت حب أنوصي وعدتبه في الله
أحدث عنهما أصول الدين وعقائده الفقهية ، وطعننا في أصل من
إقامه الصلاة بشروطه ، ونشأ بعمه لا يؤدي حقها . ونحصل الله تعالى يد
حلمي من وأمن من نصيب له الدين ، داعين إليه الحكمة ، وله العفة والالاء ،
إذ لم ينحرف في دلاسي على الله تعالى وكناه ورسوله وولائه ، واليوم الآخر
وسمه . وهو القادر على حرثهما ، الاحسان احسانا ، والبرائة عدواً وهرباً .
فرت القرآن الكريم في (كذب) على من من الصالحين في حجب
الأشرف وحوادثه في شعور . على مني المرحوم سيد محمود شرف الدين ،
وكان من الحفاظ والقراء ، والبروة الاتية ، رحمة في هم التجويد

ثم أقبلت على تعليمي بدمه فأعيت إليه اسمي وأبى ، حتى أحدث
عنه علوم العربية بصرف وبحر والمعاني وسبل والتدريج والأدب العربي وهم
المنطق ككل صنف وانقضى . وحدث عنه : حجة العباد ، للعمل على مقتضاها ،
إذ كانت مع حواشيها يومئذ مرجع المصلين . وقرأت كتابي « فقه لإمامية »
« شرائع الإسلام » ، وكنت بأمرني بكثرة الدروس وعرضها عليه ، فله ونسب
كثافة شيء مما قرأه عليه من دروس العربية والمنطقية ، لا القليل والحمد لله .
وحين قرأت عليه كتب النحو كان يفرص على قراءة العبارة على العربية
ثم أعراها ، ثم تعسرها قبل الدرس في كل يوم ، وكنت أحتفظ في كل
يوم بثلث من ديوان الحماسة أو غيره من شعر العرب ، وأتوسلها وأسردها
بين يديه بعد مراعاة المعجم في حق العريب من معرديتها ، ولرمي بحفظ

أهمية ابن ميثاق حير قرأت عليه شرحها . وكان في شهر رمضان بأرمي
بمناجسته في قراءة القرآن . وكان من الثراء . وهناك أهل الفوائد وأرجى
المناجع . محشوع الأنصار . وصكون الخوارج حشية وفرقا .

مارأت كوالدي : رحيماً حكماً ، يعنى بأمر والده وبهتيم شاه .
والأمر في شيء من مملكت حجه أدنى ، ودارأت مثله استناداً يعدو على
التدريس . سنة درعه ، فيبره . اذا تكلم . أذناً صاغية ، وتلقاه . وان
أخيراً . رجة منهول ، وصدر مشرح ، فكما في كل مانسعه منه أو فرقه
أ . على حدم من انحصار ، ونشاط من عرقها . وكان يرهف طباعه ، تشجعه
ويجود عدا صلباً «ثور» جاداً بدله من العفان والصعاب . حائضاً . عذاب
القوم ، بحرماً الخوص على أسرهم ، وجميع شئونها ، ويحلمها في ذلك على
كل صعب ودلون ، فيصطبر إلى محبص حقهم ، وكان في صبح كل شهر
يبدو معد ، فإذا وجد نقصاً أكله ، أو صعباً تدركه ، يرهف هذا
طباعاً ، ويستأنف به نشاطاً .

وحيث تمت من تدبير الصبح . جمع على الرضلى (حاصلاً لاخي
الشريف) في حاضرات العلم في العراق . وكان على الله مقامه . ماضى البريمة
داً قل فمن ، ومحدث الله تحت الأوه على ن . معنى معنى نفسي ' ومقدمة
لذلك الرحمة . اهتبي كبرية صوره لأكر على مرور السيد محمود (ام
أولادي الكار الله) وكانت من حيرة الخ طمبات في كل أمر يعاوه ، شأن
الخبرات . من حيث الدس ، ومن حيث الدس ، ومن كل جهة . وقد حتم الله
حياتها على بحر السبعين من عمرها في حرم جدها أمير المؤمنين عائدة به .
فطيب الله رمسه في مشواه لأقدس ، مثوى الرحمة ، ومقفل الهدى وللمصحة
مساء السبت صلح حمادي الأولى سنة الف وثلاثمائة وفتح وحسين

بـ أولادى في رحمتى نعمة نعمة تجدد قديم نعمائه ، وقد ارفع له
 همته وأرصد ما يصح لنا الراحة في الفرح للعالم حتى تعود اليه بما ناطه بنا
 من الثقة . وعنه عهد من لأمل ، وهذا ما اضطربى واحي الى انقاذ المهمة
 وسعد العبد في ايقاظ الحرس . ولم رل جهداً ولم قدحاً وسعاً . وكان قد
 شرط علينا ذلك قبل السفر ، وامرنا عند الوداع شقوى لله عز وجل ، والاختلاص
 له تترك ونعوى في العلم والعمل . وعلى هذا مرقناه .

وفي التاسع من ربيع الأول سنة ١٣١٠ هـ تمت هذه الرحلة الميمونة بحمد
 المقدسة والندى (وكنت وحيداً من تنظيم هي صرراً) محوراً بحضرة
 ابنى الشريف ، وله يومئذ اثنا عشر عاماً ومعى كريمة عمى نحض بكرة
 طيبة مفضولة ، ومها وصيفة لنا كانت صالحة (مربية) كاسية ، تعرف
 رجوه الخدمة . فكنا لله الحمد . في طريقي كنه في انعم بل ، واحسن
 حال . حتى وردنا المشهد الكعبي اعزه الله تعالى (١) ، فألقينا للعصا
 بقاء الرافة والحدان ، وموضع الحكمة والابحار ، فبآية الله الدائمة ، ونعمة
 السابعة ، حذى المقدس السيد محمد هادي قدسنا اهلى لله مقامه الى حلال
 رحمته ، واوسع لنا اكفاف نعمته ، وحسب تلك الظاهرة حدثني الحلياة عينا
 هو تولدات على العظيم ، وقد جمعها الله بكرمتها وندى وكانت بكرها ،
 وقد ميت بموقفها ثلاث عشرة سنة نجرعنا فيها العنصر . اما العاودات
 شقيقتها الأربع فقد احلنهن صورة الفرح فكين سروراً وأكبسا حوراً ، وكان
 حال العلامة السيد حسن اعلى الله مقامه مبكى متمثلاً .

(١) قبل الفجر يوم الثاني من حمادي الأولى من تلك السنة ، احجرا
 في بروت الى الاسكندرية ، ومنها مع انقاعلة الى حلب ، فدير الرور ،
 فالكاظمية ، استغرقا في الطريق اثنين وحسين يوماً :

هجم السرور على حتى أنه من فرق ما قد صرني ككافي
وكانت ساعة روح ومسرته ، وخذ بها قره عيون وبرد السرور هي
قوة .

ولم يكن نهج ميل لاهم شرف القدس العالمي مقتصر على النجف لأشرف
بل رغبه طموحه الى المرفة قبل ذلك ، ان تلك مشقة السفل بينها وبين
الكاظمية وسامراء وكربلاء ، وخذ ، ولقد سألني صلاح مع علام هذه
مواضع المقدسة ومراحمها والامم من روبري ان يكون له علاقت مع
لكثيرين من اولئك الأعداء

وبروي لنا اذلاء صرة من حياء العديبه في سامراء ، وهي حمة مهمة
من حلفات تكويته النفق في لاس من اردها في هذا امام

(ولما شرف أعقاب الكصمين عديهما اسلام كل حلى لاهم او محم
الحسن وابن عمه الامام اسمعيل في مخرجهما (سامراء) وتراهم لنا على
النجف الاشرف ، وما ان صدر الامر منها ، بذلك ، وأنصاه ميذا الحد ، حتى
وردنا شرعتهما فأويا مهم ان وارب حاد وسوع بعمة واحسب . وكانت
سامراء يومئذ آهلة بأعلام الهدى ومصابيح الدجى .

أما من صهرتهم سنة واحدة فكانت أحرار اياما فائدة وأرحامها
منفعة ، قرئت فيها (شرح للمعة) في النفق و (مناقب الاعداء) في حصول
لأصوب

أما شرح المعة فقرأته على شيخنا المقدس الشح باقر حيدر . وكان من
دوي السلطة في ألقه ولأصوب إماماً في العلوم العربية على غاية من الاعتدل
في معاد الادبة ويجارى الاصول محدوداً في المرزبين

بمضى (قدس سره) - بتوى في في اليوم الواحد من شرح اللمعة
علا بطوري في الاصول - وندوه بعد في حدث لخير في ذلك يكسب المستطاب
على ما كان مترماً من اعمال الروية الثانية والنظر الدقيق والقور البعيد
راعى في عنه هذا مطاوعة لخصى لخصى ، دم يرى والحمد لله محتاج في
لللمعة في استاد فكان بعد في السر فيها ، ورسا حصى فقل : لانؤن فرصك
ولا تكن عوقاً ، عثم ان حتم الكسب والحمد لله

وأما درس (خصوص) فمرته على شيخنا بندهم الشيخ حسن بكر الانبي
وكان من علام نفعه وأطوار الاصول واطل بحث ولتقريب روى جاش
فيها مشع المص في الحديث والمادة صدق في من في معترك لا اه فذلك
فصل الخطاب ومفصل النصوص

في في - قدس سره - معحق في درس بنقص في الشافعيين والشافعيين ،
فيصلى كيف تمحص الحق في وكلف شحلي انهم اوصى ، وكان يرى في فقهه
وبحسبني على نقص ما درمه ، وارام فيقصه ويرهف عز في لمناظرة العلماء
ولا اوصى ويشدر في مدح الصحيح المزيفة وقرعها بالحق ، وبعماني على
الامعان والاستقصاء في البحث مع ارب ومن هو افضل مني ومع من
هو دومي .

وكتب صحيح كان جمعة من كل اسبوع اعادوا بحمد سيدنا حال ان
الله مقامه في محسن مولانا المروية الشيخ (ملا فتح علي) استظار ا دي ،
وكان علام الدين يتلون يوم الجمعة بحمد الله ليتمجوا حكمه ويردو شرعه
وكان ممن نرتمه اخبار لصديقين وحمد اليه اعادق للقدسين (الذين حقبون
اقول فيشعون احسنه) .

وكان اعلى الله مقامه (من تتحنى حولهم عن المصالح يدعون رهم

حوقاً وطمعاً) (الذين يدكروا لله قياماً وعوداً وعلى حوقهم ويدكروا في حق السموات والأرض) ، رعداً على مسمي كل حركة وسكون ، يمحاسبها هي كل منهما . رعداً في الدين ، راعاً فيما عند الله . صعداً في مذهبه قوياً في دته لله ، كان أمير المؤمنين عليه السلام ، لما صعد له وصف حصن الحولة فقال (اعظمه في عيني صغر الدنيا في عيني)

فاذا افاض في الحكمة ، تنحرت بنايحه ، على نسيانها ثمة اعنة العيوب وقد حروا الشهوات ، وقدم روح القدس ، فحلت لأفئدة حنة ، وحشمت الحواج حشة

و أنه يكن لعدوي في حذسه ، وامتناعي حكمة . ثم هو رضى ما رآه . (ويمضي الامام في صوم حبيب هذه الحقة ، ويحدث عن نقشة العباء الى شمت سامراء في تلك الايام . صوراً ملوثة المعاني انقبه التي تعكس حياة الفكر الامامي على الاسلام ، واخلاصه للأمة ، حيث تهر الأمر وتجلي في موقف امام الامة وشرح الاسلام الشريف الحسيني (الشيرازي) رفع الله درجته في رده على المعنى وكراره الشديد ان يكون قد وقع شيء من اهل سامراء يتنافى للكرامة .

كان ذلك من اجل ان يقطع الطريق على ريطايا ان تصنع ، وعلى الدولة العثمانية او غيرها ان يستفيد من أمر طاريء لحق بحجة أو حجة بين الجمهور (١) .

ولي نعتها ينون رحمه الله

(وفي أثناء هذه الفترة خرجنا من سامراء نعيد الحف الأشراف ، ولم

(١) للتوسع في انوقف على المسألة ، راجع العدد الرابع من السنة

الثالثة من مجلة المعهد الاسلامي في صفحات من حياتي بقلم الامام شرف الدين .

يكن يد من مرور ، كصحية ، شراً بأعقاب لامامين (الكاصيين) جوارس
عليهما السلام ، وزوداً من نصف ميدان اخذ اسبدهادي . وتم وثق تلال حمراء
ولا للحوانح من لأعج الشوق ، الى خدمة حديدا وحديدا . وكراشم الهياقي
حتى ذلك الجلد الرحيم .

وكم كنانحظي بحمته في حكمة من اولاده وحجده وشماسه ، مستقي من
محر عرافته . شاء . من عر ودي وذهب ولحلاق وصهارة . اروع . من كل
ذلك بكأسه الأوفى ، ويربص عينا من حكمة نربي . وزينة محكمة
وحديث في حجب متوكان على الله عز وجل ، فاحسنا حاجتنا كنها
شماء وصي . وابعد الى . لاميها آمان عن ذلك الباب ، ولا
مراد صحيح عن ذلك الحجاب ، ووجدت سدي الشبح حيدر قد صفى
اليها .

•

وكذا ترى في وسع هذه الاسرة البديعة العربية . وقد لامم شرف الدين
وشب . وكانت ظروف لاحتمة لسانه يومئذ منقذة لكل مطهر النأحر
والجهل والارناك ، ولو صعد ان ذلك تدهور الحالة لافضدية وشدها
ساحة ما كادت تعابه الدولة العثمانية . من شى اروع العلل ، نصبح شمع
في اجهزتها المختلفة ، وتعكك منقطع بطير في كدهم رافقها حتى حقت عيها ،
كلمة الرجل اريض .

نعم انشئت القوصى محدثهاى جسمها لمهرون . وادى الامحلال
قوامها المرتعش ، وفي الوقت الذي كان القاب (الاستانة) يعاني الام التدهور
السريع ، امتد يداه الى اولاده في افطارهم ، والحكام في مصارعهم . فصار
هؤلاء اولاده على نهج اعد التوازن المطلوب في دولة صحمة كالدولة العثمانية

والعراق في صيده ، الاقصر التي ميت ، الاسعد العثماني ، ونجحت
اوراره منذ ان اشترع من قصة الفرس . وضمه الى املاك آل عثمان على
عهد مراد الرابع ، فحجب اسحق ، وحدثت فرائح ، وفتحوا اللاحقون على
الاقباغ والتقليد ، وشاعت بين الاوصاف روح رحمة فيها بركة تقويت على
مبست في الوديان الآمنة من افكار عتيقة ، ومضطهدات ، راية ، وعقوس
حافة .

وكانت الاسر لدية في حوصر الاسلام الكرى ومها ككتمة يومئذ
هي معقل النفقة ومصدر الاشراج . ومطابق ارأى صحن الحدود في كوت
لا تخرج بها عن حدود وطاق الالتزام .

ومن الحقائق الصريحة في هذا الباب ، ان الكثير من قصاص هذه
الامر بالذات ، كانوا غير آبهين بالربة التي يعيشون فيها ، فهم معاقون
لم يملكون في روح الحصار التي كانت تحيط بهم ، (١) لا يثرون بها ،
ولا يثرون فيها حولهم .

هذه الانطوائية الدلية هي التي حالت دون تقدمنا الحضاري ، اعلاقت
انعزل والروح دون الحصارات والقسم الثقافية والادبية .

ان الدفاع عن هذه الانطوائية والدلية ، صحيح وحسن ، ربه ، نسم اليومية
او المحافظة على التقاليد ، وثارة ، نسم الخوف من الاستعمار . اصححت غير
ذات قيمة . . .

كان يجب ان نكون نوافذنا وابوابنا وشؤونا . ان امكي - كما يقول
دكتور صلاح الدين المجد ، (٢) مفتوحة مع عقولنا وارواحنا ، لكي
(١) الاسلام ، ومن الحصار وعيوبها . كنوا يعيشون في حوصرة قديمة وشبه
(٢) المجد صلاح الدين . عات من تجاري العكرة ص ٣٨ .

نصل إليها الأفكار الأساسية والثقافية كلها ، ونسأير الحياة بأرونها المتجددة .
لأنه ان تعاقب فيما مع القيم الأخرى ، نجد صداقة وان تتمازج
ليكون هناك لفتح مستمر خلاق . قد وقف الفرح وقعت الحياة ، ولولا
الفتح عند لأرل لما كان هذا الأساس ولولا فلاح الأفكار لما كانت الحركات
وإس هناك خوف ان تدوب شعصنا او يضعف تراثنا ذا كذا وثقبت
أهمها مؤسسين بترائنا

يجب ان لا نكون اما اعلى احمد فبش تحف الصياء ل اعين الصقور
تفتح ريق هل نور الشمس

• •

كان هذا المرح فا تأثير بالغ في نشأة الامام شرف الدين ، حصر مدة
البرغم او مرحلته الى حد تهافت به ملكاته في مستوى لا يناسب وسنه
وسدو لي ان العصر النوراني المعاصر في هذا الوسط كدت قوية في
تأثيرها ، وربما كشف امتدادها الى العصر السابق وحسنوها الرمع ومهجنها
العالية من مطهر آخر من مصادر هذا التأثير ، وعن بجانب الأصالة في مركزها
العيني الدفق .

ولا بأس من ان نفق . وهنا . وقفة بسيطة .

كان الى جانب الامام في هذا البيت . . العاوية مريم الصدر (١)
درجت معه وبهت من دث المعين الذي بهل معه . فاداه ، بعد حنة من السنين
تقتصر الثوى كمنهية وادسة وشعرة من الطرار المدي يندر وجوده في لساء
ذلك العصر .

(١) وهي حارة الصخرى . توفيت سنة ١٣٤٧ هـ عصر يوم الجمعة
في السابع عشر من شوب ودعت في منرة والدها الامام نهادي الصدر .

ومن المؤسف ان نطمس بعض الاعترافات التي كانت سائدة في لاجواء
لعمامة يومئذ آثار هذه الادبية الكبيرة ، وان تذهب آثارها نهيب الاهدال
والسياب ، اللهم الا حدد بسر من قصائدها باللغة العامة الدارسة نستذكر في
المآثم الحسينية في كل عام

وشيء لا يحصى ، ان دراسة حياة هذه الادبية ، بالاضافة الى انها تعرض
اوحة من ادبها الباسني (١) والتي من المروعة ان ترى افلام بحرى الى
محقق عنها والكشف عن دونها . تخلط في هذا المجال عرضين رئيسين
(١) مما لاشك فيه ان سرور هذه تزداد على ٢٥ سنة على وفاة الادبية
انصدربة ، وقعود اعلام تلك الفترة عن التعرف أدها وسحجم آلهما من
المشاركة في ذلك ، اسباب أدت الى صراع حره كبير من ادراجها . وحلال
حولة عبدة فيما تركته من تراث عثرت على مصوص من رسائلها الثرية
والشعرية كانت قد بقيت في العلامة السيد محمد صادق الصدر أيام هجرته
هجرة الاولى في الحف الأشراف . وما كنتى في هذا المورد ثمة رسالة
واحدة ، اعتمد انها محر اعطاء فكرة مفيدة عن الموضوع ، وفي الرصانة
ترجمة صادقة لموطعها وعوضت شتيفها الكبرى العاوية (مائة) رسوا
الله عندهما وذلك في حدود سنة ١٣٤٢ هـ .

اي حذر عمنه وحدهما .

سلام عليك من شقية بين ما رحلتك من هذين جليل رؤياك
ومتشوقت الى التظلم لصوب محبك . ذلك انما الساطع ، بل القمر انلامع .
ومنها وهي رسالة طويلة . . والله قسماً ما هو على حمايت مارل من
من الام مراقب ، لا أملهم الكبير بأن يكون لك في محركات المباركة اكبر
وسيلة في نشاط روحك الأدبية ، وتقدم حياتك العلمية ، حياة انلك الطيبين .

اولاً - نكشف عن دور المرأة في حياة العنصرية اوصية رعية معية من
 الربيع . كانت وصف الخمود
 ثانياً - تصور لها حتماً من قريب العنصرية .
 هي كل . . .

تتم الاحد من مدرسته - كما رأينا - على ه سقى دروسه الاولى في
 مدرسة بنت . وانتقل منها الى حذفت مشايخ سره التي صالدا كانت تعقد
 في دواوينهم . يتدأكرون في مصحح من روحه كل صلاة .
 وبعد حين ادوى والده سيد يوسف رحيل الى عمته بعد ان أنهى دراسته
 العلمية وأحضر لأخيه د كان الامام شرف الدين قد خلع ثيابه طفولته واستوى
 على صغر سنه يتبها غيرة الخلد له راحة حاش وتصله محروم

وربما كان اكثر ما استهوىه من العلم حب العرب وتربيتهم وأبائهم
 في الجاهلية وفي الاسلام ، وبخاصة سير الابطال . اعطاه الاسلام وهي
 مقدمتهم . . . سر آت انت التي كانت قوت في صدره التي انشودة والامر
 - واجدادك الظاهرين ، اولئك الذين راقوا في حلة الام ، فمقوا وحانو
 في حور النصل فلم يلققوا ، فكم من شخص حذف من سطر الاحياء . قن
 ان يحصى من صميم الحياة . وكم من شخص مات ولكنه لم يزل حياً في
 الارض وسموات . فميت يدس الاخ الأخر يبلل الجهد ، لتكون حياً
 حقيقياً . فعلى وزن ذلك الحاة ، متكون فيك في سوى الاحياء ، وإياك
 ومسارة الكمال منه ولا رب يحفظ من فعلك من قوتك ، ويرهد من ثبات
 من ملائكت ، ولا تموتك تعرض الساحة وانت من ابناء حذائك الكرام ،
 أولى الخلد ولا حياء ، والذين ذهب صنتهم في الدلاد ، وكن منهم كما يكون
 من اخيك ، وانهم كما تعلم ابناء خالك بل ايبت - عنك -

والاعتزاز ، واستطاع ان يبع شؤاً عديداً في هذه الصوروب المتعددة من الثقافة
مصل ما لوتى من حدة الذكاء ، وقوة الحافظة وصحة ذهن ، ومناخ من
أفرانه من الناشئ ، واهب صفة ، فرته كثير من بصر كدار دونه ومعارفه
كسرعة البديهة ، وعدوه الحديث ، ودماثة خلق ، وعروف عن كل ما يش
وبردي ، الكرامة ، والصراحة المتناهية ، وربما كان ارا صخرة له حرته
واقدامه ، وتحملة للذاهب في سبيل مبداه وعمدته ، حتى لكانه ولد للثراة
وتعم كل ما يتعلمه العلمى المرشح للثراة .

وابن عرباً - سر على هذا الهج ، فمجتمعه الذى عاش به ، واسرته
بى انحر منها ، واسماده ومراه ، كل ذلك اسره كان دونه ومعه
نعاية التي سار اليها .

كان ذلك عصر عصر حمود وصعب وحرق ، كما كان في الوقت نفسه
عصر تطامع وانتعش وثورة ، وق كلا يبدى تاريخ يكتب ، وطولات تدون ،
وشخصيات تسفر وتتحكم ، او تندحر فبول ، ركه وراها حراً بروى
وتراً لا يمتحى . وكانت حوصر علم والدين مستودع هذه المعادن من الرجال
ومدارس تنجب الافذاذ وتضع القادة ، فتعدي بهم ميدان الجهاد الفكرى
وقد ولد الامام شرف الدين في صميم هذا الميدان الواسع ، وشأ في
مدرسة كبيرة من تلك المدارس ، وانحدر من بيت رفيع ، فتفتتته الأيدي
الحريصة - والعقول مدبرة الخسرة ، ثمهر بمون معلوم للشرعية ومدارس مختلف
مصائب الأدب العربى ، وراض نفسه على البحث وعودها على العصر في
المضائق ، وشذائد الحياة .

وكانت وسائل التحصيل العلمى ، وتدريب الناشئين على البحث والتمعن ،
ونهيئتهم للمراكز القيادية الحسنة ، صعبة وشقة ، لا يمتخو بعضها من المعارة

والمجاعة ، وما كان باستصاعة كل شيء ان يدرس هذا الاول في العمل
الا من وهب قوة العقيدة واليقظة ، وكان الامم شرف الدين في مقدمة
من مثل هذه الموهب ، ومن اشدهم ولعاً بممارسة هذا الصرب من الانغماس
الثقافي .

وفي حبار بصاء العقيد الذي سبق وحدثنا عنها ، وما يبي عن قوة
ذهنية صمدية ، ودراسة مكررة لمون الثقافة والمعركة ، كما ان حركته في
مآرق الدار ، ومصارعة الاله . ت . وه ارة الأباطيل التي تهدف الى النيل
من متون التكرار لامي ، قدس عن صلاحه العقيد بن لاشده ، وهو دين
من رحل القم ، وهي صلاحه يوشك ان تستمد من حاسة بعض وشهادة
القلب ، اصافة ما تستمد من الافلام والافكار .

ومن هذا نعلم ان مواهب الامام ، وتربيته ، كانت الأصل في تكوين
شخصيته ، وتكوين نفسه ، وابصارها في مصاف التفكير ، والاعداد ، والكتب ،
لم يكن ليصل الى هذا الحد ، لو لم صادف تلك الظروف المزا ، والمصادفات
السحة التي تحدثنا عنها . وعبر بعد أيضاً ان رحل الامام الى هناك ،
في تلك الأيام ، مهد له سبل التعارف مع مختلف طائفت المجتمع هناك ،
ودراسة الحالة عن كثب ، تعرف الناس وعرفوه . يحصل مكاتبة اليه وآله
من ائمة الدين ، ومن بيته فيهم . وعاد من اسفاره هذه ثقافة اجتماعية
واسعة ، ما كان ليحدثها في كتب ، ولا ينقها على السنة المحررة .

وتعتبر الحف الخالدة بداية مرحلة الانطلاق في حياته ، فاول
مرة يتنوا مكتته في صفوف جامعها الكبرى كتاب مهم ، ورائدا
تفتح أمامه أبواب مستعمل محبوس . يحمل فيه وحيدة نتائج عمله ،

سير ان سبيل التقدم كان واسعاً ثبوته . وأصاب لنجاح متوافرة لديه هو في صحة من نفسه . واسرته وعشيقته ، وفي المذكرة المرسومة بين وجوه طلبة المسلمين الوافدين من كل حذب وصوب . وكان هؤلاء على علم شخصية الامام . ومقامه خيفة ، وإصابة معدوماته ، وأحبوه واحترموه والاحصوة بعد ذلك لدى المراجع الكبار الذين كانوا يدبرون دفة الجامعة ، ويحملون على اكتافهم مسؤولية ذلك .

ولاد هنا من ان يبقى صوت على جامعة الجعف الاشرف على اعتبار انها كانت ولا تزال وستبقى مركزاً متأبهاً للمشاط الفكري في الاسلام ومشتقى كبار علماء الدين والعلما . وفي جوها العبق تنفس الامام شرف الدين شدى معارفها العامة .

الاول رواية . أسست في جامعة الجعف كان في القرن الثاني الهجري وهي بناية قبر سيدنا الامام امير المؤمنين علي بن طالب (ع) بأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد . فاصبحت منذ ذلك اليوم لهوى أئمة المسلمين الذين يتعطلون الى الانتهاء من تمبر روحية صاحب هذا القبر والاستبام من عقيدته العلية . وقدسية نفسه . مع العلم ان هذا الوضع موصوف جعفر تروته وبعدها عن العمران ، ووعم في صحراء مرمقة قاحلة . لاما فيها ولا كلاً . إلا ما كانوا يستلطفون من ماء اجاج في آبار عتيقة الغور (١) . وكانت الجعف الى ما قبل الحكم الوطني تأخذ مياهها من الجداول والقرع التي انفق على حفرها رجال البر والاحسان ، في اوقات مختلفة ، وقد شاء (١) راجع مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد الحادي عشر . محاضرة العلامة المرحوم الشح عماد رضا المطهر التي القاها في جامعة القرويين بالمغرب .

الحاج محمد عبيد الله رئيس تجار عربستان أن يكون من بين المساهمين في تأمين المياه لسكن هذه المدينة المقدسة. فتمت مع ثلاثة ألاف من ربات الخمر جدول في محل يعرف بالزناديات المقدسة في جدول بني حسن ، ويستوي مصبه الى بحيرة النجف ، وهذا السخ لمدينة كربلاء النجف ، والاشنع بماء اربما جرى الحج

وقد قامت في حينه الوزارة العسكرية الاولى هذا التبرع ، وكلفت وزارة المالية لي مجلس الوزراء حول هذا الموضوع ، فقرر مجلس الوزراء ان تتخذ اللجنة التي التت بامر من الملك فيصل الاول وتحت نظارته ، الوسائل المقتضية لاسالة الماء الى النجف بحمر فداء لذلك ، وان يدرس الاراضي الاممية العير المروعة التي ستروى به يريد من الماء على درجة احتياج بنده النجف الى الماء فيصل الاول بنده ليوقف ريعها بعدد مع العشرى حرمة الحكومة على المعاهد الخيرية كالمدراس والمستشفيات وتطهير انقاة ، والمحافظة عديها ، وان سد المصاريف المذكورة على الخمر من المبالغ الموقوفة كما قدما ، وقد بدأ العمل في عير رمضان ١٣٤٢ هـ (٩ نيسان ١٩٢٤ م) ثم ظهر ان المواضع والاحتياجات المائية غير كافية وغير متعبة الحق المشرع واعيد صنع اسرع الى شخص امر ذكره ١ ، والامر الذي لم يتحقق الى ان ك ان تمام اجاره معهداً للدراسات الاسلامية ، ولكن حين يعلم ان النجف تقع في صحر الكوفة والكوفة يومئذ مركزاً علمياً معروفاً من ايسر ادب العلم ، ان في هذا الموضع المجاور حركة علمية ودارها العلوم الاسلامية

ويقول العلامة المصطفى رحمه الله ان شواهداً على ذلك كثيرة مثل بعض

(١) الحنفى ، عبد الرزاق ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الاول

الاجازات العلمية التي صدرت في مدينة الجلف في ذلك العهد ، ومثل رواية (كتاب العربي) التي ورد بها ان عهد الدولة العباسية لما رار الجلف سنة ٣٧١ هـ وزع مالا على الفقهاء والفقراء ، فذكر الفقهاء والمجاورين ، يعطيا مصاً على وجود الحركة العلمية .

وبدا مركز الجلف العلمي يتمركز في اواسط القرن الخامس الهجري وذلك في اعقاب هجرة الشيخ ابي جعفر بن الحسن الطوسي المعروف بـشيخ النافذة ، اليها من بغداد سنة ٤٤٨ هـ ، وشجعنا الطوسي من اعلام هذه الامة ومن تعدادها الخلد ، صاحب الموسوعات والمؤلفات والحديث ، تفسير والفقهاء وغيرهم ، وكثيره شراً ان يكون له اعلان كبير من الاصول الاربعة وهم : كتاب التهذيب ، وكتاب الاستبصار في ثلاثة مجلدات وبنت الجلف مركزاً علمياً حسناً منذ ذلك العهد وكانت طرورها كمعهد للدراسات الاسلامية بصفحة هوان المد والخر ، فتشغل أحياناً وتتصل بالشمعها حية آخر ، حتى اوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث كانت الجلف هبة المظفر في الرحلة العلمية الواسعة التي جاءت لمداماً متباعدة كمقداد والحدة وكربلاء واسفهان ، وذلك على يد المجتهدين الكبار من السيد محمد مهدي المعروف بسحر العلوم والشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب (كشف الغطاء) في الفقه الجعفري

وقد اردت الجلف عمراً في هذه الفترة ، حيث كثرت الدراسات المعتمدة لسكنى المهاجرين اليها من مختلف الامصار الثانية ، وهذه البعثات هي التي تسمى بالمدارس ، وهي تشبه متكون بالاقسام الداخلية ويبعث الموجود منها لال قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة ، بعد ان كانت بمثابة المشهد العلوي هي المأوى "كثير لهم من اعد الحدود

وفي النجف اليوم حوالي خمسة آلاف طالب من مختلف الاقطار
الاسلامية كاليهند ، وايران ، وافغانستان ، وباكستان ، والهند ، وجبل عامل
والبحرين والاحساء ، والخليج العربي ، الى غير ذلك ، وتقوم الجهات
الدينية العامة بتعيين الموارد المالية التي تعتمد على الحقوق الشرعية ، من
الاموال التي ينفقها المؤمنون من مختلف الاقطار لمؤلات الطلبة واساتذتهم ،
وعما تجدر الإشارة اليه في هذا الباب ، ان ليس لهذه الجهات الدينية
اي مورد حكومي ، ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شؤونها
الخاصة والعامة ، مادية او غير مادية

اما نوع الدراسات واسلوبها فانه لا يختلف كثير أمر سائر الجامعات
الاسلامية القديمة ، في شكل التدريس المعلوم العربية وما إليها ، وانما
دراسة خصوصية لاصفة

والجامعة النجف اعتبار حسن في موضوع طريقة تحصیل ملكة الاجتهاد
في الفقه ، وغاية الطالب الديني القصوى ان يبلغ هذه الدرجة التي
لا ينالها الا ذو حظ عظيم .

يجتاز الطالب ثلاثة مراحل تدريجية لبلوغ هذه الغاية .

المرحلة الاولى . مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها ، والمقصود
بالمقدمات النحو والصرف وعم بلاغة والمنطق ، وهي تقرأ من كتب
لا يتجاوزها ، ولا نادراً كشرح قطر الادي لان هشام ، وشروح لنقيه
ابن مالك ، ومفاتي السب في النحو ، والشمسية وغيرها ، في المنطق (١)
(١) وضع المرحوم العلامة الشيخ محمد رضا المظفر كتاباً في المنطق
بثلاثة أجزاء بدلاً من الكتب القديمة ، بأسلوب سهل جديد وعادة
واضحة وكاد ان يتم تدريسه الآن في معهد النجف الأشرف

والدراسة في هذه المرحلة دراسة فردية على الأكثر ، وربما اشترك فيها أكثر من واحد فيشكلون حلقة صغيرة ، وللطبيب الحرية في اختيار المدرس بل الكتاب ، وليس عليه رقيب إلا نفسه ، أو ولي أمره ، وربما يصحح إلى هذه الدراسة علم الكلام والعلوم الرياضية ، وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية ، والدبج والمصنوع الأدبية .

المرحلة الثانية : مرحلة دراسة (السطوح) وهي دراسة من الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي ، وأصول الفقه ، وتجرى الدراسة في هذه المرحلة على أسلوب المحققات ، ويختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف المدرس في توقيته في سنوات التدريس ، وسعة اطلاعه

أما الكتب الاستدلالية في الفقه ، أشهرها شرح التلعة الدمشقية الذي هو كتاب أئمة في الاستدلال ، وهذه كتاب الرضا والمالك ثم المكاسب لشيخنا هادي ، وهذه مراجع أخرى أوسع دائرة وبحثاً وإذا انتهى الطالب في هذه المرحلة ، تقدم استحقاق يصح (مراحقاً) أي مقارناً لدرجة الاجتهاد ، وربما يدرس الطالب في هذه المرحلة علم الكلام والحكمة والفلسفة الإلهية والتفسير والحديث ، وأصول الحديث وأصول الرواة المرحلة الثالثة : مرحلة بحث (الخارج) ، وهي حضور محاضرات

كبار العلماء المجتهدين في فقه وأصوله ، وهذه هي آخر مراحل الدراسة ومنها قد يوفق الطالب فيها إلى أنواع درجة الاجتهاد

تتكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار المجتهدين ويتقدم المدرس منهم بدورة بحوث أصولية أو فقهية ينفقها بشكل محاضرات يومية ، ويشرح المسألة شرحاً وياً ، تعرض الأقوال من مختلف المذاهب الإسلامية ، ومناقشة الآراء فيها وإدلتها المختلفة ، ويختار ما يستوي إليه

رأيه مع الدليل ، ولكل مدرس طريقته الخاصة في أسلوب البحث ،
وسعة المنهج ، والأسس العلمية التي يعتمد عليها ،
وللطلاب في هذه الدورات كامل الحرية في المناقشة وإبداء لرأي أثناء
المحاضرة وبعددها ، وقد يكون كثير في طلابها مراعاة بين الاجتهاد في انفسهم
حتى قيل ان المجاهد الاكبر استاذ اساتذة هذا الجين الشيخ محمد كاظم
الخراساني صاحب الكفاية المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ ، كان يحضر درسه
وريق من العلماء المجتهدين ، وعلى كل حال من مبره هـ . الدورات
حق البحث ودقته ، وسعة افقه ، وخبرته الكافية في نقد الآراء ،
ومناقشتها ، مما كان صاحبها

• • •

حدث خطوط عربية لمصدر خيرة نقاوية في اجف لاشرف سرنا
اليها مددوعين بهامن أربعة الى التردد ما يادعه المعلومات عن كبير
جامعة اسلامية في انعام . نجس مشعل النور ، وصون تراث لشريعة
وتقل الى اشرف ومضات من الاحاسيس المحمدية
هذا من جهة . ومن جهة اخرى . حصل على اطباءات حية
من المدخ العلمي الذي زعرت فيه ملكات لامام شرف الدين
هنا . في اجف لاشرف . في موط الهدى والعلم والثناء
الروحي . سلكت الامام من الاكسب على هذه البية مع الثقة يستند
مرا المهور اوصية ، وستر قدما المعاء ، والتقوى في دية ، وعقيدة وحلقه .
ومن محاسن الصدق ان يسجل الامام شرف الدين تقدمه مرفأمن
ذكر بابه السجدة تناول فيها ، ومدا حسنة طلبة تراود اواعين من
حملة العلم لاسيما في نشر طوبى القائمة .
إصححه يتحدث .

يوم كما في الجف الأشرف . كان للعلوم الإسلامية و دأبها و هوونها
 صلصا مشيد الاركان ربيع ابرار . و كان بها عوفا بعيد الاثر في الحياة
 العمة . و رجوها من حة الدنيا و الاخرة . و متوسلون باسبابها الى كل
 قور و فلاح . فيبدون الى دراهم و يعتصمون بعراها و يتولون اولياتها .
 منصرفين اليها عن سواها . و في المرات كنوا بمن عداهم .
 مسرفين الى طاعتهم مدافع من العقيدة و حذر من امثلة و الاطمئنان فادا
 حسمت لامة لدول السنية . و جمعت لاحكامهم حشية البش و حذر
 القوة فان لامة الاسلام كانت بومثف خاضعة لدولة العلم و الدين . و لا
 على حكم ائمتها . و ان دوله عده . و احكامه الالهية . و دولة الله
 تعالى مستطارة تمدع احكامه و تشرح قوايده الى دأبها الدار في الحياة
 الدنيا و في الاخرة .

ومن ههنا كانت الدولة العمدية بومثف دولة تعنو لها الجية . و تدأ
 الصدور هيبه و اجلا . و من ههنا كانت عواصمها مثابة للناس و اما بامر
 اليها من كل فرقة طائفة . و يعقبوا في الدين . و ليبدروا قومهم ادرجها
 اليهم لعلهم يعبدون . و ياتوها رجاء و على كز صامر يأتين من كل فج
 عميق ليشهدوا منافع اية .

ومن ههنا كانت الدولة بدينية و ما بها من الاممات و المادى و غارة
 من اسمى الحيات . و حثريا الصالح في دية . و يعتز بها الله و سائر من
 اليه . و في ذلك من التشريع ما يستدعيه الافاق . و تشد اليه الرحا .
 و من اجل هذا احتشدت الجامعات العلمية بومثف و تشبب معاهدها
 و أمم من الطلاب يعتطف اشكالهم و متبها . و لو اهتم لكن ميدؤهم و اغراضهم
 متحدة في التوفر على تلك الثقافة المادية التي رفعت ديارها و اخلصت نواياها

فوجدته على نورها سبيل الحياة واضحة مأمونة المشرق دهر ليس بالقصير
و في (رهف) وحسن غيره اعظم من هذه العناية ، تتأثر بمظاهر الثقة
وتستقل بواحي الرضا ، وملكك هوى دابة الاسلامية كلها فيتشوف الناس
دائماً الى الخوذة المدمية . ويشعهم دندار عماؤها وعلاها ، وتسكره دائماً
سلامة مصالها وأداها ، فيتواصبون بهم ختلافين في ولائهم ، والاعتقاد
اليهم ، متحدين على ذلك فبعض يهتف بعضاً ، وبعض يفندى ببعض .
فكان لهذا اثره في تدافع المصالح الى خوض غيب العدم والموت
على اسرارهم ، وكأنت له فتاحه من استعراج محلات يعاوم وتمجيس
حقائقها .

وان من الحق ان سجل واقع في هذه المظاهر ، وسيدع السر في
هذه المظاهر ، قد ردا رأينا منذ من سنه اربعة على استعاضته .
ورأينا من الناس اننا هديم ، كل ما نعدهم في عوالمهم ، ورأينا ظاهراً
من اتساع بين هذين المظهرتين ، يرى ان ذلك ، اكبر من هذا السر
قد انتهى عليه البحث العلمي ، وتم به لاملهم ، الا وهو الذي كان
يحدد كلاً من اهل العدم وبينهم التؤمة متسدين في سير هذه العاقبة
المباركة التي احبب عليها العلم ثرى . واندر من حصيه وراثته
للدينا الاسلامية من العدماء الاعلام ، ومن زوار الخانة ، والجهود المباركة
ومن الافكار والالتكاز ما لا يدرك شؤوه . ولا يلحق آثاره .

واهل هذا الانحياز العزيز بمنح شامداً على الاخلاص فيما يطلبه
دوو العلم وبما يهتف به الوسط المؤمن ، هذه البركة في الانحياز
لا يصدر إلا عن الاخلاص وحسن النية .

وما يدل على هذا ان وفرة في العلماء الاعلام كهذه الوفرة في طمعة

وإحدى وفي مرفق واحد من مرافق الحياة تدعو إلى الترحم على الرءساء والدفع والخصام في سبيلها ، إذ ليس من المأمول أن تظفر هذه الكثرة بمركز الرعامة في آن واحد ، بل لابد من انتخاب فرد من ذلك الخمج العفير ليقيم أعضائها ، ولولا الإخلاص لكانت نعمة معارك يستشري فيها الرع ، ويستكلب في معاناتها الصريح ، كما هو الشأن فيما شهدته في ميدان الحياة الأخرى ، ولكن دوست الروحي يهوى عن الأضداد والخصائر وعن لأمية وتأييد على يقين ولأمانة ، كان يرتفع بلونه عن هذه المهورى المحقة ، وليس شئ أد من هذا على كونه الانتخاب الطلبي كان يحذر الأقوى على المصلحة والأنهص ، والادنى إلى الكفاءة والحاجة لشروط الفصل والبر والتقوى وصدق الطر ، لأن العرص لهم أن تبرز السيرة ، وأن تحكم الأمة بصدقها ونظر صحيح ، فمن سمره المصالح الاجتماعية على ضوء الحقائق الدينية .

إذا احتار هذا الانتخاب العادل فرداً من ذلك النحوس الصريح كله لتقيدة أذهن الجميع واضحين محرورين لانتجد في عمن المحار إلا أورصاً ما صار إليه ، بل لذلك تجد في نفسه اندفاعاً أول الأمر ، مؤثراً أن يتقدمه من إخوانه يضطلع بالمسؤولية التي يخشاها ويخشى تبعاتها ، وشفق أن لا يكون قوياً في أداء علاج مركزها المرجو لحياة تمتص جمال الحياة في أنوار علمائها وصدورهم وآثارهم .

هذا شاهد لأصدق منه على أن تقوم مؤتمرون حقاً بتعقل الإخلاص في أعرق نفوسهم ، فيبلغ إلى قراراتها ، فيتجافى بهم عن شره والاستكلاب وتنشئ من الشك والارتياب ، ويخرج بهم إلى سماوات الواقع والصدق والفضيلة فيستشفون من الرعاية مركز المصلحة . لاصلاحه المركز ، ويسقبون

قيادة الكرسى لاكرسى انفراد (١) .

وهذا هو السر الذى ادينناه للهبة العلمية وبنيها عليه تلك الوثبات الى الخير والصالح ، ولاشكر ان روعة الوسط ساعدت هذا السر مساعدة كبرى ، وان مظاهر التشجيع والطبعة والاعتماد ، أسهمت في كل ذلك بحظ هو يسر ، فكان من مجموع ذلك ماقدنه من إحصاء الثروة ، وسداد الوثبة ونماء العروس .

ونه لبؤسى أنص الأسف أن يتراى في - واما ادون هذه الذكريات شبح كريمة مجهول ، يقبض على تلك الأحلام الذهبية ، مكف محببة لأطوار حبيبة المحارب ، ثم يقف بها في مهب الريح ومختلف العواصف ، يهوى بها في عصاف فيه نار منهم رهو أشكائها ، وينزع جهود أطالها ، وتشوه رونق جمائها ، لا عدده عها أنطها ، ازهر ، ولا بحاليها الخضر ، ولأما في نواتها من كور نفتح للعمل والاجتماع وللمادى الصحيحة أواباً مطلات على أصبح صور الحياة ، ومهايج متصببات في أسفى المائل .

واحسراه ومل لنا على رد هذا الذكر قوة ؟ ، أم هل لنا يد في إرجاع من من في الصعوف العلمية ، فاسل منها متفوقاً خوراً بما في هذا الشبح ، أو طمعاً بما في يده الأخرى من بهارج ونراون لا تروى ظمناً ولا تسد جوعة

وبصاعف الأسف في نفس انى شاهدت تلك الآلة العالمة في اوان علمتها ، ورحمان أيامها تنعالي في بناء شامخ مشيد يطاول السماء علماً وارتفاعاً ثم انى شاهد هذا البناء الرابع أطلالا مهجورة .

(١) هذه معاهدة فريدة نشأت حطو من شؤون الفكر الامامى شاهى اليها أقام لامام شرف الدين ليستطها وعيه ومنهجيته لأول مرة على النمط الذى تراه

لولا وميصى من ، ص ، يكشف ما استطاع في تكليف المصداق حواره
ويجهد نمره من الماصى القريب . ونى حشرة اندراس بحر هذه الحياة
الهيبة رأيت ان الملح الى شعاع من قسائها الوصاء ، فان الموحة انطاعة
الى فرقت النور من حولها ، ثم فرقت عنها روادها وطلاتها ، لموجة
يحشى منها ان تظلمس . لاسمع الله . أحذارها كذا أصمات أوارها ، وكان
عنا تمصيل هذه الحمل لولانه يخرجها عن موصوعها ، وصى ان نوب
ذلك في كساب نمره لذلك الحياة الجديدة اجتماع النور ، وفر رف لأفئدة
وحد المراثم ، تمصيل فيه القول حول تلك الامام ، تمصيل القول في
تسمية الاعلام ، وحسن لانهم ، وعظيم عنائهم ، في تلك الحياة من جمع
واحيها . وانتشارهم في الأرض كأنهم الكواكب في السماء ، وقد طفقوا
ورأ وهدي لقوم يؤمنون .

وما اذكر ذلك ولأسى بحر في نفوسنا حراً والحسرة نوحس ما
فانقص المصالح ، ونعني الوصادة وما بعدى الكفاء حاشية في أردت ، ولكنا
نرجو من الله ان يعوض على الأمة من بقى من أعلاها ماقد حسره .
ومعيد لها من تلك الحياة ذلك الانسجام ، المحول الذي أخرجنا لأم له عما
نحن به . ولا حول ولا قوة الا الله العلي العظيم . (٢)

واللهول عليه ان سادة الامم شرف الدين لاعلام . كانوا على ثمة
من استعداده وطموحه ، بذلوا غاية الجهد ، وأرهقوا أسنة العرم من أجل
ان يوجهوا استعدادهم وقاديتة الفطرية الروحانية الجامعة لمنظورة . وهذا
ماحدث بالفعل .

(٢) مجله الانوار ، العدد الحادى عشر السنة الاولى / ٢٣ ربيع

الذنى ١٣٧٠ هـ / ٣١ كانون الثانى ١٩٥٩ م :

يقول آية الله الامام آل ياسين في هذا الصدد (١) :

(ولم يكن يحظر الخطوة الأولى في حياته العلمية حتى دلت عليه كنهه . فكيف علمه صلاه ، وتلاوته ، وكنت له في منديات العلم في صمره . والحق لأشرف ، صوت بدوي ، وشخص يوماً إليه بالسان) .

وكتب العلامة سيد محمد صادق الصدر في هذا الباب ما نصه (٢) (وفي سنوات معدودة أصبح السيد شار إليه بالان في الاجتهاد والدقة وقوة الحجة في المناظرة والمذاكرة ، واشتهر في تقرير الدروس الفقهية والأصولية ، من حيث الحق . وحضور اذهن ، وسرعة الاستيعاط ، وحل مشكلات المسائل بأقرب طريق موصول الى الهدف المقصود) .

وكان لرسوخ قواعد المودة بين الامام وبين أبطال الحوزة الدينية يومئذ امرأته كطاهري والخراساني ، وفتح الله الأصفهاني ، والشهيد محمد طه نجف ، والشيخ حسن الكربلائي ، أجمع الأثر في حياته العلمية . . حسر للعلم عن ساعده ، ووصل صباحه بصائه ، وأبلى نهاره ، بأبسام ولايفقر ، وكيف يسأم أربفتر ، وقد تعلمت العقيدة في روحه ودمه وأرهمت طعنه ، وصنلت ذممه ، وشرحت للعلم والعمل صدره ، وكنت أدبه وعية . وجمع قلبه صاعية ، يتدفق ميايقوه عليه من ضروب الحكمة وفكر العلم عقبة وعدة شرق وورقية وطروح .

عكف هناك على دروسه مع من عكفوا عليها في رجال ، يحرض معهم عليها ، ويغوص معهم على أسرارها ، لا يمتدحط في ذلك راحة ، ولا يموت فرصة . شدد الامعان في التفريق والنقص طويلاً الاداء في

(١) راجع مقدمته الثمينة لكتاب المراجعيات .

(٢) راجع مقدمته لكتاب الحسن والاجتهاد الطبعة الثالثة .

الندى ، واستطاع دحائل العلم ، واستحلاه عراضه ، واستخرج محبته
والاحاطة بعروجه واصوله .

وكانت أيامه تلك أيام مشرفة واجتهاد ، ماحف بها ليله ، ولاذاته
فيها نهضة ، وكان دأبه تعقيب خطوات اساتذته الاعلام ، مفتشاً أحوار
الاطال من اركان تلك الحوزة ، مستقراً طرائق المحدثين من أساطين
الإمامية ، يعرف بذلك مداخيل العلماء في لندن والتحقيق ومنازلهم
وتدبر أساليبهم في النقص والارام وأنشاط الاحكام ، ايفاه على أفضلهم
عزراً ويهيج مباحث أعدلهم أسلوباً ، وأمثلهم طريقة ، شأن من عناهم سبحانه
بقوله (ابن يستمدون القول فيمنعون أحسنه اولئك الذين هدام الله
وولئك هم اولو الالباب) .

وفي سامراء . . . يوم كانت الدنيا مستوصفة للإمام المجدد حجة
الاسلام السيد الشريف الميرزا محمد حسن الشيرازي ، واورها مشقة ،
والعلم والدين صار بين بحر بينهما (٣) شهد عن كتيب أعمال هذه
الامام الحظيرة في سبيل الدين وتعلم ولادانية .

وهب ان تستقر في بيت الحوزي وفي مدينة (صور) الدات ،
انطق يدخل في كل اميادين السياسية والاجتماعية والعكرية بحراً وتنصهم
ورادة ولادانية ، كان يؤكد ان لابد ان يكون الى جانب المسجد مدرسة
وان يكون هناك مدرسة للصف الثاني من المجتمع .

تأسس المسجد الجامع ، وكان قبل ذلك قبل افتتح أعماله الاثائية
، فب حسية أعدها لتجمع الناس فيها في مختلف الافاق وانظروا وسواعي
(٣) الصدر ، الامام اية الله السيد حسن . تأسيس الشيعة لعلوم
الاسلام ، مقدمة الامام شرف الدين .

يعظمون فيها الشماثر ، ويشقون فيها دروس الوعظ والارشاد ، ويميمون فيها الصلاة .

وبالرغم مما كنت نشيره الحبوب الرجعية من أزمات ، بالنسبة لهذه الانجازات الاصلاحية ، ومساندة سلطات الاحلال لهذه النزعات الصالحة وان الامام لم يعر أية أهمية لكل تلك المعاكسات المنافية لمسطق التطور ، والمعادية لمصالح الناس ، وما ان أهل عام ١٣٥٧ هـ حتى بدأت المدرسة الجعفرية تستقبل أعدادها ، وتوفر لهم أسباب الخير والسلاح ، وتمرور الزمن استطاعت هذه المدرسة توحيدت ، لامام وسداد نظراته ، ان تحرر مكتسباته لأسرها ، وأن تنحوي الى الكفة المحمديّة (١) . هذا ان خصمت لها ، ثابة متممة تبق بمكانتها العلمية هناك .

وبعد ذلك اسس سماحته نادياً سماه نادي الامم جعفر الصادق ، كان اعرض منه اعداده للاحتفالات والمواسم العلمية والدينية والاجتماعية والمدرسية .

وفي سنة احدى وستين هجرية تأسست مدرسة الادب ، وهي تتوخى موحته مدرسة الذكور من الدقيق في التردية بين المذهب الصالح الصامدة لحياة أمن وأفضل .

كان يؤكد الامام شرف الدين ان بعد المستعمر ، لانروق فيه الحياة لانه لاهرار ، ولذلك قل كلمته الفاصلة في هذا الشأن ، ان لامهادنة مع المستعمرين سواء كان هذا الاستعمار عثماني أو فرنسي ام استقلالاً عبطاً ، وكانت سلطات هذه اليهود تقوم مشاريع الامام مقاومة عبيدة وبتأوة مشاره ، مؤونة حائرة .

(١) أسست هذه الكلية بمعونة من المأحر القديني الى الدنيا الجديدة

كان لاستعمار الفرنسي يومئذ في ذروة جيروته . سلاحه التتكيل ،
وشارته البطش ، ومن معاينه السلب والهب ومطردة لأحرار ، كما كان
من الامام ولا ان يحدد موقفه تجاه هذه الاساليب الوحشية التي يرنكها
لاستعمار في حق لوطي والموصلي ، فقام بحث الساس على التكايف وحشد
القوى ، وتجميع النصفوف ، من أجل مقاومة المستعمرين ، ودحرهم ،
واحد البلد من برزنتهم . وكانت حركات سرية تنظم بأمر الامام .
من هها جواب المسألة . ونها تعرض لصدده رمة الوطنية ودفعها الى
ساحة أوسع .

وما ان الطفرة الروحية كانت في تلك الايام - بصورة خاصة - هي
المهمنة ، وهي القائدة للرأي العام ، فقد رأى سماحته ان يشرك رجال
دين الآخرين ، وصممهم كما قلنا أصحاب الرأي في مهام التحريض والوعاية ،
وحين وجد منهم تجاراً ومهتماً ، وقدرة على تحمل متاع الفضل ،
ودعاهم الى عقد مؤتمر للتشاور . وبانهم لم يعد مؤتمر عام في وادي (الحجر)
حصره عملاء البلاد ورعدوها ، وقد أمتى السبد خلال اربعة ايام ، والجهاد ضد
المستعمرين ، فأيد الجميع عتواه ، ثم عادوا الى ديارهم يحكمون الخطط ضد
الفرنسيين على قدر ماتمصح لهم الظروف :

وكانت داره في صور - تلك الايام ، مركز التجميع الساسي .
فها تكتب المصايط التي تطالب بالاستقلال الحاجز ، والها أيضاً ينقلب
الناس للوقوف على تلك المقررات والمطالب :

وعند ما علمت السلطات الفرنسية بمساعي الامام ودوره في الحركة
الوطنية أوجت الى احد عملائها من مسيحي صور كان يدعى ان الحلاج
بروم اعتقال السبد القائد ، ليتسنى لها ضرب الحركة في القرب ، وتمتعت

التجمع الوطني القائم يومذاك ، ومصر عرى الوحدة الوطنية :

ولأننى لماذا اختير ابن الحلاج الذات ١١ .

وقد صحن يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون سنة ١٩١٩ م اقتحم ابن الحلاج الدار عليه غرة ، ومعه رحلان من الحشد العرسى ، وكروا جملة أممانيين ، ولم يكن في البيت ساعة واحدة من أهوايه ورجله

روى الامام مصلا من هذا المشهد فيقول :

(واقتحموا بيتى ثم أحكموا أرواحها ، ودنا القنى العرسى ابن الحلاج شاهراً مسلحة وهو يقص بـ أدبته الشويص الذى كذا الحذاء من وجوه البلاد ، وثائق تحول الملك فيصل ان يتكلم باسمها في عصبة الأمم ، وحين أصبح من خطوة من ركنه في صدره ركلة ألفته على ظهره وسقط المخدم من يده ، وانصت الركلة صبرات شينة الحذاء على وجهه ورأسه ، وعلت صرخة سائلة في صدر فمشت الطريق خلف الباب ، هذا الرهبة تولى هزيمة الجنديين وصاحبهما محققين . وقد كادت الأبدى والأرجل ان تمضي عليهم .)

ومن الطريف ان الامام سلم بحركة خاطعة بوناقى الرطبة حتى تناول حواش الحركة وارثوس القاميين بها ، والتفصيل الى السيدة الحليمة ولدته . رحمتها افه . ، وذلك أثناء الموقف رحمة في مقاهمات كالت محملة

وحين وصل شعرهه الاجراءات الاستعمارية التعسفية الى الله من الطوبى وشاع في أوساطهم ان جلوراً اراد سوءاً ، الامام القائد هو من ككرة أبيهم يعنون سحقهم واستنكارهم لهذه العملة الشيمة حتى صحت بهم رحابيه صور وقجاجها .

ومحكمة لقادة الموضوعيين ، وعلى ضوء تصرف رائد . أفصح لآمام
تلك الحذوق المتدافعة ، أن تلجأ الى وسيلة أقوى من التصهيرات وبصخب
بحقيق الاماني الوطرية ، وأمرها ، ن نمر هذا لحادث مرور لا يطي
الاجنبى الدخيل وسيلة جديدة لتعقد الموقف وإرااكة . أمثل ذلك عند
شكرهم ، وأنى عليهم وعلى وطنيتهم ، وروحهم الطوية بكافة
والظاهر انه السلطات الفرعية ادركت ان يد - الاور لا و ن
سبغت من بداهة لاسماء بعد موقف الجماهير الأخير من حادثة ن صلاح
مكان ان درست محروماً مداعاً على الامام . حدثت له قوة كبيرة من جوده
وكان سماحته قد عادر صور الى بلدة (شعور) فمحمود على داره ،
الوحدة بعد الاخرى ، فأحرقوا داره في شعور ، وقبل ذلك احتلوا داره
في صور ونهبوا ما فيها ، وبها مكتبة الدرة ، الخيرية لائمن بخطر طت
وأجود مؤلفات ، لاسمها مؤلفاته الخطية ، وكان هذا العمل في لوفع اوضح ما
في الكفة :

وجما إلى تسرد أسماء المؤلفات التي مزقها عدون سنة العشرين ،
وهي من الدوائر الممدودة في كوز العقل واهكر
١ - شرح النبصرة في آفته على سبيل الاستدلال ، حرج منه ثلاثة
محدثات تتضمن كتب الطهارة والنقصاء والشهادت والمورث .
٢ - تعيقة على الاستصحاب من رسائل الشيخ في لأصول في مجلد
واحد ،

٣ - رسالة في منجزات المريض استدلالية .

٤ - سبيل المؤمنين في لامامة ، يقع في ثلاثة مجلدات .

٥ - البصوص الجدية في لامامة ايضاً فيه أربعون نصاً أجمع على

صحة الإسلام كونه ، وإلهام من طرق الشعة بحرية ، السحر والتمسقة .

٦ - تبيين الأبيات الدهرة في الإمامة أيضاً ، وهو محمد واحد يدعى على مائة آية من الكتاب نزلت في الأئمة بحكم الصحاح

٧ - تحفة للمحدثين فيما أخرج عن الشعة من المصنفين ، وهو كتاب بكر في الحديث لم يكتب مثله من قبل

٨ - تحفة الأصحاب في حكم أهل الكتاب .

٩ - التريفة في الرد على بطيعة السوء

١٠ - المحال من العاجزة أربعة عودت ، الأول في السيرة السوية ،

والثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهاد والخس ، والثالث في الطهارة ،

والرابع في الأئمة الثلاثة عليهم السلام .

١١ - مؤخر الشيعة في صدر الإسلام ، بشر بعض فصوله في شجرة

العرفان بهذا (راجع العرفان في عهده الأول والثاني)

١٢ - نعمة الله في نفس الحائز ، نشر أكثرها في العرفان

١٣ - نعمة الدلائل من نظم لأبي والاميل ، رسالة علمية أدبية ، مكتوبة .

١٤ - ركة الاخلاقي نشرت العرفان بعض فصوله ،

١٥ - الفوائد والفرائد .

١٦ - تعلية على صحيح البخاري

١٧ - تعلية على صحيح مسلم .

١٨ - الاساليب اليدوية في رجحان مآثم الشيعة ، ينسب عن الأدلة

العقلية والفقنية ، وهو في غاية بكر جديد .

ثم نلا احراق مسكنه في شحور ، ومداومة بيته هي صور ، أحدث وأحدث « إنسع فيها الحرق ، وانعجرت بها شقة لخلاف « صطار الى مودة بلده وتوجه غلبة الى دمشق (١) التي كادت تروح ايضاً تحت نير الاستعمار الفرنسي ، لولا وجود الملك فيصل الأول على رأس حكومة دمشق ،

وقد احصى الملك فيصل ، الامام شرف الدين احتفاءً ، بلقب لمكانته وأوسم له مكانة أثرية ، وبمراته حاش الطمأنينة في هذا البلد ، وما كان من الامام إلا ان ارسل يستدعي أهله وعياله ، ومة من كروا مطاردين من سلطات الجيوب الشامي ، وأصبح ممره في دمشق ملتقى احرار الأمة العربية ، ومقصد العاميين في الحفول العامة

وبما أراد في تعريف الامام لدى الرأي العام السوري ، ووطئ ركزه كزعيم من زعماء الفكر وقادة الرأي ، تصديه للحدث في اكثر من مناسبة ، وارتقاؤه لدير يدعو للرأي السديد ، والعمم الجم ، أمته لاسلامية الى البيقل والتوثق والمحضر من أهل ماء جيل راسخ قوي يحقق بالامة العربية آماتها في اعادة ابردها المندثرة ، واحياء نرائها الخمد .

وكان لابد ان تمحص الحالة السياسية القديمة يومئذ في دمشق عن

(١) كان الامام حين دخول الجيش الفرنسي الى شحوره وحوداً معها ولكنه نهض مبرحاً وقد وضع علمه على عنته واجهه الى معارة غرب البهر ، يقول ان هذه المعارة سبق ان آوت احد اجداد المترحم له مد فراره من صمم الطاغية المعروف بالحرار ، وتهي الامام محتشاً فيها الى ان جن القلام ، وعندها عاد الى شحور دانت لبيته ملك هناك ثم توجه متكرراً الى هاصمة الشام .

ظروف عبر طبيعية ، لاسيما بعد ان شهدت هذه المحاصرة مداورات سياسية ، واجتماعات وطنية ، وحملات يعلب عليها الطابع الثوري ، تمت ذلك اتصالات بطيقات محتصة من الحكومة والشعب ، فكان اصطدام العرب بحيش الاحتلال ، حيث التقى الجمعان في (ميسلون) ، واشتبك في حرب لم يطل أمدها ، ودارت الدائرة على العرب لاسباب تعرض عنها :

فاصطر لأم تحت وطأة هذه الظروف المستحقة الى مغادرة دمشق الى مصر ومنها الى مصر بفر من أهله ، بعد ان ورج أسرته في فلسطين ، وفي الشام ، ومن بعده من حل عامل ، في مأساة تصيف أداة الى الأداة على قوم الاستعمار وقظاظته .

ورتل المذموم - هذا آية الله لأم الشيع مرتضى آل ياسين ، وهو الصادق لأمن ، طرداً من جهاد الامام شرف الدين ، ومادقته أسرته في حربه من آلام الممي والمطاردة .
 رسول أطال الله وقاه .

(وقد صنف من أهله الدين ذهبوا الى (عاملة) ، ويجوون القلوات والاداء : في رأيا ، لايجدون سعة من العيش يحشون بها معد صبرهم المارغة ، على أنهم يدأون من المال أهداف القيمة ، ويسطرون أكرمهم سعة در ، وأجيراً لم يجنوا حلاً عبر نورج قاصتهم في الأطراف لمأدده ، من مني من اوليائهم ، وأصدقائهم على شيء من الوفاء أو الشجاعة .)

وحين وصل مصر احتضنت به ، وعرفته ، وأرغم من تسكره وراء كوفه ، وعقل في طراز من الهدام على نسق المأرف من الملاس الصحراوية

اليوم ، وكأنت له موقف في مصر وجهت إليه نظر الخاصة من شيوخ
العلم ، وأقطاب الادب ، ورجال السياسة على نحو ما تقتضيه شخصيته
الكريمة .

وبروي (١) انه قصد إحدى الاختلافات هناك ، كانت حادثة
الداس ، فارتقى الممر وهو لا يزال نزه العربي فأشد .

ان لم أقف حيث جيش الموت يردحم

فلامشت بي في طرق العلى قدم

فعلا الصديق ، وقد أحسن الامم انهم قد ضلوا انه هو القائل
فاستدرك وقال ، رحم الله شاعره ، ان الدت السيد حيدر الخلى حيث
يقول .

ان لم أوف حيث جيش الموت يردحم

فلامشت بي في طرق العلى قدم

وعندما دوت اعادة التصديق ، وكثر الاستحسان في كل مكان ،
ثم شرع بخطب بصوته الجمهوري ، وأده لدرى وطعه العلوي ، فأس
الجمهور محتشدة ، ملوثة يده . ودصاحة لده . وساطم رده ،
واقبياد المعاني لدقيقة إيه . يتصرف بها ولاأمر كما شاء . ويوجهها
كيفما أراد .

وبقا ان الكاسة المعروفة (مي ريدة) كانت من حصر هذا الاجتماع
ولمحت ان الامام كان يكثر من مدعية حاقمه ، يدبره في أسلمته باستمرار
فقالت معقبة على ذلك . (لا أدري هل الخاتم أطوع الى ماله ، أم

(١) راجع ، مقدمه النسخه مع لامله السيد محمد صادق لكتاب النص

والاجتهاد الطبعة الثالثة :

البيان أطوع الى لاله .

والحقيرة لم يكن هذا هو اول عهده بمصر . فقد عرفته الكفاية قبل ذلك بشان حسين ، حين ردها في اواخر سنة تسع وعشرين ، ودخلت عليه فيها سنة ثلاثين وثلاثمائة والاف هجرية ، في رحلة علمية جمعتها .

أهل البحث ، وجمعت به قادة الرأي من علماء مصر .
اروى الامام شرف الدين قصة هذه الرحلة ، واحتماءاته المثيرة بالامام البشري فيقول .

كنت مصر وماترن حارة من مزارات العلم في الشرق العربي والديار الاسلامية ، يؤمها رواد المعرفة ، ومنهجوا الثقافة في مختلف الاقطار . وقد كنت تكفي . النخب الاشرف . ارهوها الشريف ، ونجاره في خدماته الثقافية الاسلامية وحراسه للعلوم العربية ، وقد أم الازهر . فيما أعلم . كثير من اعلامنا ، توسعا في العرفان والاحاطة ، وتربدا من المهدومات والاطلاع ، وكنت أحب . بها أحب . ان ارور مصر . وأقف على اعلامها لأحد العلم منهم ، ولأنو مايعنى من الجامع لارور ذلك المجهود الجليل .

وضعت هذه لأمية كنية في نفسي حتى حفرها خدول المرحوم السيد محمد حسين في اواخر سنة ١٣٧٩ هـ حين ردها في عاملة ، ووجدني وياه . كما ذكرنا في ترجمته . بمحر عذاب البحر في بحرة الفت مرسياها في بور سعيد ثم حملها القطار فيها . الى القاهرة .

وكن لهذه الزيارة اثر محمود في نفسي وفي حياتي ، ذلك اني توجيت أن أعمل في الحيدة العلمية . واستبطل دخائل المجتمعات الأدبية بالتحدث الى العلماء ، والسماح منهم ، وتبادل الزيارات بيني وبينهم .

والمصاهرة في أهم المسائل العلمية التي كانت مدرّس البحث ومبحث المصيدة وقد بدأت هذه الجولة المحصورة في دولة شيخ الأزهر يومئذ الشيخ سليم البشري المالكي - رحمه الله - وكان يشرف على تلاميذه من منزله وهو منطلق في درسه بطلاء يخط به ثوبه وصلاته فيما هو فيه ، وكان يلتقي درسا في مسجد لادام الشافعي ، فكان يعرض أول ما يعرض لاسند ، فيترجم ويحال صليته بإحصاء - دنا - انتهى إلى الحديث نفسه وصل الكلام حوله بأصالة ، ووقف إلى أمه وثقة أدبية ، ثم خطا إلى مورده ومعه ، فان كان في سبيل حكم من الأحكام ذكر ذلك ولا يمتونه ذكر الأصول العلمية ، ويوعده العلمية ضد الاقتصاد ، وأما لم يكن بدونه التمرص لأقوال الأئمة في المسائل الخلافية ، ولا يمتونه مدرك الخلاف وهذا كان الحديث معارضا جمع بينهما فيما يمكن به ذلك ، وأورجح أحدهما صاعدا ، ووجه الترجيح .

حضر درسه لأول مرة وهو يرسل فيه عن هذا النحو ، وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب مناقشته مناقشة ، ثم علمت بعد ذلك لمناقشة وقت المحاضرة ليست من الدراسة الأزهرية ، فكانت ملها ، وصلى إليه بعد الدرس بما صدى في المسائل الجديدة والبحث والمداكرة

وقد كانت مناقشتي الأولى - في كل حب - ساء في اتصال الأدوة يبي وبنيه ، وسبلا إلى لاحترام المساذن ، ثم صالت لاجتماعات فيما وشاحت لإحاديث ، وتشعب البحث بما سبحانه في كذا - المراجعات - وأولم يكن من آثار هذه الرقابة إلا هذا الزكاب لكات جديدة بأن تكون حادثة الأثر في حياتي على الأقل ، ولعل الكتاب يعرض بعض الاجراء العلمية التي تفياأناها يومئذ مطلقين في آفاقها مطلقين من القيود

الكتبة التي كانت توثق الأفكار آنذاك رحلت بفريق صادرها حتى
بالقشة البريئة ، والمكرر الصحيح .

ومهما يكن من أمر فقد تم . مصر في خدمة هذا الشيخ واتصلنا
بعضه من اعلام مصر المرس ، إد راروا وروادهم ، أخص منهم
العلماء الشيخ محمد السملوطي ، والشيخ محمد بخيت ، وقد بعثت في
هذه الاجتماعات الكريمة فؤاد حمة أفها الاتصال الفكري بين مدرستي
المحب والارهر ، والعارف بين حريجي هذه وخريجي تلك على مدى
ما في كل منهما من أساس التفكير ، وطرق الدراسة ، ووفرة المحصول
ودع عنك مالهذا الاتصال من النتائج الحسنة التي تعود على الوحدة
الاسلامية بأعم الموائد وأحداها .

. . .

ولكن زيارتي كانت زيارة فردية . ثم هي منتظمة لأول وآخر
وكذلك زيارات من مصر عبي . لذلك كانت فؤادها وقتية ،
ولو ان الزيارات تستمر متتالية بين البلدين . لكان لها أحن الانر
في رفع كثير من عشاوات العدد ، ولانهاضت إذن حافظت الأمة متفاهمة
متحابة . تشاقي كرويس القماء والولاد .

ولعل الداعي الاجتماعي الجديد يقرب خطوات هذه الاجتماعات
مشكل من الاشكال الرسمية . لتدنيها من الواقع الحبيب .

وعلى كل عذرت مصر وابنا أحن إليها ، وأنريد من ثالث دها .
ولم اعادها قبل ان يفتحني أعلاها الثلاثة - البشري وبخيت والسملوطي -
باجازات مخصصة عامة عن مشائخهم أجمع طرقهم كلها ، المتصلة بجمع
ارباب الكتب والمصنفات من أهل المذاهب الاربعة وغيرهم في جميع

العلوم عقلية ونقلية ، ولا سيما الصحاح الثثة وموسى مائث ومسد أحمد
ومستدرک الحاکم وسائر الماسید وکتاب التفسیر والکلام والفقه وفقية
العلوم الاسلامیة مطافاً

ومن نعمنا بعد منه في مصر ، وتادلتا معه الزيارات ، وكانت
بينا وبينه محاضرات ومطرات في مسائل فقهية واصولية وكلامية ،
دلت عن غرارة فصله ، وروبح قدمه في العلم والفصيلة شجعا الشيخ
محمد عبد الحی بن الشیخ عبد الکریم الکنانی لادریحی القاسی ، وقد
أجازنی ابهاً اجارة عامة وسعت طرقي في الرواية والحديث

واطردت المراسلة بعد العود الى البلاد بيني وبين شحنا الشری
زماً ، ثم طفت علينا الشرع والکوارث الحرب العامة الاولى .

وکان رجوعنا من مصري جمادي الاولى سنة ١٣٢٠ هـ .

وقد حملنی الى مصر علی زیارتها مرة اخرى عرساً لها فيما
تحدثنا به عن نهضتها سنة ١٣٣٨ هـ المرافقة لسنة ١٣٢٢ م

وفي اواخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة والى هجرة ، ترحح «دی
الامام ان يكون قريباً من بلده ، معادير مصر الى «سطن» ونحط
من قرية (علما) التي تقع على حدود جبل هامل مقراً له ، وفي هذه
القرية حوى اليه عشيرته وأهله ، ولحق به اولياؤه المشردون في هذا
الجهاد الديني الوطني .

وبقى الامام في (علما) عدة شهور يتابع أسانه الله عن كتب ،
وبرعى شؤون أسانه بصتهى ليفة والحذر ، وكانت هناك مداوخلات
على مستوى عدل ، وفي دمشق بالذات ، حيث مقر الجنرال (حورو)
تناولت مصير المجاهدين المتعينين ، وقضايا جعل عامل .

ولقد تكلفت هذه المفاوضات بالبحاح ، حيث صدر عمرو عن
الوطيبين ، وعلى رأسهم الامام ، ووعد من السلطة بانصاف جمال عباس
وانهاضه ، وإعطائه حقوقه كاملة .

وبعد فترة وجيزة ، عاد الامام الى هائلة .

والذين ارحلوا هذه الفترة ، أفاضوا في الحديث عن مظاهر التحمس
للامام بعودة السيد الى مستقره لاسمحوا فيما تضمنت عنه قرائع الشعراء
وسلائق الادباء من رائق الشعر وأجود النثر يقرب الأستاذ الاديب محمد
على الخرماسي رحمه الله (١) في رسالة يحاطل بها الامام شرف الدين
يصف فيها عواطف الخيل يوم العودة (٢) :

(المذكر ايضاً يوم عدت من مهاجرك في - الى الجهاد ومطت ارض
صور وانكما الجبل بأسره عليك مرحباً بقدومك - لي ان قال بعد
عرض لمح الشعراء واحراقه معهم في النار ، لقد شهدت هذا رمي
ولم احرمه من عظمك واحسانك ، وشهدت ايضاً بعهده أيام يوم
أعدت صعودك الى قربنت شعور ، فتحدى أفراد الشعب ونهضوا ،
وماح بهمهم مصاً للصعود بركابك من الساحل والهوط لاستقبالك من الخيل
وكان يوم هروجك مشهودا وكانت الحيازة تحفك بحبلة لك احاطة
حمير في نع ، ثم صعدت والخيل بركابك تمتد أميالاً حتى اذا وطأت
صالك الخيل ارض شعور وقد ملأت الوفود ضاحي القلدة وغضبت
(١) راجع ص ٢٧ من العدد عشرين من السنة الاولى من مجلة

العروبة اللبنانية .

(٢) كانت عودة سادته يوم الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٣٩ هـ ،

وكانت مدة تشريده ثلاثة عشر شهراً و ثمانية عشر يوماً .

الحقول المستغلين حتى لم يبق شجرة تندى فروعهها على غير محبيك
وزائريك ، ولست بعد ذلك تنفى الوفود اثر الوفود وعيهم السماء
والادناء والشعراء وفيها أيضاً .

وأما الموائد التي أديتها والسمط التي مدديها ، وأما الخدم التي
كانت تختلف الى قاعات الطعام ، وأما الصحايا التي كانت تملأها
من الصان والماعز ، أما ذلك كله فقد كثر فيه سيد العرب ، أعدت
لذاته عهد حاتم طيء الى آخر كلامه .

. . .

والملاحظ في الاحوال العامة لمطقة جبل عامل ، انها مهيأة الى حد
التصريف ، وانصيها من التقدم بمختلف مصاميه ، يكاد ان يكون
معدوماً . وسبب ذلك كما يبدو لي ، نشاط زعماء المنطقة فيما بينهم ،
واصرافهم الى كسب ود السلطة في بيروت من أجل المركز السياسية
وبعض الوظائف الرسمية الكبيرة التي نحتسب السيادة الطائفية هناك اشغالها
من قبل مسلم شيعي

ويبدو أيضاً ان الامام شرف الدين قد تمسك في حيله . من
موضوع ايجاد جو صانع انقياد نوع من التعاون بين أطراف البيوتات
ذات العود في المنطقة ، لسيطرة كما قلت الذهنية المصاحبة عليهم او
على بعضهم إن شئتوا بدقة .

ولهذا ضاعفت مصالح المنطقة العامة في خطم هذا النشاط انقل
المندوم ، وهذا بالطبع مما استفادت منه جهات اخرى على حساب
المنطقة العاملة .

ومن كتب له ان يزور البلاد العاملة ضمن جولة في القطر اللبناني

الشفيق ، ساعد هذه الحقيقة الصارخة ، واضحة ومعروفة •
 قدم وفد حضاري ورافاه من جهة ، وفي الجهة الأخرى . تأخر
 وموجة ركود وفقر .

ليس بين يدي مع الأسف ما يؤيد ان الامام شرف الدين قد تابع
 نصائحه السياسي من أجل دفع الحكم الوطني في لبنان الى انصاف المنطقة
 المحيطة به

وأصاب ذلك من السهل اثباتها في النقاط التالية :

١ - ان أصحاب المرد في جبل عامل لم يكونوا موضوعين في
 العمل السياسي ، ولهذا كانوا لا يتورعون عن اتباع مبدأ الميكافيل
 لتحقيق مطامعهم ، وهذا ما كان بضاد مبادئ الامام ومبادئه على
 طول الخط .

٢ - انصرف الامام الى البحث العلمي والخدمة الثقافية ، وقد أخذ
 به هذا لانهما ماحدا كبيرا ، واستحوذ على اوقاته استحواداً .

٣ - اعتماده الرئيسي على مركزه خارج القطر اللبناني من أجل
 تحقيق اهدافه الإصلاحية في بلده ، فانكليه الجمعرية مثلاً لم يرتفع صرحها
 إلا ليليل من المعرب للسياسي الواعي •

وقد يروح بما تقدم ان السيد الامام اعتزل الحياة العامة ، وانكب
 على التأليف والشر او الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون ان
 يكون له رأي في المشاكل التي تعترض الوجود الاسلامي او العربي على
 حد سواء والتي نعت من طرف سياسي معين .

العكس هو الصحيح تماماً .

كان اخلاصه ونضاله يهتمان عليه في معظم الاوقات أن يضع

رأيه ونشاطه ومركزه الى جانب القضايا العادلة سواء كانت ذات طابع
إقليمي أم ذات طابع أوسع .

خلدوا قضية فلسطين ، وهي أعمق جرح في وجود الأمة العربية ،
بل في وجود العالم الاسلامي ، كان دور الامام في طرح المشكلة فكرياً
وقومياً والسانياً في بلده وخارجه ، ارزاً ومؤثراً .

وكان دائماً يعان في محاضراته وخطبه ومراسلاته خطر الهجرة
اليهودية الى فلسطين ، ويمتدحها مقدمة لعمل اجرامي خطير ، تحاول
الصهيونية عن طريقه وبمعاونة الاستعمار ومخططاته في هذه المنطقة العربية
الحساسة اقامة دولة امرائيل في قلب المروية وفي الخطر خط استراتيجي
وقد عثرت على كتاب له يشرح فيه موقفاً من مواقف عام
١٩٣٨م بخصوص هذه المسألة الحساسة .

يقول مساحته (١) :

(. . . علمتم بوصول اللجنة الفنية الانكليزية الى القدس الشريف
لتقضى على مننويات الاسلام والعرب باقتسام فلسطين ، ووضع الحدود
فيها بين المملكتين ، المملكة الصهيونية والمستعمرة الانكليزية العربية . اعطاء الاولى
روضات فلسطين وجباتها ومروجها ، وعدلها الساحلية ، واخصاص
الثافية برؤوس الجبل ، وكل أرض حرة ، لا كلاء فيها ولا ماء ، وهذا
ما أقام العرب وأندهم ، واثار حديقتنا ، فأضربنا عن كل عمل احتجاجاً
على استهداف هذه اللجنة بأمر الاسلام والعرب ، وتمليك اليهود قبلتنا
الاولى ، وحرمانا الثاني ، ومهوى براق نبينا ليلة الاسراء وبحل هروجه
(صلى الله عليه وآله وسلم) الى السماء ، ومعاهد الببين ، ومشاهد

(١) رسالة موجهة الى مساحة العلامة السيد محمد صادق الصدر

المسلمين ، وأرضها المقدسة التي بآرك الله حولها ، وقد أصبحت صور
يوم الخميس ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٨ ، مع قرى جبل عامل كلها ،
مضرة كل الأصراب عن كل عمل من الاعمال ، احتجاجاً على تقسيم
مسطين ، ومايجرى فيها من الفضائخ والمجائع ثقيلاً وتشكيلاً ، وحبساً
ونشريداً ، وكن في صور مظاهرات دالة على عقل وحكمة وحساس
وشدة هأس ، وقد اجتمعت الجماعير عليها ، خرجت معهم بين الهتاف
الى الجامع ، فأقيمت عليهم خطابات على ما تقتضيه الحال ، فأبكى العيون ،
وتصعدت به الزفرات والحسرات ، وحثت به الاصدات بالهتاف
والحماس ، ثم أقرت باسم جبل عامل لكل من المفروض السابق في
القدس ، والجنة التنفيذية الامكلمرية . مايلي :

(العرب يشورون بتقسيم فلسطين * . جبل عامل يستميت ، البلاد
مضرة احتجاجاً ، أرواحنا دماء أرضها المقدسة) انتهى وقد استمر جهاده
من أجل فلسطين الى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة . بشحن
الهمم ، ويثبر في النفوس الدخوة ، ويدعو الى الجهاد بالمال والنفس
والولد ، ويكشف للرأى العام اسرار القضية ومن هم وراءها

• • •

هذه نهلات رقةا القلم ، توخيت منها أن تحملك على جناحها الى
حيث تتسم معى عطار أحواء روحانية صافية ، حيث يتقاسمها مولوداً
صوياً : . اكرمه بأوين لهما في عالم البقن قدم راسخة . . .
واحتارت له أبدياً مؤمنة ، تصقل معدنه الشقى ، وسافته الى يتسوع دوق
يتفجر اخلاصاً ومعركة وصدقاً ، الى تلك الخامة التي تضيء أهداه
وار الأمانة ، ونشت شأنها مصابيح الهداية ، ثم أعطاه رجاحة المكمو

وطيب السليقة . . وتوقد الدهس . . وبعد النظر . . وصماه الجوهر
 فصاحت له ذلك القلم الذي تنضوع به الثقوب العالية ، وتنتش بمعطياته
 المفيدة السمحة ، وترتفع بتجرده قيمة الفكر المنحس الخلاق .
 ثم كانت بهاية المطاف . . أن يحترق له ميدان الجهاد . . صاحة
 المعركة . . حلبة الصراع . . الجهاد في سبل الدين . . والمحركة مع
 الجهل والتأخر وهروب الإنسان . . والصراع مع عنفات العصبية ،
 وشخص الحقد الموروث . . ومحذات الأموية في صدور بعض المترمبين
 وكأنها عدالة قدر لا عيبص عنه ، دعت مصحة الاسلام الى المعمة
 وكان ابن بجلتها . . درسها انوار ، ولقائده الذي يصل الميدان وفي
 دمه أبعاد المعركة . . وفي خاطره وعي كامل لمعركة اخرى اذا
 ما كسره الربيع .

وفي عاملة نسق لنا أفكارنا العقيدية ، وهذا هو الدافع الأول لقيام
 هذه الدراسة ، وانخضاع حياة العامة الى شيئين من التحقيق والتدقيق .
 هذه الهلات على احتصارها ، ربما تؤدي مهندتها في تكوين جانب
 من هذه الرسالة ، وفي نقل مضامينها الى المدى الذي يفتح الناس : .
 بجلتهم الى ر عقيدة الاسلام ومقوماتها العقلية يلدر في قلوبهم
 بذور الاحلاص للمدا ، لنحو حصائص المروءة في أعماقهم ، وتورق
 دوحه الكرامة في أحاسيسهم بعد هذا .

هناك قضية نطللج في صدري . .

نخل الامام شرف الدين تاريخنا الاسلامي بحلا عجبا ، عرف
 غشه من سميه ، ومبرين صادق وكاذبه ، ومن المؤكد به عثر في
 نرائنا . . في بعض المدونات المسوبة اليها شيئا يشبه السخف إن لم

يكن المحف نفسه .

هذه الناحية المهمة . - نخلت منها مؤلفاته .

لاشك ان اموراً كثيرة علفت بثراتها خلال عمره الشاف ، سواء كان ذلك في جهود الارهاب والابادة ، ام في الجهود التي خيم عليها الجهول والظلام ، وان كثيراً من الشعائر الاجتماعية البعيدة عن روح الدين ومقطفاته أخذها الناس وكأنها من مصلحات الشريعة .

روى في العلامة السيد اسماعيل الصدر . ان من دأب الامام شرف الدين اذا حضر مأماً حسيباً ، وروى الخطيب رواية يعوزها السد المنفل الذي يتوافق بايديته مع منطلق الأمور ، فسرعان ما يأمر بانزال الخطيب من على المنبر ، وتقرينه بعنف امام الملا .

هذه الحساسية المتصورة ، اعتقدناها في اتجاهه .

انامي الواقع لنا ثلاثكة ، واذا كنا راغبين صدقاً في معالجة مشاكل الاسلام اكتمل ، يجب علينا الانتباه الى داخل ههنا أولاً ، نحن نترك بعض خطباء المنبر ، يلطمون على الناس هراءاً ، نأباه بشكل حاسم عقيدتنا الواعية ، ونترك جماهيرنا ، والناس الطيبين ، ذوى العقيدة ، تنبذ طاقاتهم في انفعالات ، ولحمها ورنشها في يوم من الايام افراد سطاء مدح .

نترك كل ذلك ، ونستمع منه بالصريح . بأعلى اصواتنا ، نحن نخير النحل . نحن على الصراط ، وعبرنا في النار .

نعم كان قادتنا على الصراط . . ألبتنا . . ألباذ مجتهدينا . . ومارال منهم اليوم من يبدء الشملة ألوهاجة . . المبدأ الصارم المستقيم للصيحة الاسلامية الاولى - نداء الامانة الخالد

أما من سواهم . . من يرى أن القائد يجب أن يتمتع جسدي ،
والمجتهد أن يرعى هوى المقلد ، فجميعهم على قارعة الطريق ، لا فرق
بينهم أبداً وبين أي هريرة و كروم على أو فلان أو فلان
كنت أريد أن أعرد الإمام بحثاً أو فصلاً في أحد كتبه لمعالجة هذه
الناحية ، يعلمه وقلبه ، وقوة مراسه : . وجرائه .

الروايات الصغرى في بعض ما حمل القينا من مخططات إذا كان
كثيرة . كثيرة . كان من الأفضل أن يهيئ لها الإمام رسماً تختص
فيه

الاعمال البهائم التي يقرنها من الناس على أساس بها حرم من
مكبر الإمامة ومقوماتها ، كان من الأنسب أن يدخل لأمه معها
في معركة طاحنة . تنفي عما هذه الاصحوة .

ليس ما من لاؤس بحجة الإمام شرف الدين ، وحديثه أرادته
وإسناده في نصه : كانت في عامه يوم أن رلها الرجل مد عنه الطوية
أيام الدراسة ، قطاعات مسكرة لانتلك العامة من أمر معها شيء ،
ولأنهم من الحياة في طلبها غير مصابها المرادف للرق والعبودية ، ولا يصح
لها أن تصفهم عبر ذلك من حياتها الهبة المسخرة للأقوياء من جسارة
الناس وطواغيهم ، قلما استقر به المقام ، لم يستطع إقرار هذا الطم
الخائف المستند بحقوق المواطنين ، ولم يجد من نفسه ، ولا من إسناده ،
ولا من بده ، مساعداً للصبر على هذه المحنة ، وإن طهرها ، لأقوياء
والمترحمون والمستعمرون ، وكل من يتحلب ضرعها لمدى الخبث ،
لذلك ثار عليهم ، وأمر ذلك منهم ، واستغلظ الشرية وبينهم ، فجمعوا
له ، وأجلوا عليه ، وسعوا فيه .

وكنت ثورته تنصب على تحطيم تلك العلاقات غير المتكافئة بين
المتعديين وبين سائر الناس على اعتبار انها تشكل انتهاكاً صارخاً لاكثر
من مدلول اسلامي موجه :

ان المتمردين المقيدين الى حراب الاستثمار واستثمارته ، يبرءهم
وهذه حالة نجدها في كل مكان ، ان تتجند قوى الشعب في مواكب
نسى الى العلم . : الى التور :

كل دارقة ثقافة أو مربد من معطيات العلم ، يحسون انها مدية
قائمة تمتد الى صدورهم ، فتراهم في مثل هذه الحالات يقسمون . .
يستديرون من الذناب المخالفة . ومن الاعاصي السم

هذه الحالة واجهها الامام شرف الدين ، وعاش توارثها اللادة ،
وعانى في سبل عبورها ما يعاني الملاح في سمية طعى عليها الموج ،
ولعبت بها العاصفة :

أترأه نكص أم تزعزع أم غار ؟

كلا . . ثم كلا . . مضى في جهاده قوياً ، وشبداً صابراً ،
محمباً ، يقل الحرف الشبل والكلمة المعطرة ، الربانة الى المقول والافهام
لتحرر من الوط وأعمال السخرة ، والاعلال . . لتكون لة في ماء
شامخ مرصوص ، لاحفنة تراب في حائط متداعى :

. . .

والامام في هذا الصدد كلمة حكيمة ، ربما تعطي مغزى الشعار
لتطاعته الاصلاحية :

يقول . (لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال) .

وعلى اساس من هذا المفهوم الواسع نهض الامام يطبق منهجته في

عامة ، مدداً بكل الممارسات التي كانت نتحكم في مصالح الناس
ومقدراتهم :

والحقيقة ان الضلال الذي حياه الامام بهذا القول يمثل المذهب
الفكرية المستنقاة من مصادر غريبة عن مفاهيمنا - وأعمالها موضوعة على
اماس ان تكون سبباً واحداً من اسباب كثرة بروجها الاستعمار الغربي
من أجل تسميم أفكار الناشئة ، وتجنبتهم عن مسؤولياتهم ، وتحويلهم
من مقومات تفكيرهم :

هذا هو الضلال كما شخصه السيد علي ضوء تجاربه كثيرة ، ووحى
من حكمته ، وعمق نظرته .

والدلك كان يشجع ويدعو الى تأسيس المدارس التي تطبق المذهب
للإجابة من صميم تفكيرنا وعقيدتنا ، على اعتبار انها تصون مداركنا
من الفروقات التبشيرية المربكة ، سنار من الحرير

كان يريد مدارس عصرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ،
ولكن في إطار من البرامج والعلوم التي لانفس مبادئهم الدينية ، مع
ضميمة دروس دينية تكمل تركيز هذه الروح ، والاحتفاظ بها في
نفوس الجيل .

وكان هو من العاملين بحدود هذا التشخيص . . . معى وجاهد من
أجل هذا النمط من المدارس ، فكانت معاهده في صور ، تطبق حي
لهذا الرأي :

. . .

ولعل أحسن ما يحتم به هذا المصل كلمة للامام شرف الدين بقلمه
يسجل فيها أفكاره في حقل التربية والتعليم بدقة ووضوح :

وسجد ب هذه الكلمة لانتزك شيئاً إلا وتورده علماً في هذا الباب
فتأملها .

(من بعيد فكرت في انشاء معهد علمي بضمن تربية اغاثا تربية
صالحة ، مساهمة علماء ، ومنهجها الأحدث بحفظ وافر من الدراسات
(١) سرى خلال هذه الدراسة ، ان الامام شرف الدين
قد ترجم نفسه ، وكتب سيرته بقلمه ، وليس في هذا الأمر ما يدعو الى
الاستعراب ، فتدبيرا سار جماعة من امثال ابن خلدون وابن سينا واحمد
عارس الشاذلي ، ومحمد عبد ، واحمد شوقي ، ورشيد رضا ، والمازني
وطه حسين من العرب وسمر ، وروسو ، ودارون وكارليل من الافرنج
في هذا الطريق ، ولعلهم اقتنعوا بقول الشاعر .

وماذا بصر المرء في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله كذب
ولعلهم انصأ اقتنعوا بقول بعضهم ، ان المرء عطاش ان يشرب
الحقائق عن نفسه ، وان يحتاط لذلك قبل انصرافه من هذه الدنيا ،
حتى لا يترك وراءه حيل ، إذ يكون الشاهد بعيداً ، والثبت ضائعاً
ما لم يقه وما لم يعمله .

ومن مصدره الاسبق الراعي في هذا المجال ، ماتحقق في الفترة
الاحيرة ، من نقل هذه الفكرة الى مستوى اداعي ، وقد استمع الناس
في فترات مقطعة الى سبر ثلة من ادباء الجيل ، يتحدثون الى الناطقين
بالصناد عن تاريخ حياتهم وعن النقاط الالامعة فيه بما يوحى ان يكون
اداة نوعية وانهاض حماس والتأثير على الجيل الصاعد بالاضافة الى معاني
الكريم التي تطوى عليها هذه الدمية الثقافية .

العدد الرابع - السنة الاولى . مجلة الالواح اللبنانية .

العصرية على ضوء المعارف (المحمدية) وذلك لأننى أرى ان لاعملى
لنا عن هذه الخطوة الحكيمه فى سبل ساء مستقل أصل .

وقصبة فضل العلم قصبة بديهية قرع الناس معها ، فما يريد ان
تقرر المقرر فى اتصال العلم ، العلم الصحيح ، الرخاء والسعادة والأمن
والاستقرار فى حياة الأمم ، ولئن احتلعت مصر الحياة ، وطواهر
الاجتماعات ، اختلاف المصور والبيئات ، وان العلم بجوهره واحد فى
وجوه وصورته ،

وهو بهذا المعاد موضوع على به الاسلام عبارة جاعدة ، ووصفه
من فروضه بن الواحات المؤكدة ، ثم وجه بحوره توجيهها ملحا لانجد
مثله فى نصوص الأدبان الاخرى :

- هل يستوى الأعمى والصير ؟ ام هل تستوى الظلمات والنور ؟

- هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ . . .

- مثل الفريقين كالأعمى والأصم والصير والصح هل يستويان مثلا ؟

- أمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ؟ أمن يمشى سوياً على

صراط مستقيم ؟ . .

- انما يخشى الله من عباده العلماء .

- وتلك الامثال نضرها للناس ، وما يعقها الا العالمون .

الى كثير من الامثال هذه الايات البينات وحسنا من السنة قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : تعلموا العلم فان تعلمه لله حصة ، وصيه
عبادة ، ومدكراته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه
صدقة ، وطلبه لأهله فريضة ، وهو الأنى فى الوحشة ، والصاحب فى
العزلة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح

على الاعداء ، يرفع الله به اقواماً فيجعلهم في الخير اداة ، تقتص آثارهم ، وبقتدى بمعالهم ، وينتهي الى رأيهم (١)

وفيه ما يأخذ بالنفس شوقاً وانشياداً الى انبياء الماهل العلمية ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : اطلب العلم ولو بالطين ، والصبين هنا كناية عن كل مكان بعيد قرم إليه الركائب بين شدائد الترحال ، ومكازر الاسفار ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ، اطلب العلم من المهد الى اللحد ، وهذا كناية عن قصر العمر واستفراجه فيه ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ، طلب العلم فريضة ، وبين العالم والعايد مائة درجة ، بين كل درجتين مثل حصر (٢) الجراد المضمهر سبعين سنة ، وهذا يصدق الناس بصدقة مثل علم يشر ، وخيركم من تعلم العلم وعلم الناس ، الى غير ذلك مما هو مأثور عنه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاوامر السامية التي بلغ المسمون على صورتها بعد اشواط الحضارة والرفي والسياسة فملكوا أزمة الدنيا العلمية وعمروا حتى يحامل الأرض بملكهم العتيد . وكذلك العلم يفعل .

ولما هدأت تلك الحركة المحددة المتجددة وانكدرت صفاء العلماء والعرب وغيروا ما بأنفسهم غير الله بهم معات العاشمون بكتبهم ومكتباتهم المؤلفة بالتمس الاسرار وراحت الأمم المعبرة تنصرف بمقدراتهم ومقدساتهم ودهما الغرب بحبله ووجهه فادخ بككاه وضرب بجرانه فاستبحود عليا دخولا في مدارس وإصفاة الى رساومه

(٢) مجده بإساده في كتاب العالم مؤلفه الشيخ المحقق الامام

حسن خليف الشهيد الثاني اعلى الله مقامهما .

(٢) حضر . بوزن قفل ارتفاع العرص في عدوه .

ولقد عهد لرج ناهلاد أكبادا الى أحضانه ، تحوطهم طوائف مه ، اومن
حملة مبادته بالحصانة والقادة ، حتى اذا خرج الفوج الأول من شان
الجبل المأمول ، صمنا ان الحسارة اكبر من الريح ، والانم اكبر من
المنفعة ، وذلك لانهم تعلموا دور توجيه او تعلموا في ظل توجيه مفسد ، بخضع
القادة الى مناهج استعمارية تعرو أرواح أبائنا بأفتك مما يعرو به الاحتلال
بلادنا .

وكما في تعليم أبائنا هذه المعارف المسمومة ، كالمات من حتمه
بظلفه ، والجادم مارن أبه بكفه ، وفي الحق لقد خدعت امتنا بأوهام
من العرور ماحدة ، حيث ارادت سترجاع مجدها بقالبها ماشنتها فدفعتهم
الى احضان هذه المدارس التي لم تنأمن في الشرق ولا للاستيلاء عليه
بجميع مافيه من دنيا او دين ، فأصرتهم صرراً لا يتدارك ، وأضاعت
مجدها على وجه آخر ، هو ألفن وأصرع ، وأشد ، وأضع ، إذ تعرجوا
جنوداً عليها وعلى مقدسات مادنا ، وتلك عصابة مامى الاسلام والشرق
بمثلها قط :

. . .

وكما نشهد المتخرجين من تلك المعاهد المسمومة ، فتضيق ذرعاً
ويترنل بناسهم هم مفض ، والم مشهد ، فأرق على مفض السليم -
كليلة ذي الحائر الأرمم - :

ومن الطبيعي ان ينتج الفكر لنا راحة تصمن ما يصبو إليه من دفاع
في علم ، يرجع لنا اليقظة التي نتي عليها تاريخنا المجيد ، وفي مصارعة
هذا التيار أوحى اليها الواجب الديني ان تقوم بتأسيس المدرسة الجعفرية
على الشرط الذي كما نكرهه من بعيد ، فأمنضيت نيتي على ذلك

هنوكلا على الله هروجل . دايه بعد ، واپاه بستين ، ثم صمدت
بهذه المهمة الى مقر من أهل الاحلاص والحمية ، من اخواني في
صور ، وبرعت فيها الهم بكل رجاء فحفروا الى مبعثي ، وصدقوني
الحمي وراء المهمة ، وكان الفرنسيون يومئذ يطلبون وداء بواسطة
مثالهم في الحروب ، وكان مثبهم يعمل حل ذلك لينسبوا صيغتهم مع
وكنا إذ ذلك تلقاهم على حرف ، فرحسوبا في ان ، رؤس المعهد في
القطعة الرشادية التي كدوا كفوا أيديها عنها فأسرع دوراً بكل همة
وبكل نشاط الى عقد سنة محزون مطرفها الشمل صفاً واحداً جاءت
من أصحتم المخزون الحواري ضولا وعرضاً وعلوا ، أمامها ايوان بسانها
طولا وصمكا ،

وما كدنا نمرع من مائها كمي يماوها المعهد حتى تغيرت السياسة
الافرنسية معنا باستبدال مثنها في الحروب برجل تفتة الرشا ، فاستحوذ
عليه اولئك المعارضون . عمل أيديها عن القطعة وسعى الى المفوضية
الافرنسية صعبة التي حملة المعارضون عليها ، فوقابا الله شرها
- والحمد لله - ، وصبرنا على المحنة حتى ذهب الى حيث ألفت رجاءها
فراجعت بعده السلطة المستعمرة ورؤيتها ، الأمر مراراً فكانت النتيجة
- بعد الالتيا والى - في يرى بين هدم ماسبه من المازن وعبرها او
دفع خمسين ابرة عثمانية ذهباً ثم أرضه الداعة نسعانة وثمانية واربعين
متراً مربعاً فقط ، وأعلوا المازي بذلك ، فاضطرت الى دفع المسع
لخرينة الدولة في بيروت ، واتخذت به وصلاً رسمياً ، واستلمت سند
التملك لملك الأرض بما فيها ، وشددوا يومئذ نعبا عما زاد على
ذلك المقدار من القطعة ، فامتعا مضمرين انقاذها منهم بعون الله

تعالى ، ولو بعد حين ، وحيت تدرجت المحزون السنة وادورها وسائر
ماليها من ارض وهواء وماء وقمأ على الطنفة كما هو في المحصر رقم
٩٤٢ من عقارات صور ، ومينا اطاق العدوي جمعها في المدرسة
والنادي الجعفرين ، وهما قامت قيامة اولئك المعارضين . وهموا ما لم
ينالوا . :

وكانت محكات طرية في المحكمة العقارية في صور ، ثم في
محكمة يدية لجروب في صيد ، وكسب الله لنا النصر عليهم في
المحكنتين - والحق يمدد - وسجل العقار محكوماً بوقفينه في كل منهما
كما تسجل وقماً على الطنفة في محكمة صور الشرعية .

اما بقية القطعة فقد تيسر بمول الله تعالى لنا التقدير يوم ٢٤ تشرين
الاول سنة ١٩٣٥ هـ ، اذ جرت المساحة لمقارنة مساحتها لحق المساحة
بعدها وقماً على الطنفة الشيعة تحت توليني ككراه في محصرها رقم
٩٤٣ ، وهذا ما اقيم لمعارضين واقعدهم يجولون بحياهم ورحبهم ،
فاذا اتاههم على حد قول القائل :

اريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خديت من مرد

وكانت محكات استمرت اكثر من صئين ، وبعدها جاء الحق
ورهن الناطل ، والحمد لله الذي نصرنا على كل مانع ،
وكسر بين ايدي كل حاجة ، وروص الصعاب وذلل العقاب ، فوصلنا
الوابة وثبتت على هركة الله ارفة نصرة ، ولئن كنت الميت الطيب
في الرسع فان الله تعالى أثبت فوائنا الدرامة المصواعة آية في الخريف
فاذا هي تتأرجح بالارهاق الفاحاة العطرة في اول تشرين الاول من سنة
١٩٣٨ م وفتحنا رايها مهذا علمياً اسميا (المدرسة الجعفرية) رمزاً

للعلم والدين ووصام شرف خالك :

وترعت بومئذ المدرسة ، انشورية والتعظيم مجاًناً لكل من خضع اقاؤها
من فقير أو غني ، وساعدت انفقير المورمه المدرسية قرية الى الله تعالى
ومساعدته خير البلائير ، وهيمس عبيها مديبر قدبر معه ثلة من لساندة
المهرة يسلكون في تربية الناشئ أسهل الطرق الحديثة ، فاداء سلامة ،
وهم على الدوام يرسون على الثلاثمائة ، يرشعون مسول المعارف ولاحلاق
بأهالين من رائع الدين ولأدب شراراً طهوراً ، وهذا ماكتب من أمه
بمعد اتوجه .

. . .

ان من الزهراء بهذه المؤسسة العزيزة - المدرسة الخيرية - ان مشر
من جهادها الصامت صمحة لك كل معصا الذي أقامها على صت الدهر
في سبيلها لمصوصة ، ومصاها على فكهم لأيام وذكرها على تغفل
الناس من حولها بين جاحدين ومتغلبين وعمرين
ونحن انما نريد بهذا الزهراء ان نمسك الواقع من شؤون الحق ،
ونقرها من هذا الواقع في عقربا نحن أعلم بان ان الايمان وحده
- وهو سلاحها الوحيد - عدة المؤمنين ، فلا معول إلا عليه ، ولا نجاح
إلا به .

وكل صلاح نعد الايمان بالله تعالى صلاح مقبول ، وحجة عورمه
لايبلغان مأمناً ، ولايحصدان لوثة . ولينمخ المادون في أوقافهم نعدش
ماذهبوا ، فهم من معرى المدرسة الخيرية في سبيل يسقصها ، يذهبون
مع الى شروعاتها الشاسعة ، معاني من صغير الروح الدارجة ، وترسوهم
من معاني الخلود الناقية ، تمرنها الاغصير والعواصف ، ثم تتلاشى مرة

هذه اخرى ، وهي ، هي علاقة شرت استفاق لا بدل .

تجار أشواطها والحياة تمتلئة بأشكالها ، واعوص عقد التاريخ
لقتفى الى كمالها الرئع ، ولكأنه صدر وكل صدى من هذه
الصدايق جدد مجد لشد أزرها ، فو ان جهد المآل والصر ، وجهد
الزمان والمكان تطايرت على صبع يدها المصنوعة لمحات باحسب منها
ولاسم عاية ، لانها لم تدخر لاجلها جهدا من تلك الجهود ، ولما
اعتمدت على جهة الصديق والاحلاص لله وحده لتشي حريها المزدوق
من الصديق والاختلاص لله وحده .

فإذا أشأه على شرطها - وقد حدثت فيه مواد الإنشاء - وأنها
يؤمّن خفية متحتها عن كل جهة من هذه الجهود المادية التي يلاحظ
الإنس ، ويقبضون بها مبادئ الأفعال ومبادئها ومدى آثارها ، وكأن
المدرسة الجمهورية حين عارضها المفكرون - وهي في المبدأ - أرادت أن
تكون الدليل على صلات هذه المقاييس - وأن نشئ - متقاصاً أدل على
الفضل ودلى الأسع ، وهذا هو الأساس المنتزع من الإيمان بالله والاحلاص
لوجهه تعالى مع قوة النفس ومناحي العمل .

كذلك شاء الله ان يكون مكات وحة لا يضرها ، ولا يحرقها ، من
صحرها ، من الاجاديب والاساح ولا يعبدها .

بل كانت راحة فيها من كل حزن معي ، ومن كل عطر شذى
ومن كل قوة مطهر ، لم نكتفِ بسلامتها في محيطها الأولى ، حتى
خلعت عليه مطارف الحياة والصحة . . فخرجت في المذبح سدا لا دافعا
وهي الأجادب تماماً وارقا ، وهي الساح خصباً بقول لاهن . امتلأ
واعمي ، وثلمن نرودى واعمي . وللروح : سامي وتسمي . .

ولو لم تكن هكذا لم يكن شيئاً ، لأن معنى وجودها ان تكون كذلك .
و قد لم تكن كذلك ، تساوق إداً ، وجودها وعدمها ، واكليها - والحمد
لله - وزيت بين وجودها وبين مهمتها التي هي معنى كونها الصحيح
فكانت مسجومة ، متوائمة ، وكان أدؤها في دوراتها المختلفة يبرزون
في مرادس لامتدادات العامة ويسجلون لمدرستهم أهل نسب النجاح على
بحر مدت الأهم الطر ، ويثير فصول المتعنين ، فيسألونهم عن
مدرستهم هذه ، المدرسة المجلية الباقية .

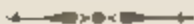
ولا حيل ذلك على عيب ، فمن شاء فيرجع الى المجلات الرسمية
في مطالعها ، من وراثة المعارف ليضع عينه ويده على حسن مشهود
لا يدهم ، يرى ويلبس انها كانت في كل خطها تطرد في النجاح
كل من تقدمهم للامتحان على نحو متقطع الطير .

عرست هذه المدرسة في نفوس طلابها لنادى الامة للمسلم والعربي
لدي يبي حياته الفردية الخاصة ، ويكون من ارادة الصحاء مجتمعاً
صالحاً ، قادراً في دولة لهم الحياة على أقوم قواعدها ، تربية ذوق
ونهدب سليمة ، وترهيف حسن ، وحلو بطر ، وسلامة عقيدة ، بطرق
فسيحة ، تنهون منها الى اختبار حسن ، ومكبر مستقيم ، وشعور حي
وعين بقطي ، وبيان ، الله ورسوله واليوم الآخر متبين .

طلاب المدرسة الجعفرية معدون لأن يكبروا بتوفيق الله تعالى
رحملاً على هذا الشرط ، وفيهم الآن من ذلك بذور ، نسأل الله تعالى
ان تنمو وتنتشر ، ويومئذ يتوسطون ان شاء الله تعالى في جيل
رأيه ، وله شخصيته ، واستقلاله بنظرة .

تلك هي الفكرة المختصرة التي أسست المدرسة الجعفرية ورفعت

صمكتها ، وجهرتها ، تأكل الوسائل الحديثة فنية وعمرانية ، وصحية
ليتأني لنا غرضنا كما زبده صحيحاً لأمنع فيه دعوى الله تعالى
هذه الصورة الدقيقة ، العميقة ، لم نترك لنا في الواقع مجالاً للتعلق
أو الشرح أو أي معنى آخر من معاني التحقيق المطاوعة في مثل
هذا المقام .



الفصل الرابع

ريشته . . . ولوحة

اذا كنا نحاول حقاً ان نتفهم مراحل نمو
ادبيات مدرسة الامام شرف الدين فلا بد لنا
من ان نتصدى الدراسة اعمق مضامين انداجه
الاساسي والذي لعب دوراً مهماً في قضية
«نشار آثاره وشيوخها» : وهو الفن :

كان الامام شرف الدين قدماً فيما كتب - بمقدار ما كان يفرغه
هذا الفن من الروعة في آثره وما كان يتحاوره الى الابدع الفكري
في الصياغة والتصوير ، ولهذا جاء انتاجه وقد توفرت فيه عناصر
العقيدة من جمال في المكرة ، وحلاوة في البديعة ، ومقدرة على ان
يأمن يهدين المصيرين في مستوى باوح فيه اشجاس وانساب .

وتستطيل لصالة الفنان ، وينشأ نرؤه ، متى أخرج في لماعة قوة
تعبيرية تشد اعواس المصدر الى تقاطيع الصورة شداً .

والمن في تجليه ليس مقصوراً على الصورة .

كلمة حية تلمس بدمى رثتها ، تستطع ان تنقل الى أعفك رعيشة
محضلة ، بالمدى ، قطعة موسيقية مندوقة من وتر حسان ، وبامة من
شفاف ، شفاف نصم لك راحة سعيدة على جناح منحور

رفرفة من حنجرة (ماسية) في امكانها ان تنب هذا الهيكل
المشحون بالشحم ولحم ، كى يصب طبل ورقة ملونه
ومبدأ محترف به . . في دنيا الكلمة .

الأثر الأدبية اذا حررت بمشطات فيه يعررها حسن دواق ، ينولد
في هذه الآثار عصر حديد ، يقاوم الصدا ، وتمت هي من قدضة
للفناء . يكسب لها الحدود .

اما الآثار المهرولة . . الحاتمة ، التي لم يشترك الفن في تحضيرها
فحبيلها قصير ، والشوق اليها صميف ، وحاتمة أمرها ان تستفر على
رف بالى الى ان ينتهى من قضحها الفار

وفي هذا السياق أيضاً . .

هناك بون شامع يفصل بين النظم والشعر :

القصيدية التي تعبرك في ساعات أو أيام أو شهور ، ثم تنهادى في سمعت أشلاء وحشرحة وكلمات بلا رنين ، عبر القصيدة التي تنبع من قلب ، واحساس ، وشعور

الذخيرة ، المعشوة ، الصاعدة ، الأدبة ، يضحها القاد في نهاية السطح أما القصيدة المتحركة المعجمة ، الإلهام التي محمها ، لدروة .

ورب قصيدة تهتز على لسان شاعر ملهم : . قلب : . تعوق في اداعها وإيقاعها أية قطعة موسيقية لموسيقار موهوب

فقد ظهرت خلال النصف الثاني من هذا القرن موسوعات تاريخية وأدبية متعددة في مختلف ساحات الحياة ، بعضها كان رضى العصب فلهرحها ، انار الى حيث قامت يومتها الادبية ، وبعضها كان كحجر العيروز كما ان اداد لمسك له مرور الياام ، ازداد صفائوه ووراق زرقته .

الامام شرف الدين ، وهب المكتبة العربية فيروزاً . . قصيدة معجمة بالالهام التي ، عداها دسماً للفكر الاسلامي المتجدد . . سلاحاً قاطعاً يهرق بمرق قراطة السلاطين . . وممد زخوف العلام

كان الرجل اذا كتب ، لا ينهى من مهمته بمجرد ان حصه من الكلمات تؤدي معنى معباً قصده فحصب ، بل يرن ما يكتب بهران حبه الدقيق الدواق من طريق الاستعادة والصقل ، يرفع هذه الكلمة ، ويضع بدلها كلمة اخرى فيها ايقاع . .

يقدم . ويؤخر . يلمع . ويشذب . الى ان تنهادي المقالة الى حبه وأدنه هروماً في ليلة زفاف . .

إسمع مايقوله السيد الاستاد صدر الدين شرف الدين في هذا

الباب (١) .

(. .) كنت أدخل على مؤلفه الخالد في ساهات المحاص ، فأحده
متدجماً بالموضوع ، يحوي المكرة تأملاً ، ويفرغها همومة ، وهذا استقام
له القالب ، فهو في فيه اللواق ، بالمحتوى ، أملاء على كتابه
تختليطاً يعود اليه غير مرة قبل وضعه بصفة نهائية ، ولا يفرغ منه
إلا اذا تناغم في سمعه ، داءاً وابقاً ، وتماسك في يده لهماً وتذكراً
والصجم في هيئة خطأ ولولاً .

كانت الكلمة عند أبي حاسة سادسة لإبرصيه منها إلا ان نجدهم الى
شروط الصحة مقاييس الجمان وفضيلة الوضوح .

واني لأراه محاطاً بكثرة من المراجع بعضها مفتوح المصاريح ، وبعضها
قد كماه على وجهه ، وهو يقرأ في أحدها ملصقاً بوجهه ، وقد صين
يسرى عيبه ، وأعمض اليمنى ، ثم ملقياً كتابه وماشياً كريسته ،
باصابعه يستعين على التأمل ، ساحب النظر في أحواء عبي ، وهوالم خفية
فلو كلمته خلال استلهاه لما سمعك ، اولاً وهي عك ما تريد . (.)

ان هذ الصورة المعرة ، الدقيقة ، ذات المحتوى الساحر والتي رسمها
الاستاذ السيد صدر الدين بقامه ناقلنا اليها بدلالة سيكولوجيه تلك
الظاهرة التي تنغمص روح أبي المقدس ساعة تصدبه لقضية من قضايا
الفكر ، يحسمها بدوقه وعلمه وقلمه حسماً رتيباً شاملاً ، لا تترك مجالاً
لثبات في حضور التوايح الى مؤثرات نفسية تتبع طمعتها عنفاً ويسراً
بحدود ما تنظمه تقامه ذات الفاتحة من إشعاع ، ثم يعمك هذ الاشعاع

(١) راجع مقدمة كتاب النص والاجتهاد الطبعة الثانية ص ٤٩

الصادرة عن دار النهج :

على الحواس العامة احتلاجات أوردنا لك طرفاً منها

قرأت مرة . . . (بيكاسو) وهو من أبرز رواد المدرسة الحديثة في الفن التشكيلي ، حين تخصص في دهنه أعاد لوحة معينة ، أصبح آنذاك غير (بابلوبيكاسو) الذي تعرفه صالونات الفن وأثرائه بحكم عليه أبواب صومته ويمتنع عن مقابلة أقرب الناس إليه ، ثم يشرع بعد ذلك في القيام بحركات بعيدة الصدور عن مخاوف سوى ناهيك ان يكون هذا المحرق مائلاً عظيمًا .

بروح ويحيى . . . يقوم ويقعد . يتعدد . يهرول . ريشته في يده تترجم الالهام على اللوحة سطوطاً وألواناً .

وعقب كل ذلك ، نأخذ اللوحة طريقها الى الخارج : . خارج الصرمة ، لتدور ألوانها وحطوطها عشاق السر بالرم .

. . .

لما ناول في هذا الفصل ان نطل من روية فنية بالطبع ، إطلاقة هادئة على آثار الامام شرف الدين لتقف عن قرب من مدلول هذا الاستدعاء ، ودوقاً نمره في على إصالة الازرع الالهة من في انقاجه . ولكي تأتي احكامها متسقة ، ومنية على نقدبرات مركرة ومسندة ايضاً نعرض الآن مؤلفاته المشورة ، ومن بعضها سوف نستقى فمادح مما نريد الاستدلال به أو عليه .

١ - الفصول المهمة في تأليف لأمة . كتاب يبحث مسائل الخلاص بين السنة والشيعية على ضوء الكلام والمقل والاستنتاج والتحليل ، تم تأليفه سنة ١٣٢٧ هـ ، وطبع مرتين . صيداء ، وفي الطبعة الثانية زيادات مهمة ، يقع في ١٩٢ صفحة قطع النصف .

٧ - المراجعات : طبع في مطبعة العرفان سنة ١٣٥٥ هـ
واقدمت نسخة من ترجمته الى اللغة الفارسية ، وترجم الى اللغة الانكليزية
ترجمه الدكتور السيد زيد الهندي ، كما ترجم الى اللغة الاوردية ،
ظهرت طبعته السابعة في الاسواق قريباً ، ومنقح عند هذا السمر ورقة
طويلة :

٣ - أجوبة مسائل موسى جبار الله . كتاب يعوى أجوبة من
عشرين مسألة سأل بها موسى جبار الله علماء الشيعة وهو بظن ان فيها
شيئاً من الاحراج ، كتكفير الشيعة لبعض الصحابة ولعدهم ، وكسرة
القول بتحريف القرآن للشيعة ، ونسبة تعزير الجهاد اليهم ايضاً ،
وتسائل البداء والمنعة والبراءة والعول وما الى ذلك ، فكانت أجوبة
من أسدء ابكون ، تدفع من العلم والوفور ، ونقوم على الرهان والمنطق
يقع في ١٥٢ صفحة من القطع الصغير ، طبع في مطبعة المرهان بصيدا
سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م :

٤ - الكلمة الغراء في تفضيل الرهراء . تقع في ٤٠ صفحة من قطع
النصف ، طبع مع الفصول المهمة في النسخة الثانية .

٥ - المجالس الماخرة في مانم العترة الطاهرة . طبع منها مقدمة ونقع في
الذين وسبعين صفحة بقطع النصف ، بشرح وبها ملحقه انتم الحسينية
واسرار شهادة الطيف شرحاً رائماً سليماً .

٦ - ابو هريرة . طبع سنة ١٣٦٥ هـ ، مطبعة العرفان في صيدا وهو
بحث حياة ابي هريرة وعصره وظروفه وعلاقاته وعناية الصحاح الست
بروايته ، على ضوء العلم والعقل .

٧ - فلسفة الميثاق الولاية . وهي رسالة فذة في موضوعها ، طبع

في صيدا سنة ١٣٦٠ هـ :

٨ - ثبت الاثبات في سلسلة الرواة . طبع في صيدا مرتين ، ذكر فيه شيوخه من اعلام أهل المذاهب الاسلامية .

٩ - مسائل فقهية في بعض الفروع ، تكلم فيها على المذاهب الخمسة ، طبع في مطبعة العرفان ، صيدا سنة ١٣٧٠ هـ .

١٠ - رسالة كلامية ، حول الرؤية ، طبع في صيدا سنة ١٣٧١ هـ و طبع معها رسالة للثبوت والولاية وطبعة ثانية ، نشر هذه الرسالة آراء الشعة الامامية في مسألة الرؤية (رؤية الله وعدم رؤيته) .

١١ - الى المجمع العلمي العربي بدمشق - رسالة تناول فيها الاستاذ كرد علي وناقشه الحساب فيما نسب الى الامامية متجنباً عليهم طبع بصيدا سنة ١٣٦٩ هـ :

١٢ - النص والاجتهاد - دراسة ضافية لاجمال واحكام وفتاوى صدرت من بعض كبار الصحابة على عهد رسول الله (ص) وبعده وهي لاأئلف مع شبثي من الماني الاساسية الاسلام ، والكتاب آخر ما صدر بقلمه الشريف طبع لأول مرة من قبل المجمع الثقافي التابع لكلية منتدى النشر عام (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) في النجف الاشرف ثم اعيد طبعه من قبل دار النهج في لبنان سنة (١٩٦٠ م) ، ١٣٨٠ هـ) وهي طعة مزبدة ومنقحة .

(وفي سنة ١٩٦٤ م ١٣٨٣ هـ) اعيد طبعه للمرة الثالثة في مطابع النعمان في النجف الاشرف .

• • •

نكت هي آثار الامام شرف الدين المنشورة ، فاين هي القمصات

الفنية فيها ؟ .

للوصول الى جواب شاف دعونا اجاور بعض النقاط المهمة .
ان تصدينا لدراسة أدبيات الامام شرف الدين من خلال تجربته
الفنية ، كومت لدينا انطباعات عامة ، منها مايتعلق بالفن من حيث
هو وجود مستقل ، له تناقضاته الخاصة ، ومنها مايتعلق بالكتابة الفنية
على اساس انها نوع من المعالجة الانسانية المرتبطة كبقية الانفعالات
بشروط حضارية وزمانية معينة ومحدودة .
ان نميّن هذه الانطباعات ونركيزها في نقاط نبدو ذات أهمية
بالمرة . هنا . وهي .

١ - يرى بعض رواد الأدب الحديث بتأثير اوضاع اجتماعية
وسياسية ، ان بتدغم الانتاج الأدبي ، وان يحاول دائماً ان يطنى حل
نقص الكلمة بان يعمل على تحريمها من دلالتها القاموسية ، وبصعدها
الى مستوى مرناك أشبه بالموسيقى . من أجل ان يكون الأديب قريباً
من ذلك النزوع الخفي الذي لايمكن التعبير عنه .

اما الامام شرف الدين ، ، فقد استطاع بروعة تصديره
لمشاكل التاريخ الاسلامي ، ان يحافظ على (عمودية) منه من غير ان
يلجأ الى الفجرش قاموسية الكلمة لتسهيل مهمة تسامها الى اذن القارى
وحده .

٢ - قرأ الامام شرف الدين كثيراً من كتب الأدب ، قديمه وحديثه
ولابدانه أعجبه اسلوبنا من الاساليب . ان معاناة هذه الادوار تترك
أثراً في انتاج الكتاب والادباء ، ولها مساس كلى بتشكيل المايخ الثقافى
الذى يارون بدوره ميولهم وأمكارهم ، وعوظفهم ، واعمالهم الفنية قبل

كل شئى ،

الامام شرف الدين بالرعم من كل ذلك ظل مخصصاً لاصالته
الخاصة ، يعطى من نفسه قدر ما يستطيع لعمله ، ولانه احد الكتاب
المتميزين بقرديتهم واصلاتهم واسلوبهم :

كان كل كتاب جديد له • يقدم شيئاً جديداً •

٣ - ان كثافة التاريخ والحرص في نصوصه مسألة علمية بحثه ،
وللكثافة العلمية اسلوب متميز ، تخضع مداركه لكثير من معانى التأني
والاحتياط والالتزام .

والعمل انقى الجيد يقف بطبيعته فوق كل شئى ، سواء كان ذلك
تاريخاً أم غير تاريخ . يقف فوق البساطة والتعقيد ، ويقف ايضاً فوق
التماثل والتشؤم فهو دائماً ليس لإحلامه حق ، ورؤية لما :

في العمل الفن تصح الامكار والحياة نفسها لقوة هذه الرؤية
وإصالة هذا الحلم ، فيبقى نظام العمل العمي الخاص ، ويتكون شكله
ووحده ، ويفتح مصمونه حل اتق واسع مديد .

في آثار الامام شرف الدين نقرأ أبو خوص مروجة رائعة بين العلم
والفن ، تاريخاً في قولب أبيه ، علماً مطلياً بكمات شاعرية . أعمالاً
فنية جيدة .

هذه الموهبة تلقاها في كل كتب اسمه قامة في غير منافات او
تباين .

ومن هنا . وهذه فكرة طرئة وان نقيم مؤلفاته بأن نقول مثلاً
ان كتاب الفصول المهمة ، هو أهم مؤلفاته بطل حكماً فرداً وذاتياً
لان كتباً أخرى له ايضاً سوف تستمر مصدر مناقشات اسؤلات عديدة

قادمة ، ومنصح موضوعاً يخص كل كلاسيكيات الفكر الامامي .
بعد ذلك .

سأخذ كتاب المراجعات وهو من الاسفار المهمة في انطلاقتنا
المكرية المعاصرة كوسيلة الى التعرف على الفاحية الجمالية من تراث
الامام .

هذا الكتاب الثمين يكشف نفسه ، على امام امير القراء ، وهذا
في اعتقادي . حسب المستويات العديدة التي يلمسها .

ان الاطار الذي يتحده هذا السمر هو تنوير عن احوال الامامية في
موضوع الامامة ، فريب مبحثها من الادهان ، وهو بصورة عامة ،
يشتمل بقمه التشكيدية التي يادرأ مايجدها في كتاب آخر ، هذه القوة
كما يعبر ، ابقاع هادي ، متوعد ومترو ، فلا نجد وانت تسرح طرفك
في رياضته ، مايعكر عليك صفو الراحة .

اسمه يعاصب الشيخ الشري في مراجعة من مراجعته (١)

(لن تلقيت مراجعتي ، أملك ، وأقلت عاها ، وانت عن جمام
من نفسك ، فطالما عقدت آملي دلعز ودلت معاني بالجمع ، وان
من كان طاهر البية ، طيب الدعوة ، متواضع النفس ، عاظم الخلق ، وزن
الحصاة ، متوجاً بالعلم ، محتسباً بنجاد الحلم ، خفيق ، بأن يتمثل الحق في
كلمه وقلمه ، ويبتغى الانصاف والصدق في يده ووجهه ، وما أولاني
بشكرك وامتنال أمرك ، إذ قلت زدني ، وهل فوق هذا من لطف
وعطف وتواضع ، عليك لييك ، لاعمين والله عيتك ، فأقول) .

هذه صورة جميلة في أدب النقاش ، تتحدث عن روحين أحدهما

(١) راجع المراجعة رقم ١٠ من كتاب المراجعات للامام شرف الدين

بهز نعلك ، والآخري ففذي فكرك ، ومرد وذلك ان الرسام وهو يدع
أثره ، يرسم الخطوط بفكره الخادق ، ثم يعمد الى قلبه الملهم فيمصره
ويحسن مرقمه في عصارته ، لينبع على تلك الخطوط لون الحياة .
وهي مكان آخر . في مراجعة اخرى يناقش صاحبه في حديث
المثلة ، وهو كما تعلم ، هذه البصير غير حجة وان كان عاماً لكونه
مخصوصاً ، والعام المخصوص حسب ادعائهم غير حجة فيهماق .
نأمل فيه في عرض حجته .

(نحن نوكل الحروب من قولهم بعدم عموم الحديث الى اللسان
والعرف العربيين . وانت حجة العرب ، لاندفع ولا يارح ، فهل ترى
أنتك أهل الصاد يرتاون في عموم المثلة من هذا الحديث ، كلا وحاشا
مثلك أن يرتاب في عموم الاسم الحسن المصاف وشموله لجميع مصاديقه
مدققت . منحتكم اصالي مثلاً ، أيتكون انصافك هذا خاصاً ببعض
الأمور دون بعض أم عاماً شاملاً لجميع مصاديقه ؟ معاذك ان تراه
غير عام او يتبادر منه إلا الاستعراق ، واو قال خليفة المسلمين لاحد
اوليائه . جعلت لك ولايتي على الناس ، او مترافق منهم ، او مصفى
فيهم ، او ملكي ، فهل يتبادر الى الذهن غير العموم ، وهل يكون مدعى
التخصيص يحسن الشؤرون دون بعض إلاحاحاً بجارماً واو قال لاحد
ورثائه لك في أيامي منزلة عمر في أيام أبي بكر إلا انك لست بصحابي
أكان هذا ينظر للعرف خاصاً ببعض المداول ام عاماً ، ماأراك واقه
تراه إلا عاماً ، ولا يرتاب في انك قائل لعموم المثلة في قوله صلى الله
عليه وآله وسلم (انت مني امرأه هارون من موسى) قياساً على نظائره
في العرف واللغة ، ولا سيما بعد استثناء النبوة ، فإنه يجعله نصاً في

المعوم ، والعرب بابك فسلها من ذلك) :
ويحسن بي هنا ان اعترف :

اني لا استطيع ان ارسم في هذا الفصل صورة دقيقة وحقيقية لكتاب
المراجعات ، حاولت ذلك فوجدت نفسي بعيداً عن الهدف ، فابتد برده
من شاء ليعرف مدى صدق فكرتي :

. . .

وبخلاصة الأمر ان الالهام لا يتعلم في نفس إلا اذا جمعت هذه
النفس المهمة شروطاً معينة ، اولها القابلية والاستعداد ، وثانيها النقل
والثقافة ، وثالثها يستقيم في كفاءة الصان بايجاد الصلة بين قائلته
وثقافته والمروية في استخدام هذه الصلة في توين كتابه .
فالمدان بقله الملهم وعقله المستلهم . بحياله وفكره . يهبط الحياة
أشياء تلبية ، لوحة رائعة . قصيدة رائعة . نمثلاً جميلاً . سيمفونية
ساحرة . كتاباً محبوباً .

. . .

وثمة حقيقة يجب ان لا انساها :

ليس في تراث الامام شرف الدين دراسة مبتكرة ، اخترعها نفسه
ولكن من جهة ثانية ، ليس الابتكار في الفن هو ان نطرق موضوعاً
لم يسبقك اليه سابق ، بل الابتكار هو ان نتناول الموضوع الذي كاد
يل بين اصابع السابقين ، واداً هو يضي في يدك روح من عندك
تخذ القضية على مستوى عالمي . ان الكثير في موضوعات شكسبير
نقل عن (بوكاشيو) ورومنس (مولير) عن (سكارون) وجورج
مي فاوست عن (مالو) ومآسي (راسين) عن مآسي (ابروييد) ،

واروييد وسرهو كل وأشل عن (هوميروس) ، وشعراء الشعب
المختلفين ، الأصابع

المن إدأ هو الثوب الذى يلبسه الفن للهكل القديم . انه الكسوة
المحددة (لكمة) لا تغير . وكذلك طاء حسن في المتنفة الكبرى والمعقاد
فى عتريانه ، وعدد المناع عهد المقصود فى الامام عل بن ابى طالب .
وعرهم هؤلاء ، علوا قضايا بحثت مئات المرات ، ووردت فى اكثر
من مرسوعة ، وفى مرجع . ومع ذلك تحملنا أطرها الجديد اى آفاق
جديدة أيضاً ، استطاع كل واحد منهم ان يستعمل ريشة بمهارة
مبدوعة ، جرد من نه اعدده وله سحره وتأثيره .

وهذا ، صبط هو الحجاب الخساس فى آثار الامام شرف الدين
ان المواضع الاسلامية التى تنأت من اسفاره ، عالجها قلبه بجمهرة
من اعلام الامامية ، فابيد المرتضى والشح احميد وابو جعفر الفارسي
وعرهم . كادوا يرسون هذه الساحة ، عبر اب الهرق بن الفريقس
القديم والحديد (١) يكمن فى أطراف الحماني الذى يعمر انتاج الامام
شرف الدين ، وفي هذه الملمرة المحمودة . الساحرة ، التى تجدها
شائعة فى اساقبه .

وهذا لايعنى بالطبع افعال الحروب الاخرى المهمة فى ملكوته
الدينية ، من حيث الدقة والاحاطة الوسعة وعميقة فصاها السورج لاسلامى
بمحافظ اهتمامه وحذره العريضة بكل الاختلاصات التى دشت مع
داربختاً ، تملأ سبله بالعراقل ، وتسد فى وجهه الابواب .

(١) القديم الذى نلته مدرسه لاعلام دين اورديا ذكرهم ، والحديد

الذى يحمل رايته الامام شرف الدين .

أقول :

هذا اللون من المعالجة العامة المطبوعة بطابع من سهات لشرع
الامام شرف الدين أن يقرأ العديد من الناس من مختلف المستويات
الثقافية ، وإن يكون الدليل الموجه للمكر الامامي .

إن الكتب العقيدية التي تحوز في بحوث تناول المصادر الكبرى
لمبداء الاسلام ، تلقاها في المكتبات الخاصة . وعند المشاهير
والرواد ذوي الاهتمام بهذا توجه من الثقافة ، وعند الذين تساهمهم
قضاياهم الفكرية إلى دراسة البحث والتنقيب .

أما اليوم ، فانت تجد في الدلب ، كنأ للامام شرف الدين
مخطوطه شيء من المدينية في معظم بيوتها . في الشرح والدرب ،
لدي المنة بين الاكاديميين . اولدى المصاف لمعنيين

كل من يمتلك قدرة القراءة ، يستطيع ان يفهم ماذا يريد السيد
الامام ان يتجاوب معه . أن يعود اكثر تمسكاً بعقيدته من قبل .

أمة مهلة ، وإن كانت تدور عليها علاقة من الاعتقاد بمجد
اللغة ، ولفس هادي وطبيعي لا يمل . ونش موصوعى بعيد من
المهارة والدس ، وأخيراً طاقة من فن رائع ترين أنعاد الحديث ،
وتبعث الحرارة في شرايبه

رحم الله لامام شرف الدين ، وعشت آثاره حية دامة في صدور
المسلمين ، وألقاها منار هدى ورمز مخلود

الفصل الخامس

كلمات ذات رنين

إن الكلمات التي أحترتها لهذا الفصل قلها كما بينت أفلذاً تباينت
بهم السبل وجمعهم الفكر على مستوى الريادة ، وهي في الواقع وجهات
نظر مختلفة ، تباطئ بمجدها وضوءاً قوياً ، ينفع في تبسيط الملامح
ويكشف عن دقائق الأمور .

وظاهرة أخرى في حياة الامام شرف الدين ، ربما تكون أكثر شمولاً من غيرها ، وأشد المصاداً بالطلاقات الفكرية التي أرست قواعد شخصيته كمفكر حر وواعي ، وهذه الظاهرة هي إحرازه لمحة معظم الناس الطيبين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومبطلهم ، واتجاهاتهم ، واجتماع الكلمة على كونه رائد منهجي مستقيم ، تشراب اليه الاحاسان في الملل والمذاهب والمواقف الخاصة ،

وعلى ضوء تصميم هادف جاء هذا الفصل كأحر حقة في هذه الدراسة ، لينسى للمعيين بها أن يقوموا على آراء المفكرين في الموضوع فبإطلاقة مركزة على مسيرة حياته من خلال آثاره ومؤثره ، ولا نكر اني أعطيت هذه الآراء جل اهتمامي ، لالانها صدرت عن قلم شامخ في دنيا الفكر ، أو استهوى السبيل العباري ، بل لان في بعض ثباتها نقطة حارة تحت البقطة في وجود القارئ كالفن ترنم اسانيته الصادقة فوق الاعتبارات الربوية التي تحاول ان تجعل من هذا (الوجود) بالذات وحشاً مفترماً ، يتعامل بالمحسب والذات .

ورشيء من التأمل الموضوعي يستطيع القارئ أن يضع يده على العوامل التي ساعدت في ايجاد هذا الموقف ، واعي به مشاعر المفكرين بالذات للامام المرحوم له ، والتي لا تتعدى على ما طعن الموارد الثابتة .
١ - كراهية الامام لثمنه بشي الرواية واهوائه ، واستهجان الصارم لكل التبريرات التي تدفع من طبيعة الثمنه المطبوعة على الكره والحقد والدم .

ولهذا شعر بالحسرة في فقه المسيحي قبل المسلم ، والسني قبل الشيعي ، والعيد قبل القريب وسبق ان قلت في فصل سابق ان موقفه

من الفكر الامامي ، ودعاؤه الطويل من قيمه ومواريه ، ربما يفسره البعض على أنه تعصب لرأي معين ، بينما الحقيقة ان الرجل وجد زبناً شتيعاً بمسلك طريق الماديين ، ولا يترك لهم مجال المضي في مسلكهم متكاتبين متحابين .

أراد رفعه ودحره وشجبه . فهو عنصر نقية وجمع وآف ، وليس عامل فرقة وتناحر وقطيعة .

٢ - السامية صافية شدته الى قلوب الناس وعقولهم شداً متراطاً ، ورسخت عنه قانداً ، ذو نظرة مرمية طيبة ، لم تصطدم شيئاً من التطورات الاجتماعية ، ولا صاقت شيئاً من المشكلات الى واجهته في حركة الحيرة الدئية .

٣ - معرفة واقعية بجوهر الاسلام الذي هو بعبقري كونه ملقى جملة من المفومات والمفاهيم ، يشكل ازوج نظام اجتماعي حضاري لعالم واحد ، تنمشن روعته في استمداده الرحب لمسيرة الزمن في كل مكان .

اما الاسلام كما هو معروف بنظام تقدم في تركبه صفات مودة وداعية ، واكثر هذه الصفات وأكثرها إشعاعاً هي حرية الفكر وكبت حرية الفكر عند السيد الامام ، مسألة أساس ، تقدم من كثير من المسائل الأخرى في حياته . ومن هنا كان احترامه لفكر ورجاله ، ولعالم ومرسته ، ولأصحاب الرأي الحر الموثب ، وعلى النحو الذي لا تعرف دونه حر احز الدين كما قالوا او العنصر او المعتقد

وموقفه مع الاستبداد بولس سلامة صاحب ملحمة العذيب ، معروف ومشهور ، كما كان ، رضوان الله عليه لا يترك مناسبة يحتفل فيها

المسيحيون باعبارهم ومواسمهم او الطوائف الاخرى على حد سواء ،
إلا ويشارك بنفسه في تقديم التبريكات ، وميئصال بها من منطقت
اجتماعه وغيرها

هذه الامور فسجت من ليد الانام ثرائاً اسانياً شاملاً على حد
نفسر الاستاذ كمال جيلاط لا يقتصر بشيعة ، ومعتقد معه ،
وحد حد .

ان الكائنات التي احترنوا بهد المسيل قالها ، كما يت اوسر ، تدرت
هم بل ، وجمعهم الفكر على مستوى البردة ، وهي في الواقع
وجهات نظر مدحسة . تسط بمحذوها صورة قوياً يقع في قمر
الملاح ، ويكشف عن دقائق الأمور .

ومدر حرص من ن أي دراسي هذه ، حربية اهل ، لا اسكر
مراحها لون قديم من اللون البحث الكلاسيكي ، القائم على نقل
نراحم بصورة حرة ، وحدث من جهة ثمة ، ان الانصاف باصوبى
الى انهاء كوشاى تعطى الدليل عن ان السخي بين البشر يسمى
لا تفرط به برعات عصرية او دينية او عسدية على حد سواء .
فالدين لله والوطن للجميع .

أصب الى ذلك ان من الهم اعداد هذا اللون من الصبح العالي
وانرصنة ، كوجه طبيعي لطرفة الفكر الامامي الى العلاقات الاجتماعية
اي نشد أوامرنا رعة نساوية ، قبل ان ترتبط شيى اسمه لون او
مذهب أو جنس .

ان مضمون الاسلام - ولسن الوسط في هذا المسمى - يحقت
الدروشة والاعطاء والتهيب ، وربما جالت اليه امراراً لاحد لها ،

أسقطها عند طرح المسألة بشكل موضوعي ، انكماش الوجود الاسلامي
عن التطور والتعامل وكسب مواقع جديدة ،
ان صيماً عديدة طويت في حياة الفكر لادامي مدى ، نحرناها في
شبه غيبوبة من الحياة . . . تطرفنا في الانكماش ونطرقنا أيضاً في
فهم موضوع النقبة بشكله للعكوس :
وعلى كل لا اريد هنا ان اقبل .

انظروا ماذا صحت جماعة للتفريب بين المذاهب الاسلامية في
القاهرة ؟ او عبارة اقرب الى منطق الواقع ، ماذا صبح صاحبكم وهو
لؤلؤ الجماعة (٦) هناك
حلمت جزيلة ومشكورة *

ارسل الاستاذ العلامة الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة في
الجامعة الأزهرية في حبه ، رسالة الى الاستاذ السيد صدر الدين شرف
الدين يقول فيها .

(. واشرك . ن كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية قد خطت الخطوة
الكبرى في جميع الكلمة بين أهل العلم والدبر من منحرف المذاهب
الاسلامية لافرق بين صبه وإماميه وردييه ، فأصبح الفقه يدرس مقارناً
على متناج واسع لا يعرف القمص ، ولا يطر مع السني الى الشيعي
تلك النظرة الضارة التي كانت مات والحمد لله .

وقد حدث هذا بعد ان توليت منصب عمادة كلية الشريعة باحتبار
فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ اجمع الأئمة ،
وافرار الرئيس المظفر عبد الحضر ، ولا شك انكم تعلمون ان شع

الأهر هو من اكبر الاعضاء المؤسسين لفكرة التفريق ، وانها فكرة
حاولت نفيه كما حاولت موسى نلاميده ، وأمام مدرسته منذ سنوات
طويلة ، وانه كان ينبغي ان نتاح له الفرصة ليمررها اراءاً علمياً يرفع
الناس ، ويمكث في الارض) :
ومنها أيضاً :

(ويسرني ان احرككم في هذا الصدد ، بحسب ما هو ان منهاج
(تاريخ الفقه الاسلامي) في كلية الشريعة وفي الدراسات العليا
للحصول على شهادة العالمية ضمن درجة ستاد (اي دكتور) قد تضمن
دراسة حياة المغفور له السيد الشيخ الاكبر عبد الحسين شرف الدين
الموسوي عليه رضوان الله كعالم من علماء الشيعة الامامية ، ومتكون
هذه الدراسة شاملة بكل ما ألف وكتب ، وقد صار هذا المجهود رسماً
وفيه اعتراف كبير من الأهر الذي هو اكبر جامعة سنية برجل
العلم والمجاهدين من أبناء الاسلام ، اياً كانت مذهبهم) (١)
هذه كما نرى احدى دوائر التقارب والتآلف واحسن الداء ، الهدف
البعيد عن الصخب والجمجمة والدعاوة .

وليت هذه المبادرة صممت باطار أوسع ، وعلى صعيد أكثر حسية
من الصعيد الذي حدثنا عنه الدكتور المدني ، بلخات المبرجة عنه بما
يفتح لمستقبل هذا الدين القويم .

اننا نعطي - مع الاسف - في كل يوم وصفات مميته على شكل
جرعات تشبيرة مفرقة .

متع بمجموعة القمح . . وأعلام يحدث قصورها مرضى الجنس ' :
وبرامح للمعريونية نقل الى بيت ، وأعك راغم ، زاوية من كدابة
تمنهن عملا شاما . وعلاقات اجتماعية تدل يونتا من الداب . لتغرب
المثل والاخلاق والسعادة من الشباك :

كل ذلك ونحن نعلم في التفوق ، وسعاد من ان نقل المعركة
في ارض حصة بدر دها نهالم الاسلام ، دوحه ، لحى من وراء
ذلك أبصاراً نرفع بهم كلمة لا اله الا الله ، وتستقر في أعينهم حاصر
اليقين نحن بدأ عقد يون من انظرار الاول ، اذبل .

رجل انار برحون الى النجف الاشرف من أصداع ثانية
ميدة . وراء قصد دل وبدأ في عاصمة العلم والدين كهاج هؤلاء
مع لغة ، مع النية الجديدة . مع أصاليب الدرامة . مع الحيرة ، معها
مع لاقمة وشغل العيش ان ان نحتصر في اذهنهم العلوم الدينية
من أجل ان نستقيم لديهم كلمة العالم الذي يمد ، ويحلم ،
ويحمل النور الى الناس :

هؤلاء . طوائف مهمة ، لو أحسن صفاتها ، وتبعتها ، اكان في
المستطاع ، اعتداداً على احلاصها ، وصدق جهادها . خالق جهر كهو
يبشر للمكر الاسلامي في كدة أرحاء الدنيا في افريقيا ، وامريكا
واوربا .

نعم في اوربا وامريكا .

ان حضارة العرب الآتية أدت الى تشكيل المجتمع تشكيلاً ميكانيكياً
تذوب فيه اساية الانسان ، والندم لاساني الصحيح كما يريد الاسلام
يقاس بما يحلره الانسان فرداً ومجتمعاً من حرية وتعاون ورواه .

أما الارتقاء المادى المسحر لبرعات البشر ، فليس إلا تكثيراً للتفرد
وإحكاماً للأغلال وشجعاً للمعصاة والعداوة .
وما عليكم بعد ذلك بحياة الصحب التي نعيمها المدينية الفاتنة .
ونحن دأرها المهمل فاق وتردى ، وانهيار لا يحصى عنه .

• • •

وحقيقة مذكورها التاريخ كان الامام شرف الدين بتابع فعاليات
جماعة التقريب متانة متواصلة ، ودقيقة ، ولا نحبوا ان تلك العائلات
كانت تجري على رص سهلة ، وفي منح طبعى وهادى .
انزلت في حبه اقلام مشروعة تعثر (القلمات) التي كان يضعها
المخاضون وفق المحطط المرسوم ويشيرون في وجوههم رواع وتيارات
لاصلة لها ايدياً بمقاصدهم وأهدافهم .

وقد فصيح السيد الامام ، تلك الاحاديث في صيغته المدوية في
المسلمين (١) .

اقرأها بتعمل :

(يتادى الحاسة في هذه الأيام ، الى وحدة جامعة ، على ايدى تلم
الشعث ، وترأب الصدع ، موقن ، وهى الساعة المهيبة بهم الى هذه
الدعوة الصالحة التي نأمل ان تعيد لنا عالمنا المشهود ، ودنيانا العسلى .

وانما لعمد هذه الخطوات السديدة الى المؤتمرات الكريهة ، في
المراق ، ومصر ، وسوريا ولبنان ، وعبرها من معقل الأمل ، تلك
التي يصحق اليها رجال مما برصاة الاسلام والعروة ، رامين الى البعث
والاحياء الذين كما من حملة أقداسهما في صمات الدهر ، ومن قد

على نورهم ، شيب الرمن الوليد ، أقول ذلك متفانلاً مسروراً ، ولا شك
بكم ترقبون أحبار هؤلاء الساسة المجاهدين بفناؤهم وسرور ، متمدين
أن يدمرهم يوم الزحف حتى العدة التي يرمون إليها من اجتماع الكلمة ،
وقرءوا العرائش

وكن أمراً واحداً ، يضطرنني إلى شيء من التشاؤم ، ذلك أن اعلام
الملك من أركانكم قد يعتزلون الميدان في هذا الفجر البسام ، وقد
احتشد من وراء المعارضة لمن نجح معارضتهم ، على أن العناء في
سبب الإصلاح ، من مهور المجد ، وصدقات العقائد التي تبيح بها
صمائر القادة من المصلحين :

وهو اعجب عجب أن يميل نفذة الفكر ورجال الإصلاح ، حب
المرحمة من هذا الميدان الميمون وهم فرسانه في مختلف مراحل التاريخ
لا يسمعون لأحق ، ولا يطمع في ادراكهم طامع :

والجواب : ذلك أن رندوس في صمودهم وعاقبة ، يحمون رسالتهم
بأشدهم ، هم ، هم سكرت لا يبدسون بكلمة واحدة تسقط عنهم ،
فيؤيدون في ذلك ما يرضون .

كان الساسة ، أشدهم فيما سبق ، فلا تعدون . يحطون جهود
المصلحين ، وندوة الفكر في الدعوة إلى المحبة والاحوة ، فكان للمصلح
يومئذ عذر وايسر ، عليه أن يكون موفقاً .

وكنا بأهل في مطلع هذا العهد أن تنسجم الجهود ، وتساوق بين
الشوامخ في هذه الأمة ، فري أولى الأمر في مجالهم ، يلاقون نفذة
الفكر إلى غاية واحدة ، تجذبهم جميعاً للهدف المشترك ، وتشد
بعضاً إلى بعض في سياحة المرصرص .

كفى ظهور بعض الناس سعرتهم ، كاد ان يصيب هد لأمل
المسول برد فعل مر وحيم العواقب ، فان ظهور هذه العرات وارتفاع
اصوات أوقها ، في هذه الظروف ، يرمي الى معزى لنقيم ، برصده
المستعمرون والصهيونيون لنجاحهم ، وشكاً معاً ، مذ وصموا في صلب
سياستهم قاعدتهم المنعونة (فرق تسد) .

وانى لارأى العلماء وقادة الفكر لاصلامى في مصر وغيرها مما
يسوقه اليكم كل روبيضة ينكلم في امور العامة باسم الصوف المحترمة
وهو من لا يعرفهم او تعرفه باحلاق أخذها عيه أهل المراق وأهل
الشام .

وقد يكون ، وقتاً للمستعمر ، يرسل به هذا الصوت الميكر بوقاحة
وصلاف ، ابقاصاً للفتنة ، بعد ان قامت تحت هد هذه المصاحبي و وحداء
الامناء المخلصين .

ومن الحق ان مثلاً العليا ، نربأ بها عن استعراض ثمرات يتطوع
لها في هذه الآونة العصيبة نمر لانقول فيهم سوى مايقوله المتحرر عند
اطلاعه على قوارصهم التى ضمت لهم بشرها بحجة (الفتح) .

وحسبكم بها قولهم (ان الشيعة يجهلون انكذب لصرة المذهب) (١)
وان ذلك هو معنى التشيع اى التحرب ، وانهم سوا ديهم على
معرفة الحق بالرحال ، وان ذلك هو القاعدة لاساسية عندهم في
الحرخ والتعديل . فالعدل عدل عندهم بمقاييس تشيعه وان كذب ١١

(١) ليت دلنا على شيعى وحد يجوز ذلك ، او كتاب فيه حروف
يشعر بذلك ، وفي اى بلاد هؤلاء الشيعة ، وفي اى زمن وجدوا
(من كان يخلق مايقول) ! ! !

والجروح مجروح بمقاييس تراخيه في التشيع والجزئية . لاشخاص معاومين
من أهل البيت ، ما لم يكذب أهم وعاليهم . وإن أساس التشريع عند
الشيعة الذي سوا عليه أحكامهم الفقهية ، رقع مجهول أمرها لايتنى
عليه أي علم في أي دين أو في أي عقل أو في أي منطق ! ' وانهم
قد انفردوا عن جميع الأدل بهذا الأصل المحتل من اصول التشريع لدى
بنهار كل ما يبنى عليه ، وإن هذه التوقيعات رسم الشعة ، هي خطوط
أنتمهم في جواب مسائل يكثرونها في رقع مجهولة . ليس لها أية قيمة
ولا يمد عليها في التشريع ، أي رجل له دس ' ' ولا أي انسان
مشغل بالعالم من أي دين كان ' ' وانهم يرون هذه التوقيعات على
على تلك الرقع البائدة لمجهول أمرها ، أرجح في الدين عند التعارض
وقوى في أحكام التشريع حتى منصوصهم التي يصححون أصنافها .
هذا بعض من أرجحهم التي لوادها احد قبل تحرير القول ،
لوسمه الناس امكرا ، فكيف هؤلاء يعرضونها الآن على الناس ، والناس
لا يكادون يؤمنون بغير المادة .

أبتهم الشيعة هذه الاطيل " وقد ملأوا الد ا لاسلامية عدداً ناهياً
وعالوماً راخرة ، من عتبية وفقية ، دورعاً واحتياطاً ، واناساً في كل
العلوم والعلوم ، وهم أمد الناس عن التحريف وكثرتهم عملا مصرية
العقل ، وقد امتاروا بحجية العقل عن صوهم
وانه لمر عليا - شهد الله - ان يقاس على هؤلاء غيرهم من أوعية
العالم وحماة الافلام من اخواننا المسلمين .

وانها لنتيجة طبعية ان يقاس العالم الساكت على الجهل لا اطلق حين
يقهر العالم بسكوته فطق ذلك الجاهل =

ومن يطلع هؤلاء - عما الله عنهم - من الجهالات التي يسوقونها الى الشيعة اما هي دعوة الى الشيع ودقت انها جهالات لا يمكن ان يصدق أحد بصدورها من عاقل ، فهي مدحورة حتى أمام السطح وبسطاء ، ودا كمن لها أثر ومن يكون هذا الأثر ، ولا رتيب السود الأعظم من الشيعة بكل ماعند حوهم السنين من حديث ، و من كمن صحيحاً في الواقع ، وان الشيعي حين يحو الى نفسه ويص لها من هذه الشرذات التي يلتصقها فيه بعض احواء السنين لا يجد منها وبه عيباً ولا اثر ، وحينئذ يضطر الى الاعتقاد انه لا صحيح في قوال انقوم حتى ما يرويه التجري منهم ، وبه لا يرجع عند القوم بمسهم من انفسهم ، وانهم من وهكذا يسىء هذا لشر الأرض الى نفسه والى امته هذا العرور .

ونحن والله لا يظن ان أن يؤخذ المصلحون بدين الحق ، لذلك ندعوكم اني كلمة ترد عن حرككم وهم من حيارى ، وحاشا لله ان يكم حكم هؤلاء في صدر من الرسى من حوكم شيعيين .

ولا نكنتمكم اننا بعضي الأمرين في همدنة نائرة ، وإصداه نائرة ، نريد أن تعصف بهجت عن امور تحد عليها أدلة من كتاب وسنة وعقل واجماع .

لكننا الى الآن مستطيعون أن نمسك بدينهم ، بقيا على معتقد انه المصلحة لوحدتنا الممدسة ، فأعوانا على ذلك بكم تلك الافواه الممدسة على الشيعة في مجلة المنح وغيرها .

واسى والله لأحشى ان نرى هؤلاء على ما هم عليه ان تكون لمة بتأدى بالعربيين الى معارك عمية تظمى على المسائل الخيرة في الوصول الى الوحدة ، وليس من الوحدة ولا من الدين ، ولا من العقل في شبيء ، ان يهاجم

الشيخ المصلح محمد نقي القمي في (دار تقريه) وإصلاحه على هذا
الحوادث ، وابن هي الرحمة التي تندهى إليها عن الهجوم على دعائها
المخلصين .

فهل نحددكم عدد ضا ؟ هذا ماأمل منصرين ان يكون العلماء
قدوة للناس في الدعوة الى الإصلاح ، ونسعى له والنصحة من أجله .

. . .

ودفد كان لهذا البدء أثره القيم في السوس يومئذ دفعها الى مزيد
من الحيلة ولي مزيد من التيقظ والانشاء الى ماكان يريد لها أدب
المستمرين ، ودعاة المكر السبي ولايحيط المكر السبي إلاباهله
وافد جاء صدى هذه الصيحة في اوساط جماعة التقريب في رسالة
أداها سكرتيرها الشيخ القمي ، وتشرها نعت عنوان من المصاحين (١)
ومن أجل أن تنمق عناصر هذه المرحلة في وحدة موضوعية متكاملة
نقل فيما بل رسالة الشيخ السكرتير وهي موجهة الى صاحبه على
شكل خطاب مفتوح :

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وحيك الله من ذي همه
هانية ، ونفس زاكية ، وقلب جري ، ولارالت بمثلك دموع الحق
هالية السماء ، وهاجة العباء ، تهدى الحيران ، وتروى العمان ، وتهدى
إليها أنثى من الناس في كل عصر ومصر ، حتى بفي الناس الى كنة
سواء هي كنة الله و (كلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) .

لقد قرأت - باسماعة السيد الفضال - ماسطره براءكم في مجلة
المعهد (العراق ، بعنوان الى المصحح ، كما قرأنا في التوضيح أعضاء

اعضاء القريب وصبراً لها انشاء الله سائرهم ، وقد أحببت أن اعجل
بإرسال هذا الكتاب إليكم ، لا لأرجى شكراً أو أموق مديحاً وشاماً
فإنما يزجى الشكر وبساق المدح لمن جامل أو ناصرني شيئاً ليس من همة
ولأنما يملأ قلبه ، ويشغل نفسه .

أما السيد - بارك الله فيه وأبدى بصره - فهو من عشاق الحقيقة
المدنية معها ، المستهينين بموادح الصعاب في سبلها ، وحسنه من
الشكر لذة الكرم ، وعن المدح وشده أن يمدح في لأقنى شاعر
البحر .

إن فكرة القريب - ياداً المسحة - قد برزت من محيط أهل العلم
والرأى ، حقيقة مائدة مركزة تعمل عملها في خطوات مقززة ، وتؤتي
أكلها كل حب أدنى ربه ، وتصل بين قلوب العلماء والمتكلمين في أمم
العالم الإسلامي كنه ففتجابوب لديها أصواتهم ، وتنفى عنها أروهم
وأخطارهم ، وإن اعصدها العاملين والمراصب وأصدقائها في كل شعب
فهم الصموة المختارة من أهل العلم والرأى ، ودوي العيرة ولا يجد
والتمعن في ادراك احوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وما يصنعون
عليه ، فإذا قام بعض الشداد ، المهاراة ضد هذه الجماعة في وريقه حمية
لا تعرف ولا تفراً ، وليس لها في العالم الإسلامي اثر محسوس ، وليس
ذلك بخائرها ولا محوق رسالتها التي أصغى لها أرباب الفكر والعلم
وتلاقوا عليها عاملين مخلصين .

ولذلك آثرنا أن نصرب صفحاً من هذا الهراء ، وإن يمر هذا النوع
كراماً ، وأن يسير في طريقنا غير مشغولين به ، ولا معصروين عن
الجهاد ، كل الجهاد فيه ، وماذا يستطيع هؤلاء الشداد أن يصنعوا وقد

أبد الله فكرة القريب اعلام العلم ، وانصار الحق ، من كل جهيد
في قومه ، وصدر في وطنه ، واولئك هم اولو الرأي الرشيد ، والسعي
الحميد ، إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا :

أما أنا - ياسيدي - بوصفي عضواً في هذه الجماعة ، فقد عاهدت
ربي على أن أمد يد هذه الفكرة كل ما استطيعه من قوة وجهد ودأب
حتى يظهرها الله أو أقصى دونها ، وأني لأجد كما يجد جميع زملائي
الكرام في أمثال هذه الآثار والمصنفات ، ما يدفعني ويدفعهم إلى
مواصلة العمل ، ومساعدة الشجعان والجهاد ، وتجديد القوى وتركيزها
في سبيل السحاح المشود ، إذ يساق إليها الدليل القاطع ، من هذه
المبررات والخصومات والاثارات ، على ما يحسن به من حاجة المسلمين
الخاصة ، إلى أن يعرفوا حقيقة دينهم ، وما تملح عليه أمورهم ، وتستقيم
به شؤونهم ، وألا ينصتوا لأمثال هذه الأراجيف والاعاليط التي تصدر
عن آفاق صبيقة ، وانكار قاصرة أو مضطربة ، ولو لم يكن في هذا
الطبيب إلا استشارة القوي وحفز الهمم لفصاه عليه ، ونظهير المجتمع
الاسلامي من آسائه ومصادره لكان في نظري حبراً وكسباً لمكرنا
وفكرة جميع المصلحين الفاقهين ، من أبناء هذا الدين ، من مختلف
البلاد والشعوب (وعسى أن نكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

فالحمد لله الذي ربط على قلوبنا ، وبصرنا بالدواء الساجم لاصلاح
امثنا ، وبسر لنا سبيل الدعوة واللاح ، والاسماع والاقناع ، وإن لنا في
امرائكم للدواع عن فكرة الحق ، والدود عن حياضها ، ومناشدة
بمصلحين التأييد لها ، وأحد الحذر من أعدائها ، وفيما نلمسه كل يوم
من اتساع مداها ، وانتشار نورها على كره من المبطلين الجاهدين :

نروى الاهواء والتعصب ، وان لنا في ذلك كله اقوة وفخراً ، ومضاهاً
 وهرماً ، وما كان لنا - نحن الدعاة الى القرب واللائقة - أن نصفي الى
 الى نعمة الخلاف والفرقة ، ولكنا ندعو وتذكر كل من كان له قلب ،
 او أنقى السمع وهو شهيد ، وحرص عن القاعدين بكل صراط ،
 يوعدون ويهدون عن سبيل الله ، من آمن وبتوكلها عوجاً ، ونصير
 حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين (وسع رسا كل شئء علما
 هل الله توكلنا رسا إلح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير المنجيين .
 وسلام الله ورحمته وركنه عليكم ، وعلى كل من اتبع الهدى
 وآزر الحق ، وجاهد في سبيل الله حتى الجهاد .

. . .

هذه الصفحة المشرقة من كتاب جماعة التقريب على ارض الكفاة
 وهي في مقتل حيائها ، تكشف عن التصميم المؤرر بالوعي لاسلامي
 الذي نهضت به ضماير اولئك الاعلام ، فكان هادلاً حاسماً في استمرار
 دعوتها ، قوية ، صلبة ، لا تلتفت الى الراء ، ولا تهتم بما يثار (زوراً)
 حولها من مقتربات وأقاوية .

ومما لا ريب فيه ان الجهود الفردية لا تستطيع باى حال من الاحوال
 ان تستقطب رصيداً محترماً مهما نفتحت أرباحها بالبدل والسعى
 المتواصل .

وأهم ما يثار في هذا الباب ان تتوى المسألة على قاعدة من التخطيط
 العلمي الذي يحدوده عمل جماعي هادف ، وتقدير جريء ، وصبر لا تقطع
 حباله رائحة بارود هاربة .

ان مسألة طرح افكارنا على كافة المستويات ، وعلى هدى من

جهاد جماعة القريب بين المذاهب الإسلامية ، لا يمكن ان نتغل الى
صعيد التطبيق العمل عالم تنبأه قيادتنا الروحية في انجف الاشرف ،
فعدها ، وحده القدرة والامكية والعزم ولاجان ، وهذه الأور تسهل
الفصد ، ونمشي بفضيقتنا الى الامام خطوات وخطوات :

. . .

هذه قطرات من قلائد حزين تدل عليه أمكار من واقع ظروفنا
الخضرة ، فيحول قدراته المحدودة ايجاد محرر لها . وفي علينا
ان نصل الى مركز الدائرة في هذا الفصل . الى الكلمة الحية التي ستكون
وسيلتنا الى معرفة دور الامام شرف الدين في هذا الجانب من حياته
المرضية .

كتب سماحة الشيخ محمد تاج الدين مفتح الجمهورية اللبنانية الساقية
دامت (٩)

(صرب لله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في
السماء . ترى أكلها كل حين اذن ربها ، ويصرب الله الامثال الناس
لعلهم يتذكرون) .

شجرة ندية قدمت نعيم قلبها للناس فوحاً وشمراً ، وسكنت آياتها
بقدرته تعالى في دناهم سكب السحاب ديباً وفوراً ، وأعراساً وحبوراً
وأندماً وعطراً ، فكان بعد هذا المكثور الذي أرهقه عت الطريق
مشاء من راحة ، وضبابية قلب .

هذه الشجرة الطيبة هي حكمة المعنى لفقدنا الكبر الذي كان

(٩) الجزء السابع * السنة الخامسة ٩٤ كانون الثاني ١٩٦٠ . مجلة

الصح اللبنانية .

لأننا نرى منذ كان للحياة ، ونحن نراه نجد أنفسنا مدعوين للحديث عنه
أردنا أم لم نرد ، انه ملا دروسنا بالاعجاب وليس الخادع ، فلا بدع
ان نملأ دره المورود ، وليس امره من درق مضوع ناسحل ، نعم
مثلاً يرجع الجدي الطاهر ، هو رجع الى ربه ، في قدس شعله ايمان
وفي يمينه لآله ما قدم من قرآن ، وعلى جبينه أكابيل ثمار إردفت والروح
والريحان .

في الحياة الدنيا يكون الانسان دائماً نعمل أعمالها ، فاد انتهت
الحياة ، انقلبت اعمال الانسان دائماً بحلده هو فيها ، فمن الخير هو خاتمه
في الخير ، ومن الشر هو حاله في الشر ، حتى لكأن الموت لم يكن إلا
مبادلاً جديداً بروح ولكن من أعمالها وجاء الموت على الارض ليكون
معناه ان الانسان حي في قاموس نهايته ، فليسطر كيف ينهى ، إياه بصعد
الكلم الطيب والعمل برفعه ، وحسب فتبدلنا الكبير انه من حنرة هي
الكلم الطيب ، وانه من نعمة هي العمل الصالح :

انني لست أنكم في السيد كثيراً ، فعند عني مدافعه بضرب معين
القول ، والباس مثل صوت الشعر ، كم رحل منهم تألف ، وكم بيت
بدبوان ، فمى لعلم حدث عن البحر ولا حرج ، وفي التعمري لعلمها اتحدت
من قلبه محرابها ، ومن ضميره هيكلها ، مثلاً جاء في الحديث القدسي
(ما دعهني أرحم وسعني قاب عدي المؤمن) .

ولكن مهما كلفتمت من .. اي . فلا يسعني إلا ان اذكره يوم تمرد
تمرد الشامخ على المستعمر ، بام وهبل ، وراه كبرياء لأرورار امام
معرياته :

اقول السيد عبد الحسين ، وكان الوطنية ، يوم كانت آلاماً

وفضحيات حمراء ، وكان النראה يوم كادت حكاية تروى ، وكان
العكر الحمر النير يوم كادت حربة الرأى سبلا الى الاعواد ، وكان
الصراحة المجاجلة الهادرة يوم كان الهمس الرعبد عنوان جرأة واستسار
السيد عند الحسين هذا رجل يمز على الرثاء ، ليمش غلاباً مازداً
صو غلابه ، وعرمة حمبة من حرمة أمصايه ، وطلاباً مقتحماً يحكى
روعة طلابه ، وامثولة يقصها العربي في صفوحه وهضابه ، وثلاوة
صلاة يبثها مضبغة بالعبير من أحقابه الى أحقابه ، ومن حضوره الى
غيابه ، راصحاً في اطار قدس ملايح رجل أقدم في الروح ، في الهول ،
ومارند على أحقابه .

ان على مثل اليفين بان عقيدنا من وراء هذا المبحني الأرضى الذى
يفحصنا عنه ، بعم الوم بتحقيق حلمه في الضال كما نعلم ، ويحيط كما تمنع
وبقره عبد كما بقره عبا ، فهذه الينقطات الشبهة الماردة والاشخاصات
الحرة الماصبة الى ما يريد ، أشء ام لم يشأ المادة العبيد ، نملا بالمرطة
قلوب الذين انطلقوا على اهبة الصراع ، حقيقة حباة ، وحطة عمل ،
ومنطلق نورة .

لقد دل هذا اليوم الضالى المغم بكرباه الشعب ، وارادته وعادته
على انه حلم عيد في قدومنا بنفت اليه كامل مشعر ، ولتمس طنته في
الدروب والمفارق ، ثم كان هذا اليوم ، وكان شيئاً كبيراً ، كان كبيراً
في تحفته وعياً ، وفي حشد ارادة فاعلة ، وقوى مطورة ، ثم كان
كبيراً ايضاً في انه سجل او كاد انصر لنا - نحن الشعوب - في
كل الميادين .

ثم اذكر عقيدنا ايضاً وقد استعاق على جهالة مدلهمة ، وليس

ضربها بالأساء ، وعلى طعونة مصدرة يعتصرها أسمى يتساقط مع
حيات الدمع الى قرار مخيف :

ورأى ثمة كيف يسكن الشرفون الأثمنون في المجتمع ، كيف يحكمون
والخملان ثياب الدواب ، وكيف يمسخون ترنيمة اللال ، ويجعلون في
لحنها نعيب الغراب

وكيف يحولون القراح العذب الى مرير الشراب ، وكيف يصنعون
من انسان المجتمع فساد العاب مسهر على كل اولئك المصيبين محذب
الراعي الكريم .

عين له مع الناس ، وخفقة قلب له مع الله ، معهد ، يرق نعه
الأقدس جبل ترويه ومن لده قلبه قد حججته ، وصوى لده ، ومن مثل
رؤى الله في مثل دؤم صلا سده وياه ، فليشهد الكهفون بدسمة
نعمه الوطن عابهم ، كيف يشقى الوطن الحق ويستمدد عداه .

ابو السيد احمد . حبرنك وذكراك سفل منشرة في صحف مطهرة
بايدي صفرة ، كرام ، ررة .

كلمة رائحة حفاً ، تؤكد حرارتها انها مستمدة من معرفة قامة بدور
الامام شرف الدين في حياة الفكر الاسلامي ، تتلاقى هذه المعرفة بوجد
حاصل ، واريحية اصلامية صامعة .

عالي نون آخر من الزواج هذه الراهطة الاسابية المحصنة
كلمة بواهن بطرس المعونين بطريقك انطاكية وسائر المشرق .
يقول خبطته (١) .

(شق علينا أبيعيب الثرى وجهه صديق كريم كوجه المغفور له الامام
(١) المصدر ، السابق نفسه .

العالم ، والمتجهدين للعامل ، والرحيم المطيع ، العبد عبد الحسين شرف الدين
لقد عرفناه عن كتب ، وخبرنا فيه صفات طيبة ، وسجايها نسلة أكسته
هدداً كبيراً من الأصدقاء والمعجبين ، وأسا دأدبته الى كنت ثم
عن ايمان رشح بالله يوشبها أدب رشح وعلم جم

وقد عمل رحمه الله وحي إيمانه هكذا في عشرته مرشداً وهادياً بما
علم ، وبشر في أسفار قيمة ، تشهد له بطوب الداع في علوم الدين ،
فلا عرو اذا اكبرنا واكرمنا المصاب ، ، انما عراؤنا انه قصي حياء علم
وعمل ، مرجوان يؤمنه للظفر بالعلم في عالم الحدود .

وتحت عنوان فريد نراث انساني ، بشر الكتاب المتقدم العري
كذلك جداول ، كلمة معمة بالحس والناثر ، والمهني الكثرة وهي
(بحضرة الناس في التاريخ ، وينو هون الى انجاهين ، مندفعين
بنايرين ، في الموقف من الحياة ، وانصرف بمشكلاتها .

وهم من يأخذ الواقع كما يهي ، وكما يفرسه تطور الأحداث ،
موقفاً ان دارنا العمة هذه المعجونة ممتها لاحتاجتنا عن اشراق
الحقيقة ، انما هي دار الوداج وتنافس ، و- اكس متصل طمة ونور
صواب وخطأ ، جسيم عذاب ، ونعيم حنة ، كل يكس بها ما يحتره
من وميض الأزل ، فاندبنا ، هكذا - عند هؤلاء - وسنبقى هكذا الى
ابد الآلئس ، لا يصلحها مصلح إلا لفترة ، ولا يقوم اعوجاجها في
ولا صاحب دعوة إلا لخدمة ، ثم تعود الشريرة تنقلها او ضارها ، منحدره
نعموما كانت عليه لالها مد كل شيء من دم وروح ، ولا يمنع هذا
الاعتبار - عندهم - احدا ان يقوم بدوره ، كل دوره من تلبية
الحبيب واصاة الطريق ، قدر ما يستطيع ، ولا يطلب منا إلاما توفره لنا

القدرة من مقاييس واتصالات في شؤون الحاضر والعدد وهكذا يستمر
المجتمع ينشأ من خاصين وشارح واجههم ووسائل من الأنداد
تقهر يكون - اذن - واحدة

واحدة اذنه ومن الحق وحسنه صريحاً لا رها وندى ، فآخرة
في له وقشره في كبريته الامعة ، وصندوقه الخصة في شدة
ومحتواه

هذه القوة بسيطة الصفة ، لا مركبة ، ولا روج ، ووعي في
ال (مثل) كائنات الاطلاوة القديمة من شخصها وشخص
والاحياء ، ومن من يدوم ندم ايوني في احدى حرر - رة - وقد
حكم عليها - ويضطر بعد قليل من - حرة في ايتب منها حرة في
حالة ، متخذاً من سقراط ومعبود حرة إذ قال

(او قدر لي ان - على الشؤون العامة لأصاني حرة من حب حرة)
كان على بن ابي حاتم طالا على هذا الحرر ، وما كان فصل
يشبه من من من اكن ذكره السلا ، والخلافة لأحمد ، وقد رجاه
يرث الأرض ومن عدها ، وانما كان نصلهم في من ذكره الحق
المحصن ، ومحدرة الواقع الذي شاء عكس ذلك ، وما من شيء من
استمرار التمسك بهذه المكرة وهذا النصال ، سوى ذكره حده من
لاحل الحق وندائه ، وان كان هذا في مستوى الخلافة ، هي - سوى
الاحماع . في مستوى السيرة ولم يتجاوز الاحلاف حرره
المعتقد الواحد .

واذا شئنا ان نصف فقدنا الكبر . المعتقد للعلامة ، ور - نصح في
إطاره المديني ، استطاع ان يسكنه في سلسلة لأئمة والقدرة من التمسك

للشربة عبر العصور ، وبعدة احد تلك المجموعة البيرة التي برزت ،
ونالقت وتماقت على الابرار حبالا اسانية حقيقية تتعالى وترسخ مقولية
منذ بداية الدعوة حتى يومنا .

وفي الواقع كان في العقيد شبيء كبير من روح علي ، كان يهر
ويرتفع في قوة واعتلاء على من سواه ، كانه قمة الطود بالنسبة لسهول
العامة ، وكان على الاعب يستند شموحه هذا من ديمقراطية متقدمة
مبرت شبة الاسلام ، بحرية الانقاد وحقه ، ودأجتهاد عبر العصور
الثقافية ، وهي ديمقراطية تعنى بالكثير من التراث المتركم على هذه
للغة من دنيا المعرفة ، فن الاسلام ، وبعد الاسلام وكأنها افتتح رحب
ونطع مدعش على تطورات الحقيقة من افلاطونية قديمة ومستمدة ،
ومن اشياء تاريخي ، وافشاس اسكندري ، وحتى شبيء من معطيات
الشرقي الأقصى . . هذه للديمقراطية المشورة ، المتفتحة ، دمع من أصل
وقد تميز الجدر العربي الاسلامي بها ، وكانت صمته وعنوانه ،
وطايمه الخاص .

هذه الديمقراطية السمحاء المشار اليها ، توجهها واذكائها ، وحذب
عليها ، وبهض بها عبر اليهود المشرقة والمظلمة ، عمود دقري حقيقي
ارز من كبار الرجال ، هم طلمة في حملة الرسائل ، تقدموا وفي
نفوسهم شبيء كبير من روح (علي) نفسها ، وبخص توجهه وماوكة
عرنا العقيد الكسر عن قرب ، وفي سياسات من معارصنا الشعبية
في بعض مااحتل وهمد من أنظمة الحكم ، وكان رحمه الله لايطبق
الاهوجاج ، ولايعتمل الاحتلال ، ولايحترم سلطة جائرة ، ولايجامل
كثيراً اذا وجب قول الحق أو فعله ، فكان يجابه الباطل ، ويدعم

التصنيف والطغيان :

عرفاء قمة من هذه القمم المتنامية على مر التاريخ ، تحوى خصائص السهول وتقودها ، لانها ترفعها وتشمخ بها .
والمسافة بين ذهني المربعي المشار اليها قياسا : الانتشار الأفقي السطحي ، والاطلاق العمودي ، اى الانتشار الاعتلائي الارتماسي ، فالأول تقاس ذهبة من بقل الراقع كما هو وبما يره ، وباشأى تقاس ذهنية المتسكين بما يبدو في الاشياء من الحق الصراح ، ان هذا النوع من عدم التوافق يقسم الناس كقبا - نصعب - وبديهما حول قطبين ولم يكن التبدل إلا لمن هم في صلالة تصورهم ، وصواية قصدهم ، يؤمنون ان الاشياء والوقائع يجب ان تكون هكذا مستقيمة الاعوج ، ولا تناسب بعدم فيه شيء من الجوهر الأصيل ، والهراط السوى النهج .

وهل تستقيم امور هذه الدنيا لمن يمشى ، او يحاول السير على حذ السيف فلا يثائر ، ويترنح ولا بهوى ؟ .

هكذا رأى الحياة فكان له جهاد ، واجتهاد ، جهاد بطنق وينعث من اجتهاد من يفكرون وبكسوف ، ويتأملون ويناقشون ثم يؤمنون ، فيعملون اعمالهم انعكاس لصور نفوسهم ومثالات لسيورتهم ، وانه لشأن الصدق في الحياة ، والصدق يبدأ بها ، فهو الموافقة والمطابقة لما تستثيره من توجهات الحقيقة فيها وهو اجتهاد الاكبر والاجتهاد الارفع ومن هنا على الدوام يبدأ .

كان العقيد الكسر الذى عرفناه وقرأناه حص الشيء في مسلة قادة الرأي والتصرف محاولة صحيحة ومثالا حيا للجهاد والاجتهاد .

ولاحظنا ذلك شيعة ، بل انك شيعة على وجه الارض اجمع
 وجهاد . كل يرى وجهاً عاماً من وجه الحق الواحد القرد وشيعة
 ووجهه حلاً في تصاريث نفسه ، جميع لشر على خلاف شيعة وتوجهون
 في كل وجه نحو خلق على احسن ما لهم واشوقهم الى بحر الهدى
 كهم شرع الله جل جلاله وشعرون ويتبعون في الوان العبادات وأشكال
 المذاهب ، ووجهون ، وعلاهمون ، وواحدون ، وتوحدون ، وواحدون
 في الاحكام

هذا ما كان مثلاً الفقيه الكبير مختص شيعة ومعتقد معين وانما كان
 من شتى الامم في الشامل ووجهه ، يستحق به معنى القدوة وصرف
 الامم في حق وصلاة الرأي الذي كان يمثلها بيننا :

ان هذه كلمة اعم من الاحتكام من آراء ومن عناصر ربط متجددة
 لا من الامم ، اي قامت من أجله فحسب ، بل تعتبر مفتاح دراسة
 علمه ، يسطر دركه ، احقق الكبرى في دور الامام شرف الدين
 دوي

لا بد من حيلولة موصلة من قدة الفكر المعتمد ومن الدين
 نمدك ، حله في نظرهم في الاعمال الفكرية ترك الاول وهذه من اس
 حيل في نظر الامم شرف الدين وهي اي مقام

وعلى ان حل قد اصاب في رسم هذه القوالب

وكان لابد يوسف عالم تحت عرش شخصيه انرايد الكلمة بداية
 (كان لابد شرف الدين حجة انديا على اذهاب مشايخ كبحر
 الدين عن الامم ، كبروا من امر لروية مائدة عن سير المتبعين
 لاهل من ، انهم كانوا ترك الاوسن الاوحد قد جاءهم هدى لامام

البرهان المسمى بان شملة الهندي بها في كل عصر ما هو من علام
الحق لها في كل زمن انصارها ، وان الله صادق في قوله : ويكمل قوم هاد
لقد شاعت رحمة الله ان يطرح في سمائها هذ الكوكب الكبير
واصل من رودة من الارض في درة من الارض كان هذا دور الهندي
في حاجة تلح على الناس وتنبههم من الحاجة الى الغذاء واليهواء ، فاستد
القوم طيلة نصف قرن لهذا اللالاء ، الدافق واسترشدوا به في مسائلهم في
علمت الخوض والخيرة ، في رحاب حكمة ومواضع اليقين ، ومغزى
الصواب .

اما اية لارم الكرى ، وسببه على انها به غير مدعوه وسيرة
الحكمة دائما علم لهم وادومهم عنه دوا حدث الناس هوى الدنيا
وروال عظامها ، فقد وعدتهم به . فليس ر محتم كمنه ،
ان الراشد بها وهى مقبلة عنه ، مرضى هوى حائمه يده ويردى
ماستهوى اشتر من محسن ومعدن ، فهو انجى من ثرة الدنيا
استدنت به نوره من كور دمره والمصيبة ، حتى النجس لمن ليسر
انهم هم سره ان قصه ، النجس حول في عطشه ، وان ادب اعموم
ان ظهورا موسكه او صر بل ولاستلام . فهو بها عزيزة
جريئة شارة على الطغاة ، شديدة على ضلالتهم من انهم ، فقد
أهدت لهم قس ذلك قدوة أسلمها عنه . وهو ان عروها منه ، و
رفع الصوت عاليا مدونا ، وتحدى طغيان المنحمرين وكذب المستعربين
فشر الحرية والعدرة ، وكرمة لاسان ، يوم عيب البصر وعرا الصبر
وإذا كان لنا الوم ان نعم هذه الهبة المباركة ، يرتفع مجتهد
ومنهص بنا على فروع العلم والحريه ولاخلاق الفاضلة ، فان حق لارواء

هنا ان نذكر فصل الامام الكبير ، اهل البيت الحكيم ، والقائد الشجاع
فهو الذي فتح لنا ابواب المعرفة ، وسار اماما في طرق الكرامة ، وعانى
لنا بنعمة فصله وارشاده وفصل صموده وجهاده ، ان نرى حولنا جيلا
جديدا من بنى قوما قد أخذوا من العلم بازمي نصيب ، ومن الثقافة
بقدر غير يسير ، مكانهم ونوا في برهة نصف قرن مساهمة ماثت من
السنين ، فدا هم قد أدركوا ركب الحضارة السريخ ، وأصبحوا مه في
الطليعة ، وكان لهم ولائهم الشرف الكبير والعزم الكثير

في جوار الله انسان قيس من نور الجنة فأصاب في الدنيا وتزود من
جهاد الدنيا فأقام في الجنة ، ان له الثواب الذي اراده ، ومهبات ان يكون
تكريما عدا له مثابة ، بل انه تذكرة ومثاب ، وشهادة صادق بان
الأوتل قد تركوا للأواخر ، وأن لكل قوم هاد ، وان انوار الجنة
أرلية اللالاء ، فليقدس من شاء ، وليستمر من شاء

ربما افصح بيا وبين قوما ، الحق - وانت حير الخائمين .

هذه صورة اخرى نقلنا اليها قلم الاستاذ يوسف سالم تدور في اتجاه
(دراسي) بفتق من السهج الذي اراده الاستاذ س. بلاط ، او س. احدة
علايا ، او الموش ، في معرض النص على الحضارة الكبرى فقد لامام
شرف الدين .

والحقيقة بين يدي اكاداس من الكلمات والمرثي والافوال والرسائل
تحدث عن السيد الامام ، ولكن كما قلت أحتار المصامين للداة على
ملاحظات مكرية نتق وهدف هذه الرسالة في التوعية والتركيز والبطرة
الهادة .

وهذه كلمة لسيامي لبناني عريض السمعة ، له من منه وحبره

وحسبته وسائل تعطى لرأيه قيمة ، تكون لدى المعنيين فكرة واضحة
عن رأى العامة المحاكين - معصهم - في موضوعها هذا . هو الاسناد
الحاج حسين العويني .
كتب يقول . .

(أجمع لبنان والعالم العربي في هذه الفترة من الزمن اجماً متقطع
ينظر على تقدير رجل الدين مساحة المجتهد المحدد الشيع عبد الحسين
شرف الدين ، وقد نسر لهذا الرجل اجماع الطوائف والمذهب على
محنته وحجراته ، وحسبنا ان نستعرض أسماء مؤسسه ودرسيه ، وحاسبي
مرياه وصفاته ، حتى يؤمن بان في هذا الرجل العظيم صفات أثبت
حواله قدراً من مختلف الطوائف ، وجمعت على محنته الفوس ، صفات
يلزم ان تحتج في رجل واحد .

ومن هنا سر عظمته ، ومر اجماع الناس على تمجيده والاحصاء
بحت رايته ، اربع صفات كل واحدة منها تكفي لتحقق رجلاً عظيماً
فكيف هي اذا اجتمعت كلها في شخص واحد ، هو علامتنا
المجتهد الأكبر .

للصفة الأولى : هي العلم الصحيح . العلم المسمى على القفب والتحقيق
والندقيق ، والهمم المتيق لروح الشرع قبل المظاه ، هذا العلم بمنزج
حد علامتنا بالتواضع شبة العلماء الاعلام ، ولايرهو ، ولايشمع ،
ولايتعد نفسه . ولكن يعيش في ديمقراطية العلماء ، ورعد العلماء ،
ومشاركتهم للحماهير في أفرانهم وأزراحهم .

واما الصفة الثانية التي يتحلى بها علامتنا المتواضع فهي الجرأة التي
نرفده عن مستوى الطامعين الخادعين . ان الامام الكريم يثل رجل

اللاس ، ولا سيما بين مختلف الطوائف والمذاهب ، انه اول من دعا الى
بطلان هذه الخلفاء الوهمية القائمة بين الشيعة والسنة وهي - يشهد الله -
من عمل الاستعمار ومجندات السيرة ، فمضى كان المسلم سيياً ، ومنى
كان شيعياً ، وهل كان الرسول الاعظم صدرات الله عليه ، والقدسية
الكرام ، مسين أو شعبين ؟ الاساءة هرسنة الصياغة والحريه وساء
ماتت به الدخلاء من طواهر وهمية وأحمد حانية .

ان في المجلس لاسلامي يريد ان يحدد ذكر الراحل الكبير لاهل
طريق الكلام تسمى ، ولكن من طريق العمل بعد دعا اليه السيد عبيد
الحسين شرف الدين ان يريد ان يعلن عزيمتنا وتصميمنا على نحو
هذه المرفق بين السنة والشيعة ، وافتتاح عهد جديد من الوحدة الدينية
نطلق عليه اسم (عهد شرف الدين) .

وانه لشرف لنا اجمعين ، ونه لشرف للديار والدين . انه نعتق
لرسالة سيد المرسلين) :

دعوني نقل لكم الآن الى ميدان آخر . الى صميم "در . ان
أهدأ يرى كيف عرفوا السيد القائد آروهم واطاعواهم واحاصرتهم
وعلى هدى القول المشهور الفصل لا يعرفه إلا ديوبه . مسأحد من
أفواه اعلامنا . غرر مشاعرهم في هذا المجال .

وها ، انقلها اليكم ، حسب حروف الهجاء من اسماءهم الرفيعة
قال آية الله الخوئي السيد ابو القاسم الموسوي أطول الله قاه (١)
(الحقيقة ، امة الراحل في لسان عام تشرقي حج بيت الله الحرام

(١) راجع مجلة انشط الثقافي التي تصدر عن جمعية التحرير الثقافي
بالجلف الاشرف ، العدد الخامس السنة الاولى .

ولفتت به في ريارته لتجفف الأشرف ، وفي كلمتنا المربى لمست في
حقه عظمة لا تحارى ، وفي آرائه سمواً لا مدنى ، وإن جهاده في سبيل
الاسلام لا يكاد يحده احد ، ولا يوسع كل من يرجع كنهه ، لا ان يستفيد
منها الخفيفة ويحصب لها مهما كان قويا في آرائه عتيداً في معتقداته ،
وقد وفق كل لتوفيق ، في دبه من شريعة الاسلام وفي انصافه للمذهب
الجمهورى ، السبيل الأوفى ، والدعوة الى اصلاح ، جره الله عن الاسلام
خير جراه للمحسن ، وقد برك ورءه ثلثة لا يسدها شئ ، وحلف فى
المسلمين ورءاً لا يسي وجرحاً لا يدمل .

حشره الله مع أجداده لتفانين وحاد ذكره في اجداده .

وقال الحجة المجاهد القطراني محمد محسن الشهير بآثاره :

مد بقول الواصف في راحل العظم ، فقيد الاسلام والمسلمين
فقيد العلم والدين ، فقيد الفهم والمسير ، أكن محنتها ورعاً ، أم حطاً
مصنفاً ، أم راحلاً ، أم محمداً ، ذاك المصنف ، من يد ، دائم
المكافأة من المذهب الحق .

نعم هو كل ذلك ، تشهد له به المحاور والمراير والكتب والدوائر
أهل مدحهم المراجعات ؟ أم هل تأملتم في الفصول المهمة ؟ أم
هل سمعتم ان احداً كتب في الاسلام حذائق مدرجة في اى هزيمة كما
كتب العقيد . الى غير ذلك من الآثار العلمية الكثيرة ، والمعاجير
القضية الباهرة .

والهم ادرقنا العصر على فقد ، وأمكنه بحروحة حديد ، ورضو مث

وقال آية الله للشيخ حسين الخلى :

كان العقيد - قدس سره - من أعظم العلماء العامة في سبيل اهلاء

كلمة الحق وبشر لوأم الإسلام ، وإن مؤاماة الخليفة ، وموقفه المعروفة
لحبر دليل على ذلك ، فقد حسر المسلمون . وعانه خمارة عطية ، وترك
فراعاً وثيرة في الإسلام لانحد لإعانة من الله سبحانه ، ونظرة رحمة
من ولي العصر أرواحنا فداه .

نسأله أن يعظم للمسلمين أحدهم ، وأن يعشره مع أجداده الطاهرين
وقال آية الله المعفور له الشيخ عبد الكريم الخرائري :

«ي أعرف فقيداً الراحل منذ قدم الرمن ، رجلاً قد بلغ في العلم
والأدب الدرجة العالية ، كما كان محيطاً بالذارج ، الإسلامي احاطة كاملة
وكان ذا قم مبال رافق صاحبه طيبة عمره الشريف دائماً عن حورة الدين
جاريماً في ميدان الفضل عن شريعة جده سيد المرصدين ، لا يكل ولا يمل
مضداً الى ماتحي به من الاحلاق المعاصنة ، الإسلامية ، وسيرة الحسة
الذين هما ملك الملوك ، وجندب الاسباب ، تعمد الله رحمة
وأسكنه فسيح جناته .»

وقال لإمام السيد محمد الحكيم :

(إن للسيد شرف الدين معدن رحمة واحسان ، فلا يميض إلا رحمة
واحساناً) .

وقال آية الله محمد الجواد الطباطبائي «تبريري» :

(كان لساناً ذا انحاء تلتئم حلقنا بظانه على العالم ، والعقري
المتحرر ، والمفكر الجريء ، والمهمو الخطيب ، والمعلم والمجاهد .
هذه امة من الاطال ، وقد جاءت في ظل من الأمة ، ومثله كمثل

دسر في وحدته كل القوى ، ومن شاء ان يعرف مبيع بطولته ، ويطالع
على جهوده وجهاده ، فم عليه إلا ان يقف عند مراجعته (.
وقال آية الله آل ياسين حفظه الله وابقاه .

ان وقبدا الراحل آية الله شرف الدين هو احد اولئك الاملاد من
عهداء هذه الأمة الذين نهضوا تأدية رسالتهم كما ينهض الأنبياء من
الرسول تأدية رسالتهم .

واذا كان نبيا لأعظم (ص) قد أدى الى امته رسالة ربه ، ودعا
اليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتحمل في سبيلها ما يحمل من ظلم
وصدم ، حتى أخرج الدين من انضمامات الى الدور ، ثم تعامدها من بعده
أو صياؤه الارار صلات الله عليهم ، فأحاطوها برعايتهم ، وأمدوها
بعنايتهم ، وحرسوها من السكسة والضياغ . فان وقيدنا العظيم سيرته
الذي التي ضططع بها طوال حياته المديدة لم يكن إلا امكاساً بصلال
اولئك الأمة العظماء في جهادهم وجهودهم ، فقد أخذ على نفسه
مأخذة اولئك العظماء على انفسهم من الشهور باعلاء الدعوة لهذا الدين
الحنيف ، والقيام بما يرضه الواجب من الشمر المبدأ والمقيدة بكل
مبدية من وسائل الدعوة والنشر ، فكان لقلمه ميدان ، ودفقه ميدان
وأبده ميدان ، وكان في كل هذه المادين فارسها المجلي ، وظلها المعوار
وحسب شامداً على طولته في ميدان القلم ، آثاره الخالدة التي تركها
عرة في حزين الدهر ، لا ممناً تشع بالخير والحمل والدور ، وتحمل
مشغل لهدية ساطعاً وهاجا في غمرة من انضمامات الحماكت . فتصمى به
السل من ضل السبل ، وتكشف عاهد الشكوك والشهات عن آفاق
الحق والحقيقة ، وتهدى الناهين الى وطن الأمن والسلامة حتى لقد

أهتدى على ضوئها مشين ومشين من الناس ممن كانوا لا يهتمون إلى الحق مسيلاً
وهكذا شاء الله تعالى أن يحرق على قلعه من الدلائل والبراهين
والبراهين البينات ما يجعله آية من آياته الباهرة ، ويتروها من يما يمه
الزاهرة ، التي لا يصف معها الماض ، ما في في ديا لاسلام اسم الاسلام
وما في على وجه هذه البسطة ظل للحق ولايمان .

هذا هو ميدان قلعه ، وعلى هذا فقس ميدان ليله وقمه ، وقد
كان رحمه الله من أروع الخطباء في ديا الخطبة وأشدهم نفوذاً إلى
قلوب سامعيه .

وكم من موقف وقف فيه حصياً بأعجب وأهرب ، حتى قال عنه أنه
من أخطب خطباء العرب ، ولأن لم يكن كذا قال ، فالتفت إليه من
أخطب خطبائهم في عصره الذي وجد فيه ، ولعل للورثة أثره في يكونه
الخطابي الماشق من تكون أيه سيد فصحاء ، وإمام البصائر أمير المؤمنين
وفي بلاغته رحمه الله التي كانت تنعرج من بين فكيف ما يشهد له أنه
كان متأثراً بتلك الوراثة إلى حد بعيد .

وأي عجب من أن يتأثر بها ، في بلاغة ليله ، فصاحة بلاغه ،
وقد تأثر بها في أكثر مراهبه الروحية والمعوية لمطوعة طبع من اللطف
لا يصبح إلا أن يكون طامعاً علوياً أو محمدياً ، وهو الذي جعل من شخصيته
لا كاشخصيات وذاً لا شهها أكثر من الدوات ، وهو هذه اللغة البليغة
التي تمكن منها في أحاديثه وحطائمه ، استطاع أن يعمم الأعاجيب في
خدمة مبادئه وعتده ، فكان يعرفها العقيدة العائدة وهي راسخة في
مقرها رصوخ الوند في مقرزه ، يستلها من موطئها استللاً ، ويستأصاها
من جذورها استئصالاً ، وليس لديه من سلاح إلا تلك الحجج الباهرة

التي تدفق من لصفه تدفق البسوع من عينه الثرة ، وتندوم اندفاع السيل
من أعالي القسم

وأما ميدان يده فليس في وسع هذه الحالة ان تم شعاعيه وأطرافه
ولكن في وسع الباحث ان يسأل عنه بلاد لبنان واناءها وارصها وسماها
انتشه عما كان له في تلك البلاد من جهود جارية وجهاد مستمر في
سبل اعلام كلمة الله وقمة الحق وانكار الباطل عبر هوب من سطنة ،
ولا متمدقاً لدى سلطان ، ومن صرحته ، لاجيرة التي أطلقها من عفيرته
في سبل الاصلاح لايرل صدها مدوبا في آفاق الشرق الاوسط حتى
اليوم ، مرحمت الله ياشرف الدنيا وشرف الدين ، وقد حرك الاسلام
وأصيبه لك المصلحون ، فادقه ويرا ، فيه رحمن) .

وكتب العلامة السيد محمد صادق الصدر مقدمة ضافية لكتاب الذهب
والأخنة في طبعته الثانية ، وقد مررنا هذه المقدمة مراراً في مسيرة هذه
الدراسة ، وأقل فيما يلي جزءاً يسيراً منها ، يعالج فيها السيد الصدر
قضايا معبرة تعطينا إيماد جديدة للقيم الانسانية التي كانت ترحلها دهم
الامام المترجم له .

(كانت حياه كلها تدل دلالة قوية على عدو دهمه ، وعصيم شخصيته
وحصري حادتين تدلان . وصرح على نأصل هذه الصمة العلة في
نفسه الدعوة الدية

(٩) كان السيد في دمشق على عهد الملك فيصل الأول حيث قد
شرد عن وطنه ، وحكم عليه بالاعدام من قبل المرفحين
وكان من جملة من شملهم الحكم رحيم جل عامل الكبير المرحوم
كامل نك الاسعد . رحل الوطنية والاحلاص .

والطير لاشعاده عن بعده ، فقد روح نحت أرمه ، فتصادية شديدة اضطرت ان تكتب رسوله الى (بنت حبيب) بستدين من أحد شترين ثلاثمائة ليرة ستمانية ، ليسد بها عن حاجاته ، فأرسل له ثلاثين ليرة واعتذر عن الباقي باستشاط الزعيم غضباً ، وأرجع المبلغ مع الرسول حالاً .

وقد سمع السيد هذه حادثة فعصى ليرة ارعهم الكرم ، وقدم له ثلاثمائة ليرة علمانية ، وبيع أشد الامساح ، لانه يرى السيد في رمة لاقل من ارمته ، وأحمره السيد بان يديه ما يكفيه في الوقت الحاضر فقبل مبلغ شاكراً .

ولما رجع الزعيم الى الادعاء ، وعادت له الى بحريها زار الزعيم الاسعد السيد في دره رومه المبلغ فقدمه الى السيد شاكراً ، فاشهره السيد باستحاة قبوله ، لانهما نفس واحدة لا شجراً ، وقد صرعا المبلغ على نفسيهما المتحدتين ، ورجع الزعيم الى بلدته من الأس من قول السيد .

وكرر الزعيم الاسعد الزيارة مرة ثالثة وعده وقفية تصق وقف عمار من أملاكه على يد السيد المرحوم العلامة السيد محمد علي شرف الدين اكر اولاد السيد ، وكان يومئذ في مهجره الجعف الأشرف ، ووطن المرحوم لاسعد ان الأمر قد أبرم بصورة محكمة لا يمكن نقصة لأنه وقف والوقف لا يمكن تعديره او الرجوع عنه ، فانقسم السيد وقول ان الوقف لا يكون لارماً إلا بشروط ، ومن شروطه النص والاقراض ولم يحصل الاقراض من حيث ، ولا النص من ودي السيد محمد علي ، فلا يكون الوقف لارماً .

وهكذا رجع الزعيم الى (عريه) المرة الثانية بعد ان لمس الجسد من السيد الاكبر .

٢ - وأما احادته الثانية ، فهي ان السيد قصد الملك فيصل لأول في دمشق يوم كان ملكاً عليها ، على رأس وفد من العلماء ، فلما انتهت البرابة وأردت العودة الى جبن عامل ، أرسل الملك للسيد مع فحمة السيد الجدي منع حمة آلاف ليرة عثمانية هدية للسيد وقدمتها السيد شاكرأ ثم أرجعها للجري لتهدم باسم السيد هدية الى الجيش العربي في سوريا ، ثم قال (تميت ان اكون درهماً لأصبح نقسي في صندوق الجيش العربي لأدفع عن الاسلام والمرب) .

وكان لاسناد الجاري بذكر هذه حادثة كما ذكر السيد ، باعجاب واكرار ، وبمعلمها في كل مدرسة

وهذان الحادثان ، دلان معاً على كرم يده وجلو نفسه في وقت واحد وكانت حياته في جميع الادوار على دروساً جليلة في العلم والأدب والاخلاص وكرم اليد والطباع .

وكتب العلامة السيد موسى الصدر ، كلمة طريفة في الامام شرف الدين ، بمنزلة الشكر المعنى وحرارة الجرحى ، باعجاب ، بفتنط منها بعض المفطع .

بقول حفظه الله (١) :

(اذكر في يقين وصعب أى لاحلافه ، وأدهم لأن حيداً ماداً يسمى

تحتها دسوية

(١) مجلة النهج الحرة السابع السنة الخامسة . الكقامة مترجمة

عن الفارسية

كانت جلسته للقرايع دانه ، وكانت قنبي حلة العبد .
 قل يد شاب أمره في اهائي ، وكان يحترم الناس جميعا على
 اختلاف منازلهم وأقدارهم ،

لا عرف كيف أصف كرمه إلا اذا شبهته بجبل عظيم شاقق يتلقى
 هبات السحاب ، ويقدمها الى السوح والودية غفيرة وبكران دات .
 صبره على تحمل المشاق أوسع من بياض ، وأعمق من وصل الى
 علمه ، فقد كان يكاد الايام الكار وحده ، محمداً عن غيره عمومها
 في الشفاق ورحمة

كالهبي ولاوصياء ، كان يمضي حياءاً اذا وهب ، وكان يجده
 صدياً لسائله دوماً يقص مضجعه مائة م المقعد اذا هجر عن أدائه :
 ماشوهد مشرماً من مكروه ، ولاصديقاً عطية ، وانه لانتفى للمشكلات
 لانحل ، ومحبحة للصحاب لادل ، وكان اكبر ما كان حرصاً للحق
 من حيث جاء ، كثيراً ما تلعب من طفل بارقة ، أو تشرقي حكمة على
 ثغر شاب ، وما كان شبيه من هذا يحدث دون ان يثير اهتمامه
 واربعيته ، وما كثر ما عين لهذا أو لذلك القادته منهما ، في صدد
 تقديرهما والاعجاب بهما :

كانت الفضيلة تسهويه حتى في عدوه ، والترفيلة تزعجه حتى في
 صديقه ، وكان لا يكتفي في هذا وذلك بالضعف الايمان ، وكان جديه
 يسطح باذن عام يزيل عن ذوى الحاجاته حرج الهيب ، ويضع عن
 المعافين شعور الكلفة .

وكان في الحق جريثاً مقداماً باملا منهجورا ، والملمون بحاته ادبي
 المام يعرفون جسامته شجاعته بتضحياته المنوعات الجسام . هجرته .

نشرده ، خسائره ، مطاردات الحكومات له ، مصاله الشاق حتى آخر لحظة من عمره ، كل هذا يظهر لنا العارس مثال ، الذي يذكرنا باطن المسلمين الأولين .

نعم ، هو كما وصفه في أبي :
انه للمو الخلق للنبوى .

في علمه جمعت آثاره وروعن كل باحث مهمة ورنه وتعبيره ، خدوا كتابه المرحمات ، وهو أمل على عالم عظيم كريم لشبعة السيد البروجردى ان يطلق على صدره اسم (المرحمى) في زمانه ، واذا التفتهم الى العصور المهمة وجدتموها طليعة المكس لاسلامية اليوم ، وى (اجوة موسى جار الله) و (كلمة حول الرؤية) و (فلسفة الميثاق والولاية) (ولى المجمع العلمى العربى) من الحق ما ياحل الاعناق الى الطعة والتسليم أم (ابو هريرة) فقد اسس مدرسة نقدية لعبها كبرى مدارس النقد في التاريخ الاسلامى :

ولا يفل عنه في التحقيق صوره (البص والاجتهاد) ، ومن عنونه العلمية (مسائل فقهية) انتهى أيد فيها احكاماً شيعية مستندت سنية ، وما كان عبثاً ان كان إماماً طلق ذكره ارجاء العالم الاسلامى كله . من المعروف المشهور انه كان اعظم القادة دفاعاً عن الاسلام ، وأشدهم شكينة في الدباد عن حيدرس (الانشيع) حتى لقد جمعت الكلمة على هذه اولا في عمده الاسلام قاطية ، وايس من شك في ان (العصبية) لم تكن من رسائله في ميديايه هدى الى العاية المعصية التى صعدت هي اية . لان العصبية شر لا يمكن ان يعصى في حيز كهذا عمادا قدمه حتى رفعه الى هذا المرتقى إذن ؟

نعم - بالانصاف - وشدة الحجة ، ورعة المصاح العامة ،
بلغ هذه الدرجة ، ولم يكن له في الواقع هذا نصير في العالم الاسلامي
من الحق انه كان يدفع عن الشيع بحماسة ، ولكن حماسه كانت
تبع من الدعوة الى جمع الصف وتوحيد الكلمة ، وفل مثل هذا في
حماسه دعاء عن الاسلام ، وصديقاً للدعوة الى المحبة والتسامح .
كان مفتوح الدراع للجميع ، أبناء الأديان والطوائف في طلبة الخوان
والمصالح العامة هذه أحراراً ولا يحسم بها وبينها المذهبية ، بل
تتصالح :

حياته - رضوان الله عليه - تتخذ في صميم نوعها ، جوهر رسالته
وكما يمسك فتاحه ونهجه ، مسح عظمته ، يهتف ملوكه مصلحاً لهذه
الطامة بالذات .

كان استعداً في مدرسة لا ينفق أرواحاً ، ولا يكف عن عطاء ، وكان
قاصياً في حكمة عبر محدودة الأوقات ، وكان داعية يسعى الى الناس
بما يفلحهم في عشاواتهم وعملاتهم وانفسهم ، وكان وفياً للجميع حتى
في اوقات راحته .

كانت سماته أن يشفي في معاداة آخريين (

ومن كتب عن الامام شرف الدين بن مهدي ومن المرحوم الدكتور
عبد الدين آل ياسين ، كتب هذه الكلمة - رحمه الله - في شاطئة
١٩٣٧ م ، وتلاها في استقبال الامام شرف الدين بمناسبة زيارته للمشاهد
المقدسة في العراق آنذاك .

وكلمة لا بد منها في هذا المقام . لو قدر للدكتور ان يمهله الأجل
لأحدي كثيراً ، وأسدى في الجمع ملائحة الاقبيس من العلماء ، وثمن

كان اختصاصه في القاعات السابعة ، والنحو المقارن ، فان ميادين نشاطه
متعددة ، وكان لها جميعاً من المبرزين ، ولأجل ذلك مارال الشعوب
العام بحسارته مستمراً ، والعراخ الذي تركه لم يصد بعد .
يقول رحمه الله .

(لأم ما اصطفى الله آل ابراهيم ، وختم النبوة بمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم ، وجعل منه شجرة عمدة الاعمال ، وارة الأوباء ،
أصلها زيت وورعها في السماء .

ولأم ما أراد الله ان تطرد رسالة هذه الشجرة المباركة الخالدة
ممنع من روجه في بعض أعصابها (في سلامة على وطمعة) بأشائهم
حظاً آخر يصطرون بأجسامهم في نطاق محدود من هذه الدايما المحدودة
ولكنهم يسعون في دنيا عريضة ، عالم الفكر والروح لا تعرف سدوداً
ولا حدوداً ، أولئك نفر آثرهم الله بنوره ، وحاطهم بلطفه ، وأصح
عليهم من نضله ، واحتضهم بحواهب وخلال وكفائات جعلهم بها
صدى للنسوة ، واستمراراً لها ، وجعل منهم حلقة الحلق ، ومصارح
الهدى ، وائمة الناس ، وناط بهم راية الدين يحملونها الى مشارق
الأرض ومعارها ، يجادلون الناس فيها بالحكمة والموعظة الحسنة ،
والله أراهم هذه الأمة التي رسها (١) على يد نبيه ، وهذا على
هدى آله وحلفائه ، ان يلقى حبلها على عارها ، دون ان يلقى الحجة
عليها ، الغر الغر الميامين من جند المصطفين الذين بوضع لله بهم
طريق لاساية من قرن الى قرن ، بقعون للدين حين يستهدف الازمات
ويصنعون همة حين تهدده العاهات .

(١) من قدوم رب النبي ربياً وقربة بمعنى وياه حتى أدرك

هؤلاء العلماء . وهؤلاء هم الذين يتودون سعية الدين اذا
ارتطم الموج ، وعر الحمين ، فيشقون حجاب اليم ، يطمون الحجاب
بجلدها ، ويصارحون أروى الموج بمجدا فيها حتى يفتروا بها من
مكان الخطر ، ويأووا بها الى ركن وثيق ، مبصرون من الصمير بالرضا
والطمأنينة ، ومن الناس الزعامة والائمة ، ومن افق بالهدى وللزويق
ولا يكاد يعدم عصر من علم من هؤلاء الاعلام يختار عن سواء
ممتانة الخلق ، وصلاة الرحوة ، وشدة الأسر ، وغوة الخوبة ، وصعاء
للذين ، ورسوخ اليقين ، بقيمة لله بين الناس حجة عليهم اذا ضلوا
ونورا لهم اذا اد لجوا ،

• • •

ومن يريد ان يتحدث اليوم عن احد اعلام هذا العصر الذين
طبقوا العالم الاسلامي كله شدى وعبرا ، وأصبحوا السنة المساهمة تهلبلا
ونكيرا ، ذلك هو سماحة السيد عبد الحسن شرف الدين كبير علماء
سوريا ، وأحد اقطب الزعامة الدينية القويمة في العالم الاسلامي ،
ولملك تقرا من ملامح رسمه آيات فضله وعلمه ، وات إذ عددت
قادة العلم والدين والقلم في العصر الحاضر ، فانت مضطر ان تعدد في
رأس القائمة منهم .

ومنها • • •

وهو اليوم يستقل عهد الشخوخة ، وسكنه لم يستلم لسلطانها ،
لذا أنت رأيت ، رأيت شجبا في إهاب شاب ، قوى الهمة ، ماصي
العزيمة ، حشاً في ذات الله ، في غير فصاحة ولا حياء ، لاناخذله في الله
لومة لانم ، صريح في قواه وعمله يشاوق من ظاهره وباطنه ، لا يستحب

في واحد منهما رشاداً ولانفاذاً ، ولانليفاً ولانديفاً ، هشي واسم انصهر
يسم كل جديس حقيقه ومصله ، وكرمه ، مهيب ، هبة متروضة رفيقة
حبة الى النفس ، معره وهب لسانه وديانه دراية قوية محكمة ، يملها
تفكير جبار ، وقريبة مهمة تقرأ في اى كتاب من بنات براعته فتستلهم
وحى البلاغة ، وروعة الحق ، وتستمعه بتحث الى مستمعه فنراه بقرض
عليهم الاصغاء ، حلالة مطلقه ورصانة أدبه ، فهم لا يماكون إلا ان
يها فيستمعوا .

ملكة وهما سدا آدم الله ظنه فجمته في مقدمة القادة من العلماء
والاعلام ، وجمته واحد الناس ، دراية لسان ، وقوة بيان ، ومثابة
املوب ، وبعد غور ، يخرج الى الامس عبر مست للقول ، ولا مقيد
للراى ، فما هي إلا ان يسقل صهوة المسر حتى تشرتب الاعاق اليه
وتتجه لأذن صوته ، مقبلة عليه ، مصعبة به مضرة كلمته ، فما هي
إلا ان بداعت حركته ، حتى تثال عليه الاندط ، لا وتوارد المعاني
وحداثاً وإرسالاً .

هادا جلجل صوته في الحصرين ، ملا اصداهم وعقولهم ما يستطيعه
بباله من سحر وفننة وقوة وصرامة وحمل وحلان ومنع وذاع .
تشتق من بيانه نعمة من نعمات حده المرتضى ، ولاعرو ، وانما هو
غصن من عصون سرحته ، وورع من فروع دوحته ، ولما هي قصاياه
من قواعده ، وبيات دماواه في شواهد ، ومصابين مقرباته من هديه
واهابين بلاغاته من وحيه .

مراجع البحث

- ١ - نهج البلاغة . الشيخ محمد عبدة ج ٢
- ٢ - مهارة العقل البشري . الدكتور علي حسين الوردي
- ٣ - شيخ المفيدة . الشيخ محمود ابورية
- ٤ - تاريخ الأمم والملوك . انطري
- ٥ - الكمل في التاريخ . اس الأثير
- ٦ - مجمع البيوت لعلوم القرآن . الطبرمي
- ٧ - صلح الحسن . الشيخ راضي آية ياصين
- ٨ - ثورة الريح . الدكتور يوصل السامر
- ٩ - اصل الشعة واصولها . الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
- ١٠ - لقاء الشر . الشيخ اغايزرك الطهراني . الجزء الاول
- ١١ - وعظ سلطان . الدكتور علي حسين الوردي
- ١٢ - مرجع الذهب . المسمودي . اخره الثالث
- ١٣ - بلاد العربية وبلاد الشام . مصحح النصري
- ١٤ - أعيان الشيعة . السيد محسن الأمين
- ١٥ - الشيعة والحاكمون . الشيخ محمد جواد مغنية
- ١٦ - عارة في الخرائط . جان بول سارتر ترجمة سهيل ادريس
- ١٧ - المختصر الدافع للمحقق الحلي
- ١٨ - فجر الاسلام : احمد امين
- ١٩ - أدب الثورة . الدكتور محمد غلاب
- ٢٠ - شخصية الفرد العراقي . الدكتور علي حسين الوردي

- ٢١ - لمحات في تجاربي الفكرية - الدكتور صلاح الدين المجدد
 ٢٢ - تاريخ الورارات المراقية - عبد الرزاق الحسي - الجزء الأول
 ٢٣ - تأسيس الشيعة لعالم الاسلام - الامام آية الله السيد حسن الصدر
 ٢٤ - مؤلفات الامام السيد عبد الحسين شرف الدين
 ٢٥ - جملة من المجلات المراقية والعربية

الفهرست

- ١ - الأهداء
 ٢ - المقدمة (٨ - ٥)
 ٣ - الفصل الأول: حرف . . . ونقطة (٩ - ٥٥)
 ٤ - الفصل الثاني: عقيدة . . . ومدرسة (٥٦ - ٨١)
 ٥ - الفصل الثالث: غرس . . . وثمر (٨٢ - ١٤٦)
 ٦ - الفصل الرابع : لوحة . . . وورشة (١٤٣ - ١٥٥)
 ٧ - الفصل الخامس كلمة . . . ذات رغب (١٩٦ - ١٩٨)



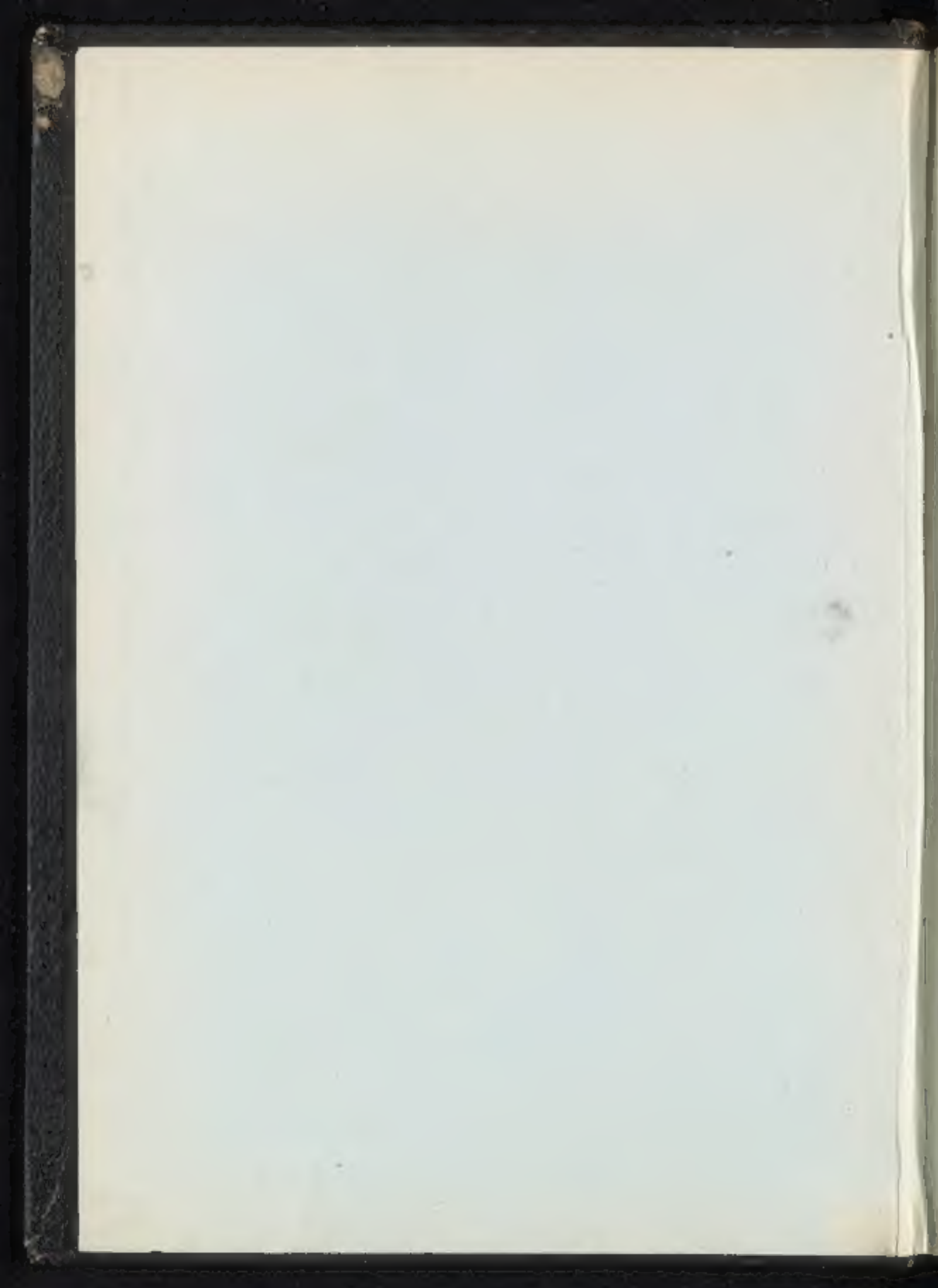


من منشورات المكتبة الاهليه في بغداد

العدد ٦١٤٥١

سنة ١٩٧٥





NYU - BOSST



31142 02823 2786

BP60.M88 A67

© 1999 Serials of the Internet 8